جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

مسيرة عيسى لوباني الحياتية والأدبية

إعداد
عوض حسن عوض رمضان

إشراف
د. نادر قاسم

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2014م

مسيرة عيسى لوباني الحياتية والأدبية

إعداد

عوض حسن عوض رمضان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2014/6/8م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة: التوقيع

1. د. نادر قاسم / مشرفاً ورئيساً .....

2. د. ياسين كتاني / ممتحناً خارجياً .....

3. أ. د. عادل الأسطة / ممتحناً داخلياً .....

الإهداء

إلى روح أبي الغالي

إلى أمي

إلى زوجتي الغالية

إلى ابنتي فرح

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أساتذتي

إلى كل من كان له فضل علي

وعلمني حرفا

أهدي هذا البحث المتواضع راجيا المولى

عز وجل أن ينال القبول والنجاح

الشكر والتقدير

عرفانا مني بجميل من كان له فضل علي، فإني لأشكر أستاذي الفاضل الدكتور نادر قاسم، الذي مهد لي الطريق بمعرفته الواسعة، وعلمه النافع، لأن أسير في هذا البحث المتواضع، حيث شجعني وساعدني على المضي في هذه الرسالة. كما أشكره على سعة صدره، وجهده المتواصل، في سبيل أن يخرج هذا البحث إلى النور، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذه الدراسة وتقويمها، وإظهار جوانب القوة فيها وتعزيزها، وجوانب الضعف وتصويبها.

وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان لأساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور إحسان الديك الذي أفدت منه كثيرا في قراءة النص الأدبي وتحليله، وكشف أبعاده الجمالية.

ولا يفوتني أن أشكر الأخت ميادة لوباني- ابنة الأديب عيسى لوباني - على جهدها المتواصل، وسعيها الدائم لإمداد هذا البحث بكثير من الأوراق، التي ساهمت في إخراجه إلى النور، فقد زودتني بكل الأعمال التي أصدرها عيسى لوباني، إضافة إلى مجموعة من المقالات والأوراق التي كتبت عن الأديب، ولم تبخل علي بوقتها وجهدها وحرصها على تقديم العون.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

مسيرة عيسى لوباني الحياتية والأدبية

أقر أن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
المقدمة	**1**
الفصل الأول: حياة عيسى لوباني	**7**
المبحث الأول: مولده ونشأته	8
المبحث الثاني: نشاطه الأدبي ونتاجه	12
المبحث الثالث: حياته السياسية	17
المبحث الرابع: دوره في الحركة الأدبية في فلسطين ومواقف ممن عايشوه	22
الفصل الثاني: موضوعات شعر لوباني	**26**
تمهيد	27
المبحث الأول: الموضوع الوطني	30
المطلب الأول: الأرض	31
المطلب الثاني: المواجهة والتحريض على الاحتلال	35
المطلب الثالث: التحسر والأسى على الوطن الضائع	38
المطلب الرابع: الغربة والحنين	40
المطلب الخامس: ظلم الاحتلال	45
المبحث الثاني: الموضوع الاجتماعي	48
المطلب الأول: الفقر والجوع	49
المطلب الثاني: التشريد	51
المبحث الثالث: الموضوع الإنساني	53
المطلب الأول: الألم	53
المبحث الرابع:الموضوع القومي	56
المبحث الخامس: التشكيل الفني	61

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: العنوان الشعري	61
المطلب الثاني: الرمز	64
المطلب الثالث: الموسيقى	69
المطلب الرابع: الصورة الشعرية	78
المطلب الخامس: التضاد	92
الطلب السادس: التكرار	96
المطلب السابع: الترادف	102
المطلب الثامن: اللغة الشعرية	105
الفصل الثالث: عيسى لوباني روائيا	**114**
تمهيد	115
المبحث الأول: الموضوع الوطني	117
المطلب الأول: ضياع الأرض	118
المطلب الثاني: جلد الذات	122
المطلب الثالث:الخيانة العربية	124
المطلب الرابع: الحث على الثورة	130
المطلب الخامس: الغربة	132
المبحث الثاني: الموضوع الاجتماعي	136
المبحث الثالث: الحزب الشيوعي	141
المبحث الرابع: الجنس	147
المبحث الخامس: صورة المرأة	157
المطلب الأول: المرأة الضحية	158
المطلب الثاني: المرأة الرمز	162
المبحث السادس: صورة الآخر	166
المطلب الأول: صورة اليهود	166
المطلب الثاني: اليهودي السلبي	168
المطلب الثالث: اليهودي الإيجابي	175
المطلب الرابع: صورة الألمان	177
المطلب الخامس: صورة الأتراك	180

الموضوع	الصفحة
المبحث السابع: التشكيل الفني	182
المطلب الأول: سيمياء العناوين	182
المطلب الثاني: اللغة الروائية	188
المطلب الثالث: السرد	193
المطلب الرابع: الزمان والمكان	197
المبحث الثامن: التناص	201
المطلب الأول: التناص الديني	202
المطلب الثاني: التناص مع الموروث الشعبي	208
المطلب الثالث: المصدر الأدبي	216
الفصل الرابع: المقالة الأدبية النقدية عند عيسى لوباني	**223**
المبحث الأول: مدخل إلى فن المقالة والنقد	224
المبحث الثاني: عيسى لوباني ناقدا	229
المبحث الثالث: نقد الرواية والقصة	236
الخاتمة	**241**
قائمة المصادر والمراجع	**244**
Abstract	**b**

مسيرة عيسى لوباني الحياتية والأدبية

إعداد

عوض حسن عوض رمضان

إشراف

د. نادر قاسم

الملخص

تعرض هذه الدراسة حياة الأديب عيسى لوباني ونتاجه الأدبي، وأبرز المحطات التي عاشها في حياته، وتقدم صورة لنتاجه الأدبي المتنوع من شعر ورواية ونقد، فتبين أهم الاتجاهات الشعرية التي تطرق إليها لوباني في أشعاره، من الاتجاه الوطني، إلى الاتجاه الإنساني، والاتجاه الاجتماعي، وغيرها من الاتجاهات، كما تعرض أهم الروايات التي نشرها، وتبرز الجوانب الفنية فيها، وتناقش موضوعات مختلفة منها: المرأة، والأرض، والوطن، كما تكشف الأعمال الأدبية التي كان ينشرها، ويعبر فيها عن مواقفه من القضايا المختلفة،الأدبية والاجتماعية والوطنية. وهدفت هذه الدراسة إلى كشف جانب من إبداع أديب عاش في مرحلة التأسيس للشعر الفلسطيني الحديث، وعاش نكبة فلسطين عام 1948م، وعبر عن الأحداث من خلال أعماله الأدبية المتنوعة، وعلى الرغم من القيود التي كانت تمارس بحق الأدباء في الأرض المحتلة، إلا أن لوباني واصل الدفاع عن القضية الفلسطينية، وكتب الشعر والرواية والقصة والمقال النقدي، مما يدلل على مقدرته الفنية، وقدرته على امتلاك اللغة.

امتازت كتابات لوباني الأدبية بالفنية العالية، فنراه يشكل اللغة بطريقة متميزة، فيها كثير من الإبداع، فنجده في كتابة الشعر يوظف كل مخزونه الإبداعي، فيلجأ إلى التكرار والرمز والصور الشعرية، فظهرت أشعاره لوحات فنية تظهر جوانب مختلفة من حياة الإنسان الفلسطيني. وفي الرواية أبدع لوباني في تصوير الأحداث التي مرت بها فلسطين، فجاءت رواياته وثائق تروي الأحداث التاريخية التي مرت بها فلسطين، وأظهر من خلال الرواية تجربة جديدة للروائيين وهي الاحتكاك باليهود، وكشف صورتهم الحقيقية أمام العالم. وفي مجال النقد كان عيسى لوباني طبيبا للنصوص الأدبية، يعالجها بكل موضوعية بعيدا عن الأهواء الشخصية،

فكان يمدح الأعمال الرائدة ويعطي توجيهات إلـــى أصـــحاب النصـــوص الضـــعيفة للتوجيـــه والإصلاح، ولم يقتصر نشاطه النقدي على الأعمال المحلية، بل كان يتابع باستمرار الأعمـــال العالمية ويوجه القراء إليها. ولقد نبهت هذه الدراسة الباحثين والقراء على شخصية أدبية أسهمت في مسيرة الأدب الفلسطيني الحديث، فكان إنتاجها وفيرا، ومعبرا عن هموم الناس وآمالهم فـــي العيش بحرية، وقدرة على التنويع في الإنتاج.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة الأديب عيسى لوباني من خلال أعماله الأدبية المتنوعة، من شعر وقصة قصيرة ورواية ومقالات نقدية تنم عن تجربة أدبية متميزة. وسيتناول الباحث في هذه الدراسة حياة الأديب الفلسطيني عيسى لوباني وفكره، ومصادر ثقافته، وأثر ذلك في تشكيل رؤيته الفنية، ودوره في الحياة الأدبية بعامة، والحياة الأدبية في فلسطين بخاصة، وستطال هذه الدراسة جانبين أساسيين هما: جانب المضمون في أعماله،(ويتمثل في الاتجاه الوطني، والديني، والاجتماعي...) والجانب الفني المتمثل ببنية القصائد والروايات والقصص القصيرة من حيث: اللغة، والأسلوب، والموسيقى، والصور الفنية...، وهذا يعني أن الدراسة ستجمع بين الرؤية والتشكيل الفني، في تجربة لأديب فلسطيني أسهم في التجديد في الشعر الحديث في مضمون أعماله الأدبية المتنوعة.

أهمية البحث وسبب اختياره

إن دراسة حياة الأديب عيسى لوباني وأعماله الأدبية، تكشف جوانب متعددة من حياة الإنسان الفلسطيني، والعوامل التي أثرت فيها، كما وتظهر بعض الأعمال الأدبية التي أثرى من خلالها موضوعات الأدب الفلسطيني، وتبين الدراسة الميادين المختلفة التي اقتحمها لوباني في الأدب ومنها: الشعر والرواية والقصة القصيرة والنقد، في ظروف لم يكن من السهل على الأديب أن يبوح بمكنونات نفسه للانتصار لشعبه، دون أن يتعرض للأذى. وبالرغم من غزارة الإنتاج لديه في الرواية والشعر والمقالة، إلا أن هذه الشخصية لم تنل حقها من البحث والدراسة، فالدراسات التي تناولت أدبه تناولت جزئيات محددة منه، وتناولت بعض المقالات جزئيات من أدبه، **ومن الدراسات والمقالات السابقة:**

1- (مراودة النص دراسات في الأدب الفلسطيني)، لنبيه القاسم[1]، وفيه تناول الباحث عيسى لوباني، وإنجازاته الشعرية، وكتاباته النقدية، وبيّن الباحث أهم الأعمال الشعرية التي أصدرها، وأهم المواقف النقدية التي نشرها في الصحف والمجلات.

[1] القاسم، نبيه: **مراودة النص- دراسات في الأدب الفلسطيني**، دار الهدى للطباعة والنشر، 2001.

2- (مرايا في النقد دراسات في الأدب الفلسطيني) للباحث محمود غنايم[1]، وتناول الباحث في هذا الكتاب البنية الشكلية في الشعر المحلي، في المرحلة الأولى 1948-1960م. وبيّن استخدام مجموعة من الأدباء الفلسطينيين ومنهم لوباني لبحور الشعر العربي، وعدد البحور التي استخدمها كل شاعر في دواوينه.

3- (القصة العربية الفلسطينية المحلية القصيرة) لحبيب بولس[2]، حيث عرض فيه الباحث أهم مؤلفات عيسى لوباني، وبيّن ما تتميز به قصصه، كما بيّن لغة الأديب، وقدرته على توظيفها في أعماله الأدبية، وعرض في هذا الكتاب قصة لوباني (حسان والليلة المشؤومة)، وأوضح الباحث موقف لوباني من رواية (المشوهون) لتوفيق فياض.

4- (الكلمة المقاتلة في فلسطين) لهارون هاشم رشيد[3]، وعرض في كتابه نبذة عن حياة عيسى لوباني، ومسيرته الأدبية، وبين فيه سبب فصله من سلك التعليم، وعرض في كتابه القصيدة التي فصلته سلطات الاحتلال بسببها.

5- (الرحلة الثالثة مقالات نقدية) للباحث حبيب بولس[4]، وفي هذا الكتاب تناول الباحث رسائل عيسى لوباني التي أصدرها، وبيّن موقفه منها، وناقش فيها بعض القضايا، ومنها: السرد، والمكان، والشخصيات... ووجه نقدا لعيسى لوباني حول استخدامه للرمز، وصورة المرأة، وغيرها من القضايا.

6- مقال بعنوان (شمس وقمر هي آخر ما أبدعه قلم الأديب عيسى لوباني)، للدكتور بطرس دلة[5]، وتناول فيها آخر رواية له، وبين بعض الجوانب الفنية التي تضمنتها.

---

[1] غنايم، محمود: **مرايا في النقد – دراسات في الأدب الفلسطيني**، مركز دراسات الأدب العربي، ط، 2000م.

[2] بولس، حبيب: **القصة العربية القصيرة في فلسطين**، الناصرة، المطبعة الشعبية، 1987م.

[3] رشيد، هارون هاشم: **الكلمة المقاتلة في فلسطين**، الهيئة المصرية للكتّاب،1973م.

[4] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، دائرة الثقافة العربية في وزارة المعارف والثقافة، 1994م.

[5] مقال بعنوان: " شمس وقمر هي آخر ما أبدعه قلم الأديب عيسى لوباني "، د. بطرس دله،السبت2008/2/23 موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة www.aljabha.org

7- مقال بعنوان: (عيسى لوباني روائي ذو قامة أدبية سامقة)[1]، لشفيق حبيب، وفيه تم الحديث عن منهج لوباني في الرواية، وقدرته على التحكم في الأحداث والشخصيات.

8- مقال بعنوان: (رواية شمس وقمر للأديب عيسى لوباني)، نشر على موقع الجبهة الشعبية للسلام والمساواة[2]، وفيه تم الحديث عن أهم الجوانب الفنية لهذه الرواية، وطريقة الكاتب في استخدام الشخصيات فيها.

9- مقال بعنوان: (شمس وقمر وعيسى لوباني الطائر القلق والعاشق المأزوم)، نشر على موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، للدكتور محمدهيبي[3]، حيث تناول شخصية عيسى لوباني، وتناول بالتحليل رواية شمس وقمر.

ولا تخلو الكتب والدراسات الأدبية من ذكر شخصية لوباني، وأثره في الحياة الأدبية، والحديث عن إنجازاته بصوره عابرة وسريعة، ولم تبين الجوانب الفنية المتعددة لأعمال هذا الأديب، على المستويين الفني والموضوعي، **ومن الدراسات التي أشارت إليه وأفدت منها:**

1- (موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث) لكمال قاسم فرهود[4]، وفي هذا الكتاب بيّن الباحث أهم المناصب التي شغلها عيسى لوباني، وبيّن دوره في ترجمة بعض الأعمال العبرية إلى العربية، كما عرض فيه الباحث نبذة عن الأدباء العرب والفلسطينيين، وأهم أعمالهم.

2- (شعراء فلسطين في القرن العشرين) لراضي صدوق[5]، وأورد في الكتاب بعض السطور عن حياة لوباني، وأهم الأعمال التي نشرها.

---

[1] مقال بعنوان: (عيسى لوباني روائي ذو قامة أدبية سامقة)، 28 كانون أول 2007م، ديوان العرب www.diwanalarab.com

[2] مقال بعنوان: "رواية شمس وقمر للأديب عيسى لوباني"، 2008/3/14، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة.www.aljabha.org

[3] مقال بعنوان: "شمس وقمر وعيسى لوباني الطائر القلق والعاشق المأزوم"، د.محمد هيبي،2008/3/14م، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة .www.aljabha.org

[4] فرهود، كمال قاسم: **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، حيفا، مكتبة كل شيء، مج2، ط 3، 1998م.

[5] صدوق، راضي: **شعراء فلسطين في القرن العشرين**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 2000م

3- (الكاشف: معجم كتّاب وأدباء فلسطين) لنزيه أبو نضال[1]، وعرض المؤلف فيه نبذة مختصرة عن حياة الأدباء الفلسطينيين، ومنهم عيسى لوباني، وذكر أهم مؤلفاته الأدبية.

4- (شعراء فلسطين في العصر الحديث) للباحث محمد حسن شراب[2]. حيث قدم فيه نبذه عن حياة بعض الأدباء الفلسطينيين، وأهم الأعمال التي نشروها.

5- (معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين)[3]، وعرض عدداً كبيراً من الشعراء الفلسطينيين والعرب، وقدّم نبّذة عن حياة كل أديب منهم، وقدم نبذه عن الأديب عيسى لوباني، شملت حياته، ومؤلفاته، ولكنها جاءت قصيرة جداً.

6- (موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين) للباحث أحمد عمر شاهين[4]، وذكر مجموعة من الأدباء الفلسطينيين، ونتاجهم الأدبي، ونبذة عن حياتهم، وقدّم نبذة مختصرة عن حياة عيسى لوباني، وأعماله الأدبية.

وكان عيسى لوباني من الأدباء الذين دافعوا عن القضية الفلسطينية، ووقفوا في وجه المحتل الإسرائيلي، وتعرضوا لكثير من المضايقات، وأصدر في العام 1954م ديوانه (أحلام حائر)، حيث وصف الجوانب الاجتماعية، والوطنية والإنسانية التي عاشها الفلسطينيون بعد نكبة فلسطين داخل فلسطين، والدول التي لجأوا إليها.

منهج الدراسة

أما من حيث المنهج فلم ألجأ إلى منهج بعينه أطبقه تطبيقا كاملا، وإنما ربطت بين النصوص والواقع الاجتماعي، كما درستها من ناحية فنية مستفيدا من البلاغة العربية وبعض الدراسات النقدية الخاصة بالنثر، وقمت بتحليل النصوص الشعرية وفق ما استطعت رؤيته.

---

[1] أبو نضال، نزيه: **الكاشف: معجم كتّاب وأدباء فلسطين**، المجلس الأعلى للتربية والثقافة، ط2، 2011م.

[2] شراب، محمد حسن: **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006م.

[3] **معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين**، مؤسسه جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، ط 2، مج3، ص200.

[4] شاهين، أحمد عمر: **موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين**، دمشق، الأهلية للنشر والتوزيع، 1992م..

خطة البحث

شملت هذه الدراسة أربعة فصول وخاتمة، تناولت أعمال لوباني الأدبية والنقدية، أما الفصل الأول فتناول فيه الباحث حياة لوباني، مولده ونشأته، ثم نشاطه الأدبي، ونتاجه في الشعر والرواية والقصة والمقال، ثم تناول حياته السياسية، وأهم الأحداث التي شارك فيها، وجاء الحديث في هذا الفصل عن دوره في الحركة الأدبية في فلسطين، ثم الحديث عن أهم المواقف والآراء ممن عايشوه.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان: عيسى لوباني شاعراً، حيث سرد الباحث أهم الاتجاهات التي شملتها أشعاره، ومنها: الاتجاه الوطني، والاتجاه الإنساني، والاتجاه الاجتماعي، والتحسر والأسى على الوطن الضائع، والغربة، والمنفى، ثم تناول الباحث عدة موضوعات في الشكل الفني، ومنها: العنوان الشعري، والرمز، واللغة الشعرية، والموسيقى والتكرار، والتضاد، والترادف.

أما الفصل الثالث فتناول فيه الباحث فن الرواية عند عيسى لوباني، من خلال الروايات التي نشرها، حيث بدأ الفصل بتمهيد حول الرواية، وأهميتها في العمل الأدبي، ثم تناول فيه الباحث موضوعات الرواية المختلفة، ومنها: المرأة والجنس والموضوع الوطني وجلد الذات وصورة اليهود، حيث قدم الباحث صورة شاملة عن هذه الموضوعات، من خلال الروايات، وقد تمت دراسة ظواهر فنية للروايات، ومنها: سيمياء العناوين، ولغة الرواية، والسرد، والزمان، والمكان، والتناص.

أما الفصل الرابع فتناول فيه الباحث عيسى لوباني ناقدا، وبدأ الفصل بمقدمة حول النقد بشكل عام، ونقد لوباني بشكل خاص، ثم دراسة نقده لبعض الأعمال الشعرية التي كانت تصدر حديثا لشعراء محليين، من خلال زاويته النقدية (ميزان الشعر)، وتوضيح طريقته في نقد الأعمال الشعرية فيها، كما أظهرت الدراسة نقده للرواية والقصة ومنهجه في نقدها، من خلال بعض الروايات والقصص المحلية.

وأما الخاتمة فقد عرض فيها الباحث لأهم النتائج التي توصل إليها في دراسة حياته، ومسيرته الفكرية والأدبية.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث في هذه الدراسة قلة المراجع التي تناولت حياة الأديب، فقد جاء كثير من المعلومات مكررا، ولا تعرض إلا جوانب قليلة عن حياة الأديب، وقد كان لابنته ميادة لوباني الدور الأبرز في كثير من المعلومات التي تناولت حياته، من خلال تزويد الباحث بمجموعة من الأوراق، التي ساهمت في إخراج البحث إلى النور، فلها كل الشكر والتقدير والعرفان. ومن الصعوبات كذلك أن عيسى لوباني في نقده للقصائد الشعرية لم يكن يذكر المكان الذي نشرت فيه القصيدة، مما شكل صعوبة بالغة في البحث عن المكان الذي نشرت فيه.

الفصل الأول

حياة عيسى لوباني

المبحث الأول: مولده ونشأته

المبحث الثاني: نشاطه الأدبي ونتاجه

المبحث الثالث: حياته السياسية

المبحث الرابع: دوره في الحركة الأدبية في فلسطين ومواقــف وآراء ممــن عايشوه

المبحث الأول

مولده ونشأته

"ولد عيسى أسعد لوباني في قرية المجيدل قضاء الناصرة في الجليل الأعلى عام 1926م، وأنهى تعليمه الثانوي في مدارس الناصرة، وانقطع عن الدراسة مدة طويلة خاض أثناءها معترك الحياة، لكنه عاد إلى مواصلة مسيرته الدراسية عام 1970م، حصل على الماجستيرفي الأدب العربي من جامعة تل أبيب، وتهيأ لإعداد أطروحة لنيل الدكتوراه في نفس التخصص"[1]، لكنه لم يكمل بسبب عدم وجود الوقت الكافي للدراسة، وخصوصا أنه كان يعمل ليساعد والده[2].

وتجدر الإشارة إلى أن عيسى لوباني قد " عمل معلماً حتى عام 1958م، ومنذ ذلك الحين ظل يعمل مستقلاً في محل لبيع الكتب ونشرها في مدينة الناصرة، وهو ثاني شاعر نشر ديوانه في إسرائيل"[3].

لم تكن عائلة عيسى لوباني أوفر حظاً من غيرها من الفلسطينيين، فقد عانت معاناة مريرة، وذاقت مرارة النكبة عام 1948م، " فقد هجر لوباني مع ذويه عام النكبة 1948م، إلى الناصرة وأقام فيها معهم، وعمل في مهنة التعليم، بعد أن حصل على إجازة فيها من دار المعلمين في يافا، متنقلا بين قرانا وبلداتنا، لا سيما في قرية كابول الجليلية، وبقي يعمل في مهنة التدريس حتى عام 1958م، وفي هذا العام فصلته وزارة المعارف الإسرائيلية من عمله، وكان بذلك المعلم الأول الذي يفصل من عمله؛ بسبب آرائه السياسية المتحيزة لبني قومه، ولقضيتهم العادلة"[4].

---

[1] صدوق، راضي: **شعراء فلسطين في القرن العشرين**، ص454.

[2] اتصال هاتفي أجري مع ابنة الأديب ميادة لوباني بتاريخ 2014/3/31.

[3] فرهود، كمال قاسم: **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، ص1007.

[4] ظاهر، ناجي: **الشاعر والكاتب عيسى لوباني**، عطاء أكثر من نصف قرن – ملف خاص–، مجلة الشرق، ع1، آذار1999، ص49.

لم يبخل عيسى لوباني على أرضه ووطنه من قول كلمة الحق، فقد كان دائماً مدافعاً عن فلسطين والقضية، " وكان واحداً من ذلك الجيل، واحداً غير عادي، واحداً من حجارة مدماك الأساس الذي لم يعد مرئياً اليوم من قبل ساكني البناء، الذي سحق فوقه فصار سهلاً على المغرضين تضليل بعضهم"[1].

عاش لوباني في فترة كانت الهيمنة فيها للحاكم العسكري، وكان لا يسمح للشاعر أو الأديب أن ينتقد سياسة الدولة المحتلة، فلم يطل سكوت عيسى لوباني على سياسة الاحتلال، وبدأ يدافع عن القضية الفلسطينية، ويكفي عيسى لوباني شرفاً أنه كان من الطلائع التي تحدت بالموقف السياسي، وبالكلمة شعراً ونثراً بطش الحكم العسكري الإسرائيلي، في أحلك فترات مرت على شعبنا"[2].

ويظهر الكاتب والأديب نمر مرقس جانباً من الحياة التي عاشها مع عيسى لوباني، فيقول: " كنّا في العشرين من العمر، جمعتنا ميولنا الأدبية، وعشقنا للموسيقى، ووطدت علاقتنا مشاعر المظلومين، التي شهدتها أجواء يافا المحطمة، وانغمسنا في الدراسة، وكلانا كان يحلم أن يغدو معلماً، وفي الجو المتجهم الذي عشناه كنّا نجد بعض المتعة، عندما نلتقي معلمنا للأدب العربي مراد ميخائيل (السموألي) المهجر من العراق، وكان عاشقا للغة العربية وآدابها، ومعجباً بشاعر العراق معروف الرصافي"[3].

وعاش عيسى لوباني حياة الظلم والقهر والمتابعة من السلطات الصهيونية، حتى في سنوات الدراسة الأولى، فكل حركة من حركاته كانت مراقبة، فيبين ذلك نمر مرقس قائلاً: " عشنا أيامنا وكأننا في ظروف دراسية عادية، مع أنها لم تكن كذلك، وسريعا ما اكتشفنا أن حركاتنا وسكناتنا كانت مراقبة ومرصودة، ففي أحد الأيام كنّا قد قطعنا نصف زمن الدورة أو

---

[1] مرقس، نمر: **كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب)**، الاتحاد، الأربعاء، 24 شباط، 1999م، ص15.

[2] عودة، نبيل: مقال بعنوان: **(عيسى لوباني وخواطر أخرى)**، جريدة الاتحاد، الجمعة، 19شباط، 1999م، ص22.

[3] مرقس، نمر: مقال بعنوان: **كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي، الشاعر والأديب)**، ص15.

أكثر، ففوجئنا بنبأ فصل أحد زملائنا وطرده من الدورة (المرحوم صبحي أمين ناصر من الرامة)، وكان صبحي أحد أقرب الزملاء إلينا، ولم نشعر أنه أذنب بشيىء يبرر هذه الخطوة التعسفية ضده، وتشاورنا عيسى وأنا مع زميل ثالث (إبراهيم انطونيوس بولس)، الذي كان قد عرفنا أنه على علاقة بالحزب الشيوعي حول ما يمكن عمله، وقررنا: عدم السكوت، وفي اليوم التالي طرحنا الموضوع أمام مدير الدورة، في أول حصة له لتدريس صفنا بعد حادث الفصل، وتهرب المدير من إعطاء الجواب المقنع، وأفهمنا أنه ينبغي عدم التدخل في أمر كهذا "[1].

وكان لوباني من الشخصيات المهمة في الوسط العربي، التي كان لها التأثير في المسيرة الأدبية، وقد أهله ذلك لأن" يحصل على جائزة التفرغ التي تمنحها وزارة المعارف سنويا، لخمسة من المبدعين العرب في هذه البلاد عام 1996م"[2].

"حملت مجموعة لوباني الشعرية عنوان: (أحلام حائر)،وصدرت عام 1954م، أما المجموعة الأولى فكانت " ورد وقتاد " للشاعر ابن عبلين، وقد سبقت صدور مجموعة لوباني بأشهر، وانشغل كاتبنا بعد ذلك في تحرير هذه الصحيفة، وتلك المجلة، وكتب مقالات في النقد الأدبي، وانشغل عيسى بعد ذلك عن الكتابة، إلى أن كانت سنوات التفرغ التي تلت إغلاق مكتبة الشعوب عام 1987م، وفي هذه السنوات أكثر من كتابة الروايات، فأخذ يكتب الرواية تلو الأخرى، وكان يكتب الرواية ويبدأ في كتابة أخرى، قبل الانتهاء من الأولى"[3].

لم يكن لوباني ذلك الشخص السهل، الذي يقول نعم في كل المواقف، فقد آثر أن يقول لا عندما يكون ذلك لصالح شعبه وأمته ووطنه، وهذا ما جعل السلطات الإسرائيلية تفصله من وظيفته، وهذا ما قاله صديق الأديب وليد الفاهوم، حيث قال:" طردوك يا هذا لأنك لم تقل أي نعم للجلاد"[4].

---

[1] مرقس، نمر: مقال بعنوان: **كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي، الشاعر والأديب)**، ص15.

[2] ظاهر، ناجي: **الشاعر والكاتب عيسى لوباني عطاء أكثر من نصف قرن**، ص 50.

[3] السابق، ص 50،51.

[4] الفاهوم، وليد: مقالة بعنوان: **في ذكرى الراحل الباقي عيسى لوباني "شمعة ودمعة وكأس نبيذ** "، ملحق الاتحاد، الجمعة، 5 آذار، 1999، ص21.

اقتحم لوباني جميع الميادين السياسية والأدبية والعسكرية، من خلال مشاركته في معركة المجيدل، وكان من أوائل المدافعين عن أرضه وشعبه، ويسترجع وليد الفاهوم ذكرياته مع لوباني في معركة المجيدل، مخاطبا لوباني بعد وفاته قائلاً: " أنت الذي كنت مقاتلا في ريعان شبابك، في معركة المجيدل، حيث كان سامي أخي الشقيق قائدك الذي شعرت نحوه بالبنوة الخاصة، حيث رمى معطفه عليك، والدنيا مطر في مطر في وحل، وأنت في آخر الخنادق، كم وكم ذكرت لي كلماته لك لدحر اليأس: الحرب سجال، الحرب سجال، لقد خسرنا معركتنا، لكننا لن نخسر الحرب، قلت لك في حينه: هو الذي ربّاني على جداول الضرب، وأنت الذي أكملت تربيتي على جداول الأدب، أي عيسى من الذي هداني إلى طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي؟ فأعارني إياه ثم استعاده، وبعد أن عثرت عليه أقتنيته، فأصبح كتاب السرير لدي، من الذي دلّني على روائع الأدب العالمي؟ من الذي كان يقسو عليّ حيث كنت أقرأ على مسامعه هذه القصة أو تلك الخاطرة؟ من الذي أوصاني أن أنسى كوني محامياً؟ ثم أغراني بالتخلي عن تلك المهنة، وقال لي: اخرج من جلدك، لا تكتب عن السياسة، أعطني أدباً، أعطني أمةً متحررة سياسياً، أدباً حرا فيه التزام، فنحن لسنا عبثيين، لنا قضية، من يعشق يعط كل ما لديه، أو هل تداس رقاب تأبى أن تداس؟ كما قال ذلك الشآمي شبلي شميل: ونحن من بر الشام"[1].

[1] الفاهوم، وليد: مقالة بعنوان: **في ذكرى الراحل الباقي عيسى لوباني "شمعة ودمعة وكأس نبيذ** "، ص21.

المبحث الثاني

نشاطه الأدبي ونتاجه

كانت مسيرة عيسى لوباني حافلة بالعطاء والأدب، فأصدر ديوانه الشعري (أحلام حائر) عام 1954م، كما نشر مجموعة من الروايات والقصص، " وقد نشر عيسى لوباني إنتاجه الأدبي في الاتحاد والجديد، وترجم العديد من القصص عن اللغتين العبرية والإنجليزية"[1].

اهتم لوباني بالأدب العبري والعالمي، فقد ترجم بعض قصص الكاتب العبري (شالوم عليخم)، ونشرها في الجديد، كما ترجم قصة (ذبابة الفرس) عن الإنجليزية، ونشرها بالتسلسل في الاتحاد، وترجمت بعض قصائده إلى الروسية والإنجليزية[2].

ساهم لوباني في الحركة الثقافية والأدبية بعد نكبة فلسطين، وترحيل أهلها منها، فدافع عنهم، ووصف معاناتهم، وكان من أعمدة الأدب و الفكر آنذاك، فقد كان " أحد الذين عملوا على بعث الحركة الثقافية المحلية بعد عام النكبة، وتشتت شعبنا، ورحيل مثقفيه ومبدعيه، وكان هو أحد أعمدة هذه الحركة بعطائه المتشعب، الذي كان ينشره موقعا باسمه الحقيقي، أو بتوقيع (ابن القرية) "[3].

ولقد كان عيسى لوباني من مؤسسي "رابطة الأدباء والمثقفين العرب" مع مجموعة من الأصدقاء ومنهم: عصام عباسي وراشد حسين وحبيب قهوجي وشكيب جهشان وحنا أبو حنا ومصطفى مرار وفريد وجدي الطبري. ويذكر أبو السعود الظاهر في مقال له دور هذه الرابطة في الحركة الثقافية والأدبية، فيقول: " أعطت رابطتنا دفعاً قوياً للحركة الأدبية بعامة، وللشعر بخاصة، بل أستطيع أن أقول إنها أطلقت مارد الشعر من قمقمه، فأقامت المهرجانات الشعرية، التي استقطبت الشعراء من جميع أنحاء البلدان، في الجليل والمثلث، وكان إقبال الناس على حضورها منقطع النظير، وكانت القاعات تغص بهم، وما زلت أذكر المهرجان الشعري الأول،

---

[1] بولس، حبيب: **القصة العربية الفلسطينية المحلية القصيرة**، ص633، 634.

[2] فرهود، كمال قاسم: **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، ص 1007.

[3] القاسم، نبيه: **مراودة النص "دراسات في الأدب الفلسطيني "**، ص181.

الذي أقمناه بتاريخ 1958/1/2م، في قاعة سينما "أمبير" في الناصرة، والحماس الكبير الذي استقبل به الجمهور الشعراء وقصائدهم"[1].

ويبيّن أبو السعود كيف شجعت هذه الرابطة الشعراء والأدباء، وأصبحت ملجأ يأوي إليه الكثير منهم، فيقول: "كانت رابطة الأدباء والمثقفين العرب بمثابة دفيئة نمت فيها الكثير من المواهبالتي دفعت الحركة الأدبية والشعرية إلى الأمام، وشجعت الأدباء والشعراء الناشئين وأظهرتهم، وعرّفت بهم جماهير شعبنا "[2].

مارس لوباني شتى الأنواع الأدبية، من شعر، ورواية، وقصة قصيرة، ومقالات نقدية، وغيرها من الأعمال، والجدول الآتي يبين أهم الأعمال الأدبية التي نشرها، وجاءت على النحو الآتي:

	عنوان العمل الأدبي	صنفه	جهة الإصدار	تاريخ الإصدار
1	أحلام حائر	ديوان شعر	مطبعة الحكيم–الناصرة	1954م
2	رسائل في العشق والعشاق القسم الأول (السقوط)	رواية	مكتبة كل شيء–حيفا	1993م
3	رسائل في العشق والعشاق القسم الثاني (القلق)	رواية	الحكيم للطباعة والنشر – حيفا	1994م
4	أم الخير	إيقاعات	مطبعة النهضة–الناصرة	1994م
5	شمس وقمر	رواية	الحكيم للطباعة والنشر – الناصرة	1995م
6	وجع القلب	متتالية قصصية	الحكيم للطباعة والنشر – الناصرة	1994م

وكثير من أعمال لوباني القصصية والشعرية بقيت حبيسة الورق، ولم يتم نشرها، وظلت متفرقة هنا وهناك، ولم يتم جمعها بعد، ومن هذه الأعمال بعض القصص التي لم ينشرها، ومنها:

[1] الظاهر،عدنان أبو السعود: مقال بعنوان "**رسالة إلى عيسى لوباني**"، ملحق الاتحاد، الجمعة 5آذار، 1999م، ص 22.

[2] السابق، ص22.

1- (الملجأ) قصة قصيرة[1].

2- السقوط الأخير (قصة قصيرة)[2].

3- النسور تسقط ميتة(قصة قصيرة)[3].

4- حسان والليلة المشؤومة (قصة قصيرة)[4].

5- العاشق(قصة لم تنشر من قبل)[5].

كما أن مجموعة من القصائد الشعرية لم تنشر في ديوانه (أحلام حائر)، وجاءت متفرقة بين ثنايا الكتب، ويبدو أن هذه القصائد منعت من النشر؛ لموضوعاتها التي تحرض على الاحتلال ومنها:

1) قصيدة " الحرية المسجونة "[6]

2) قصيدة "غرناطة نبع الدموع.."[7]

ولم تقتصر أعماله على الرواية والقصة، بل تعدى ذلك إلى النقد الأدبي، حيث " نشر زاوية نقدية أحدثت الكثير من الاهتمام والجدل، وكان يعالج ما ينشر من شعر في الصحف العربية المحلية، وقد سمّى زاويته " الشعر في الميزان " ثم " ميزان الشعر"، وفي زاويته تلك عالج عشرات القصائد التي كانت تنشر، وكان نقده يتميز بالحس الجمالي للغة والمعنى، وأظن أنه نهج أسلوب الكاتب والناقد اللبناني مارون عبود، واستطاع عيسى أن يعطي لزاويته الكثير من القيمة الأدبية والفكرية، وكانت زاويته مدرسة تثقيفية، وكتابة تجاوزت النقد"[8].

---

[1] قصة تم نشرها في ملحق الاتحاد، الجمعة 5 آذار 1999، ص20.

[2] نشرت في ملف خاص، مجلة الشرق، ص46.

[3] السابق، ص52.

[4] نشرت هذه القصة في كتاب: حبيب بولس:**القصة العربية الفلسطينية المحلية القصيرة**، ص633، 634.

[5] قصة لم تنشر من قبل: نشرت في ملف خاص، مجلة الشرق، ع1، آذار 1999، ص52-58..

[6] نشرت القصيدة في كتاب: "**الكلمة المقاتلة في فلسطين** "، هارون هاشم رشيد، ص175، 176.

[7] نشرت في ملف خاص، مجلة الشرق، ع1، آذار 1999، ص61،60.

[8] عودة، نبيل، مقال بعنوان:" **عيسى لوباني وخواطر أخرى** "، ص22.

كانت البدايات الأولى لعيسى لوباني صعبة للغاية لعدة أسباب، منها: الملاحقة الأمنية من الأجهزة العسكرية الصهيونية، ومحدودية النشر في الصحف والمجلات، بسبب الرقابة المشددة عليها، وبعد أن بدأت مجلة الجديد تصدر بانتظام، بدأ النشر أسهل بعض الشيء. ومع ذلك بقيت الكتابة بأسماء مستعارة، ويذكر ذلك نمر مرقس قائلاً:" وبدأنا نكتب في الجديد بأسماء مستعارة منها: (ابن القرية) و (القروي) و (قروي) و (أديب سلام)، وأذكر أول قصيدة نشرتها (الجديد) لعيسى لوباني في 1955م، وكانت بعنوان (بيتي القديم)، فقد كان نشرها حدثاً مهما ليس بالنسبة له، بل ولنا أيضاً "[1].

ويبدو أن السبب وراء افتتاح زاويته النقدية، هو المشادة بين نمر مرقس وسميح القاسم، فيذكر ذلك نبيه القاسم قائلاً:" و أعتقد أن الدافع الذي جعل عيسى لوباني يفتتح هذه الزاوية ويحررها، مشاركته في المشادة التي وقعت بين نمر مرقس وسميح القاسم، على إثر تناول نمر مرقس قصيدة لسميح القاسم بالتعليق اللاذع المثير، فما كان من عيسى لوباني إلا أن انبرى وانحاز لرفيقه وصديقه نمر، فكتب رداً عنيفاً تحت عنوان: (على السفود) هاجم فيه سميح القاسم، وعرج على راشد حسين، فأعجبته الضجة التي أثيرت، والحركة التي أحدثها في الساحة الثقافية، فخصص زاوية لذلك "[2].

ولا بد لكل أديب من مصادر لثقافته وأدبه، ولقد استمد لوباني ثقافته من مصادر متعددة، وينابيع نهل منها الكثير، لكنه لم يرتو منها، منها ما هو قديم، والآخر تأثر فيه بأدباء في العصر الحديث، وعن تأثره ومصادر ثقافته، يقول لوباني:" أنا شخصياً أتذكر قبل خمسين سنة أني التقيت وتعرفت صدفةً على الحكايات الشعبية، مثل: (عنترة) و(أبو زيد الهلالي) و(الزير سالم) و(الزناتي خليفة)، هذه القصص أو الحكايات الشعبية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في العشرينات والثلاثينات، وكانت موجودة في البيوت في كتب صفراء، لكن في سن مبكرة – 12سنة – اصطدمت بهذه الكتب، وتراثها بشهية، لدرجة أني كنت أهرب من الفلاحين، وأختبئ

---

[1] مرقس، نمر، مقال بعنوان: "**كلمة عن بناء الأساس لذكرى عيسى لوباني المعلم الديمقراطي، الشاعر والأديب**"، ص15.

[2] القاسم، نبيه، مقال بعنوان:"**عيسى لوباني الشاعر والناقد 1**"، ملحق الاتحاد، الجمعة 7 أيار 1999م، ص20.

على شجرة التوت الضخمة في القرية؛ لقراءة هذه القصص، وكنت أحلم بها دائماً، واستطعت بهذا الوقت اكتشاف أني أريد المزيد منها، لكن للأسف لم يكن هنالك كتب، إذ كانت شبه معدومة، وقرأت كل كتب الأساطير والخرافات في المرحلة المبكرة، وبعد سنوات في جيل المراهقة 14-15، اصطدمت بالأدب المهجري، وكتاب جبران خليل جبران: (دمعة وابتسامة) وقد قرأته عشرات المرات "[1].

ويذكر لوباني مدى الصعوبة التي كان يحصل فيها على الكتب، ويبيّن بعض الطرق التي تمكنه من قراءتها، ويذكر مجموعة من الأدباء العرب الذين تأثر بهم، يقول:" بدأت أبحث عن الكتب، وأوفر قرشاً على قرش لشراء روايات (شرلوك هولمز) البوليسية، لدرجة أني كنت أذهب إلى الناصرة وحيفا لشراء هذه الكتب. الكتاب المؤلف من مئة وعشرين صفحة كنت أقرأه في ساعتين، ومن لهفتي كنت أقرأه مرة ثانية، ومن هنا بدأت أهتم بالكتاب "[2].

ويبدو أن القرية لم تكن المكان الكافي لتطوير ثقافته الأدبية، فالإمكانات فيها متواضعة، والكتب قليلة، فكان انتقاله من القرية إلى المدينة، من أهم الأسباب التي طورت ثقافته، وتعرف من خلالها على شخصيات ساهمت في صقل شخصيته، وكان انتقاله في منتصف الأربعينيات، يصف لوباني أهمية هذا الانتقال قائلاً: " في منتصف الأربعينيات انتقلت من القرية إلى مدينة "حيفا"، وهنالك تعرفت على (توفيق الحكيم) و(طه حسين) و(العقاد) و(يوسف عواد) و(المازني)، وبدأت أقرأ بلغات أجنبية، لذلك من الصعب التحديد بمن تأثرت، ولكن أستطيع أن أقول بشيء من التردد: إن توفيق الحكيم سيطر عليّ في تلك الفترة، بعد (الأدب المهجري)، وأخص بالذكر جبران خليل جبران، بسبب وقوع كتبه بين يدي، لكن في نفس الوقت اصطدمت ب(طه حسين) في كتابه "الأيام " لذلك من الصعب تحديد التأثر. أنا أعتبر أن الكاتب المبدع هو مزيج من مجموعة من الكتاب والشعراء، الذين يصطدم بهم هو نفسه "[3].

---

[1] "**مع الكاتب عيسى لوباني** ": حوار أجراه طلاب مدرسة راهبات مار يوسف، إشراف الأستاذ رياض كامل، نشر في ملف خاص، مجلة الشرق، ع1، آذار1999، ص63.

[2] السابق، ص64.

[3] السابق، ص64.

المبحث الثالث

حياته السياسية

لا يستطيع الإنسان أن ينسلخ عن وطنه وشعبه، فلا بد من موقف جاد إزاء ما يتعرض له شعبه من مؤامرات، وعيسى لوباني عاش المأساة التي حلت بالفلسطينيين، فأحس بمرارة الظلم، وقهر الجلاد، فآثر أن يقاوم بطريقته، ويدافع عن أهله ووطنه، " وفي الواقع فإن أدب المقاومة على وجه الخصوص، لم يكن أبداً ظاهرة طارئة على الحياة الثقافية الفلسطينية، وفي هذا النطاق فإن المقاومة الفلسطينية قدمت على الصعيدين الثقافي والمسلح، نماذج مبكرة ذات أهمية قصوى، كعلامة أساسية من علامات المسيرة النضالية المعاصرة "[1]. ولقد التزم لوباني قضايا أمته ودافع عنها، " ونتيجة لالتزامه تجاه وطنه وأهله ودفاعه عنهم، حاربته السلطات الصهيونية، وأخذت تنقله من مكان إلى آخر "[2].

وهذا جعل لوباني بين أمرين: إما التسليم والرضا بالواقع، أو المواجهة وتحدي الحاكم. يصف نبيه القاسم وضع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة قائلاً: " وفي حالتنا العربية داخل دولة إسرائيل، تحددت مسؤولياتنا: إما التسليم بالهزيمة والخضوع، وتقبل كل ما يراد لنا من واقع ومستقبل، وإما إعلان الرفض، وتحدي الحاكم، والعمل على بعث الهوية، والمحافظة على الوجود "[3].

وقد اختار لوباني الرفض والتحدي للحاكم العسكري، والمحافظة على هويته الوطنية، والانحياز لأرضه وشعبه، ويبدو أن هذا الانحياز كان سبباً كافيا لملاحقته وفصله من وظيفته، ويتحدث نبيل عودة عن هذا قائلاً:" عيسى لوباني مناضل فصله الحاكم العسكري من سلك التعليم؛ لمواقفه الوطنية، حيث كان من أوائل المعلمين المفصولين، في فترة تميزت بالسلطة المطلقة لأجهزة الحكم العسكري "[4].

---

[1] كنفاني، غسان: **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال**، سلسلة أعمال غسان كنفاني (11)، د.ت، ص25.

[2] رشيد، هارون هاشم: **الكلمة المقاتلة في فلسطين**، ص173.

[3] القاسم، نبيه: **همسهسة الكلمات دراسات في الشعر**، دار البدء للطباعة والنشر، 2010م، ص11.

[4] عودة، نبيل، مقال بعنوان: **عيسى لوباني وخواطر أخرى**، ص22.

وكان السبب الرئيس في فصله من وظيفته، وملاحقته الأمنية وسجنه، أنه " اشترك في مهرجان الشعر بالناصرة، وألقى قصيدة عن قريته التي نسفها اليهود، وهي قرية المجيدل، ووصف فيها تعسف السلطات الصهيونية، وقسوة الإرهاب، وشقاء التشرد، وعلى أثر إلقاء قصيدته عن قريته المنسوفة، أقرت سلطات الاغتصاب فصله من العمل، وإيداعه السجن"[1].

وهذا جزء من القصيدة التي فصل بسببها، وأودع السجن، وتحمل عنوان "**الحرية المسجونة** " يقول فيها[2]:

أنا سجين في إطار من ورق
ملوّن لكنه حديد
والنير على عنقي يحرمني الطعام والشراب
حريتي معلقة على حبال مشنقة
خيوطها كلام من شفتي إنسان
لا شيء فيه يشبه الإنسان
كلامه منزل بلفظة سجان
كأنه التوراة أو آي من القرآن
يحرمني زيارة الجيران
والبحث عن أرغفة لإخوتي الصغار

وكان الهدف من فصله من وظيفته ترهيبه وترهيب غيره من المعلمين، حتى لا يفعلوا مثل ما فعل، ويذكر ذلك عدنان أبو السعود الظاهر، في مقالة يسترجع فيها الأحداث مع لوباني قبل وفاته، يقول له:" فصلوك كي يرهبوك، ويرهبوا بك غيرك من المعلمين، ويثنوك عن طريقك، ولكن هيهات لهم ذلك، لقد تمسكت بحقوق الشعب وتطلعاته، وأخلصت لها، ربيّت أجيالاً وناضلت من أجل تربية صالحة للأجيال اللاحقة، تجندت لخدمة شعبك، لم تنزو ولم تنزلف"[3].

---

[1] رشيد، هارون هاشم: **الكلمة المقاتلة في فلسطين**، ص73.

[2] السابق، ص22.

[3] الظاهر، عدنان أبو السعود، مقال بعنوان: "**رسالة إلى عيسى لوباني** "، ص22

انضم لوباني إلى صفوف الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وبدأ نشاطه تحت مظلته، وكان يضم عرباً ويهوداً، جمعهم هدف واحد هو المساواة، ورفض الاضطهاد، وعن طريقة الانتساب للحزب الشيوعي، يسرد نمر مرقس كيف كان هذا الانضمام مع مجموعة من الأدباء والمعلمين، يقول: " لم نتلبك في البحث عن عنوان يرشدنا، ويوجه خطانا، فقد كان العنوان واضحاً وساطعاً: إنه الحزب الشيوعي الإسرائيلي، الذي يضم يهوداً وعرباً، بمساواة حقيقية، ويرفع راية حق تقرير المصير للشعبين، كل في دولته المستقلة، ويحقق المساواة للمواطنين العرب، ويرفض ويقاوم سياسة وممارسات الاضطهاد، والتمييز عليهم"[1].

ومع الانتساب إلى الحزب الشيوعي بدأ لوباني نشاطه مع مجموعة من الأصدقاء، وكان يتواصل مع جموع المعلمين، وبدأ نشاطه يكبر شيئاً فشيئاً، وكانت البداية بالسر، يقول نمر مرقس: " بدأت وصديقي عيسى لوباني إقامة الحلقة السرية الأولى للمعلمين الديمقراطيين في الناصرة ومنطقتها، وقد ضمت بالإضافة إلينا زميلتنا أنيسة جبران، وعدنان أبو السعود الظاهر، وجورج جرايسي، وأكرم توفيق أبو حنا (من الناصرة)، وأكرم برانسي (من الرينة) وفرحان عرطول (من المغار)، وكان ارتباطنا هناك مع القائد الشيوعي فؤاد جابر خوري، وكان من أوائل المعلمين الذين فصلتهم وزارة المعارف في عام 1949م لأسباب سياسية"[2].

ومع هذا الحراك والعمل في الحزب الشيوعي، بدأ نشاط عيسى لوباني يكبر شيئاً فشيئاً، " وعمل محرراً في صحافة الحزب، لا سيما (الجديد)، التي كان واحدا من أعضاء تحريرها، وبعد ذلك تزامل مع الشيوعي العريق سهيل نصّار في إدارة المكتبة الشعبية، التي افتتحها الحزب الشيوعي من أجل توزيع الكتب السوفيتية"[3].

لقد أسهم النشاط والحراك في الحزب الشيوعي، مساهمات كبيرة في السياسة، مكنت عيسى لوباني ورفاقه من التحضير للدخول في انتخابات نقابة المعلمين، " وتقرر إجراء

---

[1] مقال بعنوان: "**كلمة عن بناء الأساس "(لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب)**، ص 15.

[2] مرقس، نمر: مقال بعنوان "**كلمة عن بناء الأساس لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب**"، ص15.

[3] ظاهر، ناجي: مقال بعنوان "**الشاعر والكاتب عيسى لوباني عطاء أكثر من نصف قرن** " نشر في ملف خاص، مجلة الشرق، ع1، آذار 1999، ص49.

الانتخابات يوم الأول من آذار 1955م، وبدأ الحزب الشيوعي الربط بين المعلمين اليهود والعرب؛ لترتيب خوض هذه الانتخابات، بقائمة يهودية عربية، وكان اسم هذه القائمة:(قائمة المعلمين الديمقراطيين)، وحققت نجاحاً واضحاً، ولم يرق ذلك لصحف البلاط الصهيوني، وبدأت التحريض على القائمة، والمعلمين الذين ينتسبون لها "[1].

ولكن أدباء هذه القائمة لم يرضخوا للضغوط الصهيونية، وبقي نشاطهم مستمراً من خلال الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك، لنخبة من المثقفين، " أخذت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على الذاكرة، وصيانة اللغة العربية، وبعث الحركة الثقافية العربية في البلاد، بما يبدعون وينشرون في صحف الحزب الشيوعي (الاتحاد والغد و الجديد)"[2].

بقي عيسى لوباني منشغلاً عن الكتابة الأدبية فترة من الزمن، وكان انشغاله في كتابة المقالات النقدية، والمشاركة في تحرير المجلات، " إلى أن كانت سنوات التفرغ، التي تلت إغلاق مكتبة الشعوب عام 1987م، وفي تلك السنوات تدفق في كتابة رواياته، فأخذ يكتب رواية تلو الأخرى، وتتالت رواياته في هذه الفترة واحدة تلو الأخرى، وصدرت له في فترة قصيرة نسبياً روايتان، هما الجزء الأول والثاني من ثلاثية (رسائل في العشق والعشاق)، و (أم الخير)، ومجموعة قصصية أطلق عليها صفة متتالية قصصية، عنوانها (وجع القلب)، وفي هذه الفترة نشط في مجال النشر في الصحف والمجلات المحلية"[3].

عاش لوباني حياة طويلة يملؤها الظلم والقهر، وسطوة محتل لا يرحم، اغتصب الأرض والإنسان، ودافع لوباني عن قضيته بكل ما أوتي من قوة، كان يحلم بأن لا يموت قبل أن يرى وطنه متحرراً من جلاديه، ولكنها إرادة القدر التي شاءت أن يرحل عن العالم مودعاً أحباباً وأصدقاء ووطناً مقهوراً، وأناساً عانوا الظلم والمرارة، " فارق عالمنا يوم الخميس 1998/1/28م، وذلك بعد معاناة مريرة مع المرض الذي ألم به، وجعله قعيد البيت، لا يفارقه

---

[1] مرقس، نمر: **"كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب)**، ص 15.

[2] القاسم، نبيه: **مراودة النص (دراسات في الأدب الفلسطيني)**، ص180.

[3] ظاهر، ناجي: **(الشاعر والكاتب عيسى لوباني)**، ص 50،51.

إلا لضرورات استمرار الحياة، ولممارسة بعض النشاطات الأدبية والثقافية، في هذه المدينة أو تلك البلدة، وقد أدى جلوسه في البيت، وانقطاعه عن النشر، إلى انقطاعه عن ذاكرة القراء في السنوات الأخيرة"[1].

بالرغم من غزارة الإنتاج الأدبي له، إلا أن أعماله لم تلق الحق الكافي من الدراسة والبحث، وهذا ما اعترف به بعض الكتاب والنقاد، ومنهم ناجي ظاهر، حيث يقول: "حفلت كتابات عيسى لوباني بالهموم الوطنية والإنسانية، وقد عاش الهم الفلسطيني على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، ومع هذا لم تلق أعماله الاهتمام النقدي الذي توقعه صاحبها، باستثناء دراسة للدكتور حبيب بولس عن رواية (رسائل في العشق والعشاق)، ولا نكاد نجد كتابة جادة تتطرق إلى أعماله، وما كتب عنه عدا هذه الدراسة، جاءت في باب الإخوانيات، التي تسلط الأضواء على الجانب السياسي أو الاجتماعي، وتتجاهل الجانب الإبداعي"[2].

وفي حوار أجراه بعض طلاب مدرسة (راهبات مار يوسف)، سئل عيسى لوباني " ما رأيك في النقد المحلي؟ وهل أنصفك النقّاد؟ فأجاب قائلاً: أعتقد أن النقّاد لم ينصفوني، أنا لا أتهمّهم، لكل ناقد ذوقه في الفن، وذوقه في النقد، إنما أعود و أكرر إنهم لم ينصفوني، وأنا أتصور أنه في يوم من الأيام في القريب العاجل سنرى أحدا ما ينصفني"[3].

يتفق هذا الكلام مع ما تحدث به نبيل عودة، حيث ذكر الإهمال الذي يتحمل مسؤوليته المجتمع، يقول:" عيسى لوباني يستحق الاهتمام بأعماله التي نشرت، والتي لم تنشر بعد، وأرجو أن يتم جمع كتاباته المنسية، وأنا أعرف أني أتحدث عن مشروع ليس سهلاً من جميع نواحيه"[4]. وهكذا يرحل عيسى لوباني تاركاً خلفه ثروة أدبية متنوعة، ضمت الشعر والرواية والقصة والمقالة، وتنتظر من يفتح أبوابها، ويضيىء جوانبها.

---

[1] ظاهر، ناجي: **مقال بعنوان (الشاعر والكاتب عيسى لوباني) عطاء أكثر من نصف قرن**، ص 49.

[2] السابق، ص51.

[3] حوار أجراه طلاب مدرسة " راهبات مار يوسف "، ص66.

[4] عودة، نبيل: مقال بعنوان: " **عيسى لوباني وخواطر أخرى** "، ص22.

المبحث الرابع

دوره في الحركة الأدبية في فلسطين ومواقف ممن عايشوه

كان لزاما على الأدباء والكتاب والمثقفين، أن يقفوا وقفة جادة إزاء ما يتعرض له الوطن السليب، بعد سقوط فلسطين عام 1948م، فقد أحست طائفة من الكتّاب والمثقفين أنه يجب عليها أن تنقذ أجيالاً من الضياع، والارتماء في أحضان التجهيل، والسيطرة الفكرية، ويجب على الأدب أن يؤدي وظيفته، وخصوصاً في تلك الظروف الصعبة، حيث نجد "أن أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد ربط ربطا محكما بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية، واعتبرهن طرفين من صيغة لا بد من تلاحمهما لتقوم بمهمة المقاومة"[1].

لم يكن احتلال فلسطين والسيطرة على مقدراتها وقراها ومدنها المشكلة الأول، مع خطورتها، " لكن أخطر مشكلة يواجهها العرب في الأرض المحتلة، وتوازي في خطورتها مصادرة الأرض، هي مشكلة التعليم، فقد وضع المشرع الصهيوني – استناداً إلى نظريته العنصرية – خططاً تربوية لمصادرة العقل العربي في الأرض المحتلة، وطمس شخصيته القومية، بتزوير التاريخ العربي، ومسخ ما ساهم به في البناء الحضاري، وتغذية عقول الناشئة العربية بأساطير التوراة، والتأريخ العبري"[2].

"وتحقيقاً لهذا الهدف، عملت وزارة المعارف على اتخاذ إجراءات صارمة بحق المعلمين، ومنها: الفصل من الوظيفة، وكان الهدف منها منع تثبيت المعلمين، وخصوصاً الذين لا ترضى عنهم أجهزة الاستخبارات العسكرية، وكانت مبررات الفصل غير محددة، فتعليم تلاميذك نشيد (عليك مني السلام يا أرض أجدادي)، فهذا مبرر لإنهاء عملك، وكذلك التلميح إلى أصل الشعب الفلسطيني، وما لحق به من مأساة، فهذا أيضاً مبرر للفصل"[3].

---

[1] كنفاني، غسان: **أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948– 1966**، بيروت، منشورات دار الآداب، ص117.

[2] مهنا، خالد علي: **الشعر الفلسطيني الحديث**، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978م، ص186، 187.

[3] القاسم، نبيه: مقال بعنوان: **(كلمة عن بناء الأساس لذكرى عيسى لوباني،المعلم الديمقراطي،الشاعر والأديب)**، الاتحاد، الأربعاء 24شباط 1999م، ص15.

من هنا أحست طائفة من الأدباء والمثقفين العرب، أن مصير التعليم داخل الأرض المحتلة في خطر، ولذلك " كان عيسى لوباني ومعه رفاقه: إميل حبيبي، وإميل توما، وتوفيق زياد، وعصام العباسي، وعلي عاشور، إضافة إلى حنا إبراهيم حنا، وحنا أبي حنا بعد ترحيل الأهل في عام النكبة، يشكلون النخبة المثقفة، التي أخذت على عاتقها مسؤولية الحفاظ على الذاكرة، وصيانة اللغة العربية، وبعث الحركة الثقافية العربية في البلاد، بما يبدعون وينشرون في صحف الحزب الشيوعي: الاتحاد والغد والجديد"[1].

لذلك لم يكن عيسى لوباني شخصاً عادياً يمكن نسيانه بسهولة، فقد " كان واحداً من ذلك الجيل، واحداً غير عادي، واحداً من حجارة مدماك الأساس، الذي لم يعد مرئياً اليوم من ساكني البناء الذي سمق فوقه، فصار سهلاً على المغرضين تضليل بعضهم"[2].

عاش لوباني مراحل النضال الفلسطيني المختلفة، فعاش حياة النكبة عام 1948م، والنكسة عام 1967م، فمرّ بحرقة هذين العامين وما بينهما وما بعدهما، وخلال هذه المراحل المختلفة من النضال، التقى عيسى لوباني كثيرا من رفاق الدرب، ممن عمل معهم في الحزب الشيوعي، وغيرهم من الأدباء والنقّاد، وقد أظهر كثير من هؤلاء بعض المواقف المشرقة من حياته، ومنهم:

وليد الفاهوم: حيث امتدح عيسى لوباني وأثنى عليه بقوله: " لم يمت فيه ذلك الطفل، حتى عندما سافر سفرته الأبدية، لم يكن ممدداً على السرير، إنما كان متكوراً كما الجنين في رحم والدته، كأنه يؤكد لنا مقولته: (من الرحم إلى الرحم...من رحم الأم إلى رحم الأمة)، وهكذا يا قوم، كان عيسى كلمة في رحم كتاب هذا الزمن، شمعة تحترق وتضيء حتى يراه الضنى، ودمعة على خد هذا الوطن، حتى أفناه العشق، ونبعاً ثرا لا بد أن تنهل منه أجيالنا القادمة"[3].

---

[1] القاسم، نبيه: **مراودة النص (دراسات في الأدب الفلسطيني)**، ص180.

[2] مرقس، نمر: مقال بعنوان: " **كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني، المعلم الديمقراطي، الشاعر والأديب)**، ص15.

[3] الفاهوم، وليد، مقال بعنوان: " **شمعة ودمعة وكأس نبيذ** "، ص21.

أما **نبيل عودة** فيقول عنه:" عيسى لوباني اسم يجهله عدد كبير من الأدباء الجدد، وربما الأكثر قدماً، ولا يعرفون إلا جوانب قليلة من عالمه الإبداعي، ولولا قيامه في السنوات الأخيرة بنشر بعض أعماله الروائية تحديدا، لرحل عنّا بصمت أكبر من الصمت الذي يحيط برحيله اليوم"[1].

ويبيّن **نمر مرقس** الدور الذي لعبه عيسى لوباني في الحركة الأدبية، حيث كان شاعراً ومثقفاً، وامتدت ثقافته إلى كل الذين عرفهم، من خلال مهنة التعليم، وممن عاش معهم كذلك، يقول مرقس: " إن دور عيسى لوباني لم ينحصر في مجال التعليم، وأجد من واجبي الكشف عن جانب آخر من جوانب نضاله، حيث كان عيسى شاعراً ومثقفاً، وذا علاقة بعدد من مثقفي الناصرة ومنطقتها، ومعظمهم ممن يعملون في مهنة التدريس، وكنت وزميلي عدنان أبو السعود الظاهر نتماثل معه في نهم المطالعة، وتذوق الأدب، وممارسة الكتابة أيضاً، وكان آنذاك تركيزه على كتابة الشعر"[2].

وفي ذكرى الأربعين لعيسى لوباني، أحيا العشرات من الكتّاب والشعراء وأصدقائه ومعارفه ذكراه، في حفل تأبيني مميز، في فندق الماريو، يوم السبت 6 آذار 1999م، وحضر هذا الحفل مجموعة من أصدقائه، ومنهم: وليد الفاهوم وإلياس دلة ونمر مرقس وأدمون شحاده والناقد وليد أبو بكر ونمر الخطيب وشكيب جهشان، وبمشاركة البروفيسور ساسون سوميخ، وقد أشاد كل واحد منهم بعيسى لوباني، وبإنجازاته الأدبية والإبداعية، وبينوا الجوانب المشرقة من حياته، وكشفوا بعضا من إبداعاته.

وألقى **إلياس دلة** وهو من الرفاق المقربين للوباني كلمة مؤثرة عن صديقه، حيث قال: " كنت مثلاً أعلى في الثبات على المبدأ، في عهد طغيان القوة، واشتداد الظلم، كنت شديد المراس، رغم ظروف اللجوء الصعبة، لا تنحني أمام الإرهاب؛ لإيمانك بأنه لا بد لجبروت القوة أن

---

[1] عودة، نبيل، مقال بعنوان:"**عيسى لوباني وخواطر أخرى** "، ص22.

[2] مرقس، نمر، مقال بعنوان: "**كلمة عن بناء الأساس لذكرى عيسى لوباني المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب** "، ص15.

ينحني ويتراجع أمام جبروت الحق، كنت داعية متحمساً للاشتراكية؛ لاعتقادك بأنهـا الطريـق لتحقيق العدالة الاجتماعية"[1].

ثم ارتجل القائد الشيوعي **نمر مرقس** زميله في مشوار النضال الطويل كلمة، تحدث فيها عن ذكرياته معه، قائلاً:" اختار عيسى طريقة الكفاحي المرير في صفوف الحـزب الشـيوعي، حيث كان ذلك الكفاح مقرراً أساسياً في بقاء العرب في الوطن، وحفاظهم على لغتهم وتراثهم "[2].

أما الكاتب والناقد **وليد أبو بكـر** فقد امتدحه، وأشاد بإنجازاته، حين قال: " يشكل لوباني لبنة هامة في أساس المعمار الثقافي الفلسطيني، الذي حافظ على أصالته، مقاوماً كـل ظـروف القهر، هذا الأديب الذي يتعامل مع الكلمة بسلاسة مدهشة، ومع الفكرة بعمق، ومع القلب بعاطفة لا يدخلها زيف"[3].

وفي حفل التأبين وصلت رسالة بالفاكس من جامعة كولومبيا بالولايات المتحـدة، مـن البروفيسور **ساسون سوميخ**، أشاد فيها به، حيث امتدحه قائلاً:" كان عيسـى إنسـاناً ملتصـقاً بوطنه، مخلصاً له، وقد كرس جل حياته للكفاح من أجل حرية شعبه وحقوقه، ورغم ما أصـابه وأهله من تشريد وعناء، فقد كان مؤمناً بأخوة الشعوب، واثقاً بأن السلام سيحل حتماً في أرض السلام"[4].

---

[1] كلمة ألقيت في حفل ذكرى الأربعين لعيسى لوباني في فندق الماريوت، بتاريخ 1999/3/6م، (تقرير للـدكتور محمـود عباسي نشر في ملف خاص، مجلة الشرق، ع1، آذار 1999، ص72.

[2] السابق، ص74.

[3] السابق، ص 76.

[4] رسالة بتاريخ 2 فبراير 1999م، نشرها الدكتور محمود عباسي في ملف خـاص، مجلـة الشـرق، ع1، آذار 1999، ص77.

الفصل الثاني

موضوعات شعر لوباني

المبحث الأول: الموضوع الوطني

المبحث الثاني: الموضوع الاجتماعي

المبحث الثالث: الموضوع الإنساني

المبحث الرابع: الموضوع القومي

المبحث الخامس: التشكيل الفني

الفصل الثاني

موضوعات شعر لوباني

تمهيد

عاش لوباني مراحل القضية الفلسطينية المختلفة، من النكبة إلى النكسة، وما تلاها من أحداث مرت بها فلسطين، فانتفض كغيره من الشعراء الفلسطينيين والعرب، معبرا عن المأساة بمشاعر صادقة، وأحاسيس مرهفة، فلم يعد الشعر محاكاة أو تقليدا للماضي، فقد صنعت الأحداث مواضيع جديدة، انطلقت بها ألسنة الشعراء، وعبروا من خلالها عن معاناة الفلسطينيين وآلامهم.

ويبقى للأحداث التي مرت بها فلسطين، تأثيرها على الأدباء والشعراء، فلا تكاد تخلو قصيدة من تمجيد فلسطين، والإشادة بأهلها الذين صبروا على الظلم والقهر، " فقد أوقدت المأساة عواطف الشعراء، وأضرمت أحاسيسهم، وألهبت مشاعرهم، ولا يعرف الشعر الحديث مأساة عربية قومية عامة تضرمت منها العواطف، والتهبت فيها المشاعر، كما تضرمت والتهبت في مأساة فلسطين "[1].

فكانت المأساة سببا في تشريد العديد من الفلسطينيين من بلادهم إلى مخيمات اللجوء، وإلى الشتات، وأبعدتهم قسرا عن مدنهم وقراهم التي نشأوا وترعرعوا فيها، فكانت الحسرة والندامة على الوطن المسلوب، " وشردت المأساة مئات الألوف من أبناء فلسطين وبناتها عن ديارهم وأوطانهم، وجعلتهم لاجئين يهيمون على وجوههم في الأرض، بحثا عن الغذاء والكساء والمأوى "[2].

لم يكن وضع الفلسطيني داخل الوطن المحتل أوفر حظا ممن شرد خارجه، فقد توحدت المعاناة، وتشابهت المأساة، تحت قسوة ظالم لا يرحم، وسياسات تهدف إلى ترحيل الفلسطيني من

---

[1] السوافيري، كامل: **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، مصر، دار المعارف، ط3، 2000م، ص83.

[2] السابق، ص81.

أرضه، فقد كان" يعيش في وطنه غريبا، يعاني الكثير من التفرقة والتفاوت في المعاملة والحقوق، فلم يكن في أحسن حالاته سوى مستخدم أو فلاح، في جزء من أرضه، والجزء الآخر استولت عليه الدولة بحجج وأسباب كثيرة "[1].

عاش لوباني المأساة بكل ألوانها، وخصوصا مأساة اللاجئين الفلسطينيين، الذين تجرعوا مرارة الجوع والفقر والتشرد، فأصبحوا عالة على الشعوب، يستجدون لقمة العيش، وهم يشعرون أنهم يزاحمون غيرهم فيها، " وكابد اللاجئون من أبناء فلسطين أهوالا ينوء بها البشر، فعاشوا في أول الأمر عقب الكارثة مباشرة في خيام مهلهلة، لا تقي حرا، ولا قرا "[2]، فلم يطق الشعراء صبرا، فانطلقت ألسنتهم تصف الأوضاع الصعبة التي يعيشونها، وبذلوا كل جهد لديهم لتصل هذه الصورة المؤلمة إلى كل أحرار العالم.

أما المرحلة الثانية التي مر بها عيسى لوباني، وأبناء الشعب الفلسطيني فهي مرحلة النكسة عام 1967م وما بعدها، وما تمخض عنها من تشريد مزيد من الفلسطينيين، وطردهم مما تبقى من أرضهم، فقد كانت هزيمة حزيران سببا في ظهور قافلة جديدة من الشعراء الفلسطينيين، الذين تمثلوا المأساة، وعبروا عنها بمشاعرهم الصادقة، على الرغم من خيبة الأمل التي زرعتها النكسة في قلوبهم.

كانت هاتان المرحلتان سببا في شحن مشاعر الأدباء والشعراء، وكشف مواهبهم المخبوءة،حيث تعب الشعراء من المواضيع التقليدية التي كانت سائدة قبل ذلك، فبدأت إبداعاتهم تظهر بقوة؛ للتعبيرعن هاتين المرحلتين، وهذا مرتبط بالأحداث التي مرت بها فلسطين في تلك الفترة.

لقد هيجت المأساة مشاعر كثير من الشعراء وعواطفهم، ودفعتهم إلى الدفاع عن الوطن المسلوب، بما يملكون من قدرات، فكانت المعركة المصيرية للشعراء في هذا الحال، هي الدفاع عن أرضهم، وتخليص أهلهم مما يعانون من ظلم، وقسوة تعامل المحتل الإسرائيلي.

---

[1] أبو الشباب، واصف: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، بيروت، دار العودة، ط1981،1م، ص7.

[2] السوافيري، كامل: **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، ص77.

وإذا نظرنا إلى مضامين الشعر في تلك الفترة، وجدنا أنها امتلأت بالعناصر الإيجابيـــة، التي من خلالها يدافعون عن حقهم، ولقد كان الشعر الفلسطيني في تلك الفترة على قدر كبير من الأهمية في الدفاع عن الحق المسلوب، ولو لم يكن كذلك لما ظهرت أسماء كثيرة من الشـــعراء في تلك الفترة،" ومما لا شك فيه أن الشعر الفلسطيني قبل وبعد النكبة يمثل الوجدان الفلسطيني، ويعبر إلى حد كبير عن مأساة شعبنا الذي ناضـــل بجـــرأة وشـــجاعة، وتصـــدى للمســـتعمر، والصهيونية العالمية، بكل الوسائل المتوفرة لديه "[1].

إن المسؤولية على الشاعر الفلسطيني تعاظمت بعد النكبة، وخصوصـــاً بعـــدما ازدادت مآسي وآلام الشعب الفلسطيني، فلا بد للشاعر أن يأخذ دوره في تلك الأحداث، وإذا نظرنا إلـــى شعر عيسى لوباني، فإننا نجده قد وظف الأدوات الفنية في الدفاع عـــن قضـــايا الفلســـطينيين المسلوبة، ووصف الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه داخل فلسطين وخارجها، وانطلق يكتب عن الوطن المحتل، وما يعانيه من الاحتلال الصهيوني، فكانت أشعاره تعبيراً صادقاً عمـــا يعانيـــه الشعب، ووصفت جوانب كثيرة من المأساة التي حلت بفلسطين.

[1] أبو الشباب، واصف: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص7.

المبحث الأول

الموضوع الوطني

لم يعد الوطن عند كثير من الشعراء مجرد مساحة جغرافية مترامية الأطـــراف، وإنمـــا أصبح هناك ارتباط بين الوطن والشاعر، يصل إلى درجة كبيرة، " ولقد أحب الشاعر وطنه إلى درجة العشق، ومارس الشعراء هذا الحب شعراً، بدأ بموجة من الغزل؛ تعويضا عـــن شـــعور مرير بالوحدة والاغتراب، وتمتينا لعلاقات ذلك المجتمع الصغير، الذي اكتشف فجأة أنه أصـــبح أقلية مقهورة، وسط زحام غريب، فالشعراء أكثر إحساسًا بمرارة النكبة، وأعمق شعوراً للحـــب والحنان"[1].

إن الشاعر الفلسطيني هو ابن هذه الأرض، عاش حلوها ومرها، ورأى بعينيه المأســـاة الحقيقية التي جلبها الانتداب البريطاني، متمثلة بالحركة الصهيونية، وكان عيسى لوباني واحـــداً من الشعراء الذين عاشوا مراحل القضية الفلسطينية المختلفة، واكتوى بنار الظلم والقهر والمأساة التي حلت بالفلسطينيين، فلذلك نجد التعبير عن المأساة في أشعاره، ويظهر فيها مـــدى الأســـى والحزن اللذين سيطرا عليه، فغلب على شعره المضمون الوطني أكثر من غيره، " ويمتزج في فلسطين مفهوم الوطن الجامد بمفهوم النضال السياسي، ويصبح المضمون الـــوطني مـــن هـــذا المفهوم للوطن، هو الذي يتناول الوطن بكافة همومه السياسية، وقضاياه وأحداثه، وقـــد ربـــط الشعراء بين هذين المفهومين، فعبروا عن حبهم لأرضهم، ودعوا إلى الصمود فيها، كما قـــدموا صورة للوطن، تعري المحتل من كل ثيابه الخادعة المضللة " [2].

ويعتقد البعض أن الفلسطيني الذي يعيش داخل الأراضي المحتلة، أفضل حـــالاً ممـــن يعيش خارجها، " فلم يكن الفلسطيني في الأرض المحتلة أحسن حالاً من النازحين، حيث يعيش في وطنه غريباً، يعاني الكثير من التفرقة، والتفاوت في المعاملة والحقوق، فلم يكن في أحســـن

---

[1] علان، إبراهيم: **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال**، الشارقة، مطبعة الشهامة، ط1، 1995م، ص22.

[2] السابق، ص22.

حالاته سوى مستخدم أو فلاح في جزء من أرضه، والجزء الآخر استولت عليه الدولة بحجج وأسباب كثيرة "[1].

إن ما يستدعي الانتباه عند قراءة أشعار لوباني، وقوفه على أطلال الوطن الضائع، والبكاء على الماضي المفقود، فقد ضاعت الأرض بكل مكوناتها، وتشرد الإنسان الفلسطيني في كل بقاع العالم، وأصبح مشردا يدق أبواب دول تخاذلت في نصرته، فأصبح لوباني يعيش بين مرحلتين: المرحلة الأولى عاش فيها الفلسطيني حياة الأمن والاطمئنان، والمرحلة الثانية: عاش فيها مراحل المأساة والظلم، فعندما يتذكر الشاعر الأمس، تسيطر عليه الحيرة، ويرى أنه لن يعود مجدداً، يقول[2]:

حيرة تغمر نفسي عندما أذكر أمس
وأراه قد تولى خاطر مر بحدس

ومن خلال أشعار لوباني نجد أن الموضوعات التي تطرق إليها تعبر عن انتمائه، والتزامه تجاه وطنه، وتؤكد على حق الفلسطيني المسلوب، ومعاناته في مواجهة عدو لا يرحم، ومن هذه الموضوعات:

المطلب الأول: الأرض

لم يترك الصهاينة للفلسطينيين أرضاً يعيشون فيها، ويفتخرون بملكيتها، فلقد كانت الأرض حقيقة الصراع، ولقد أدرك لوباني أنها ضاعت من أيدي أصحابها، ولم يعد للفلسطينين سوى الانتظار، انتظار التغيير الذي سيعيدها إليهم، وإلى تلك اللحظة أصبحت الأرض محبوبة الشاعر التي لا يخفي حبه لها، واتخذت " في هذه الفترة شكل الحبيبة الأنثى أحياناً، وشكل الأم الرؤوم أحياناً أخرى، ووشوا هذا الحب بكل ما يعتمل صدر المحب عادةً من مشاعر الالتصاق بهاتين الحبيبتين، فالحبيبة الأنثى تمنح الإنسان السعادة، وتغذي خياله، وتعمق ارتباطه بالحياة"[3].

---

[1] أبو الشباب، واصف: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص7.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1954م، ص5.

[3] علان، إبراهيم: **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال**، ص 23،24.

بدأ لوباني يتغنى بجمال محبوبته الجديدة (الأرض)، ويذكر أوصافها، فهي حسناء تشبه القمـــر، ولها خصر جميل، حوراء العيون، أبدع الخالق في خلقها. يقول في وصفها[1]:

حســـــناء تحكـــــي هالـــــة القمـــــر
حـــوراء يـــا لهفـــي علـــى الحـــور
حـــارت علـــى الأيـــام وهـــي منـــى
حتـــى أتـــت نـــارا علـــى فكـــري
قـــد صـــاغها البـــاري فأبـــدعها
غصـــــنا روى ترنيمـــــة الســـــحر
ســـــوى لهـــــا خصـــــراً يـــــؤوده
ترجيـــــع ذاك الـــــدل والخفـــــر
غيـــداء مـــن فجـــر المنـــى طلعـــت
عرســـاً زهـــى فـــي الســـر والجهـــر

لقد سيطرت الأرض على مشاعر لوباني، وأصبحت كل شيء في حياته، فهـــي الأمـــل الذي ينتظر تحقيقه، وهي الروح التي لا يمكن العيش دونها، وأكثر من ذلك هي آية الخلد فـــي السماء، هي (فينوس)، وهي النور الذي يهتدي إليه الإنسان في ظلمة الكون. يقول في وصفها[2]:

أمـــل أنـــت يـــا عـــروس الوجـــود
ومنى الـــروح فـــي الهـــوى المنشـــود
ومضـــة أنـــت فـــي الحيـــاة أشـــعت
آيـــة الخلـــد فـــي ســـماء الخلـــود
أنـــت "فينـــوس" قـــد بعثـــت إلينـــا
مـــن جديـــد فـــي حســـنك المعهـــود
أنـــــت أحـــــلام أمنيـــــات أطلـــــت
تتهـــادى فـــي رقصـــها المعهـــود
قبس فـــي الحيـــاة أنـــت ومـــا كنـــت

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص63، 64.

[2] السابق، ص45.

ســـوى الهـــدي فـــي الليـــالي الســـود
شـــــرعة للـــــورود فجرهـــــا الله
ونبـــــع للظـــــامئ المكـــــدود

لقد أصبحت الأرض للشاعر محبوبته المفقودة، التي يبحث عنها ولا يجـدها، فالحيـاة والموت أصبحا بيديها، وبدونها يعيش المعاناة واليأس، ولم تعد حياته سوى ذكريات من الحـب الذي كان بينهما، فالأمل في الحياة هو الأمل بعودتها إليه، فهي ماضيه الذي يفخر فيـه، وهـي حاضره الذي يرنو إليه، يقول الشاعر[1]:

فيـــك أحيـــا ومنـــك أمـــلأ
أقـــداحي ضـــلالات حبـــي المـــوؤود
مســـتثيراً حطامـــة الأمـــل الـــذاهب
والحـــب راجيـــاً أن تعـــودي
كلمـــا رمـــت بارقـــاً مـــن ضـــياء
فـــي ثنايـــا ظلامـــي المرصـــود
خفـــق القلـــب مســـتعيداً بقايـــا
ذكريـــات لعيشـــنا المجـــدود

إن عيسى لوباني لم يتورع لحظة من اللحظات في أن يجعل الأرض امـرأة، يصـف محاسنها، ويتغنى بجمالها، فهو يرى فيها العروس التي تزين أشعاره، وتزيد موضوعاته جمالاً، يقول في وصف الأرض[2]:

يـــا عـــروس الشـــعر ميلـــي أنـــت غصـــن مـــن دلال
والبســـي الثـــوب ســـنيا يســـتبيني فـــي الخيـــال
أنـــت حلـــم فـــي المنـــام
أنـــت لحـــن مـــن كمـــان
أنـــت طيـــف مـــن هيـــام

[1] لوباني، عيسى:**أحلام حائر**، ص46.
[2] السابق، ص 18.

أنـــــت نفـــــح مـــــن حنـــــان

لقد كانت الأرض حلقة الوصل بين الشاعر وماضيه، ولا عجب كما يرى الشـــاعر أن تضيء الأرض الليالي المظلمة، فهي الضياء الذي يرى من خلاله، وهي العطر الذي يشتمه من زهرها، وسناؤها هو من نورها الذي أضاء الدرب لأصحابها، ومن نارها التي اشتعلت فأحرقت مغتصبها، يقول الشاعر[1]:

وإذا مـــــا رمـــــتُ وصـــــلاً فـــــي الليـــــالي الضـــــاحكات
لـــــيس بـــــدعاً أن تضـــــيئي الـــــداجنات المبهمـــــات
أنـــــت لمـــــح مـــــن ضـــــياء
أنـــــت عطـــــر مـــــن زهـــــور
أنـــــت وهـــــج مـــــن ســـــناء
شـــــعّ مـــــن نـــــار ونـــــور

وبالرغم من الأهمية التي تمثلها الأرض لكثير من الشعراء – فهي من أهم القضايا التي وقفوا عندها طويلاً– إلا أن عيسى لوباني لم يذكر كلمة الأرض صراحة في أي من قصـــائده، وإنما رمز إليها بالمرأة، ويبدو أن ذلك لم يرق لحبيب بولس، مما دفعه إلـــى القـــول:" نشـــعر بمحاولة الكاتب الدائبة والجاهدة للترميز بأن المرأة والقضية سيان، ولكن رغم المحاولة تشـــعر في كثير من الأحيان بإسقاط الرمز على الموضوع، وبالجفاء بينهما، مما أدى إلى الفشل علـــى هذا الصعيد"[2]. ولكن أحدا لا يعلم الظروف التي مر بها لوباني، ويبدو أن السياسات التي اتبعتها السلطات الصهيونية، أثرت تأثيرا مباشرا في الشعراء وطريقتهم في كتابة الشعر.

فهل كان ذلك فشلاً فعلاً؟ أم أن الفلسطيني داخل الأرض المحتلة يعـــاني مـــن ســـطوة الجلاد، وقهر المحتل؟ إن أشعار لوباني تخلو من أي تحريض على الثورة، فلـــم يظهـــر ذلـــك صراحة في أي من قصائده، ويبدو أن ذلك بسبب " الخوف من الرقابة التي كانت تحذف كل ما تشتبه به بأنه وطني، ويضر بأمن الدولة من وجهة نظرها، حتى مجلـــة (الجديـــد) وصـــحيفة

[1] لوباني، عيسى:**أحلام حائر**، ص18.

[2] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص105.

(الإتحاد) اللتان كانتا في تلك الفترة منبراً للشعراء الأحرار، لم تكونا ترضيان بنشر جميع الإنتاج خوفاً من الرقابة "[1].

فليس من الغريب إذن أن نجد عيسى لوباني يبتعد عن ذكر الثورة، والتحريض على الاحتلال صراحة، والميل إلى الرمز في القضايا التي يتناولها، أكثر من التصريح بها، فكانت مشاركته في الأحداث بقدر ما تسمح له الأوضاع، التي كان نتيجتها فصله من وظيفته.

المطلب الثاني: المواجهة والتحريض على الاحتلال

كانت قضية الاحتلال الصهيوني لفلسطين من أهم القضايا التي شغلت الشعراء، فأدركوا أن المعركة مع المحتل ستطول، وقد أخذ هؤلاء " دورهم في هذه المعركة المصيرية، من خلال إلهاب مشاعر القومية الفلسطينية، والمشاركة في المظاهرات، وتنظيم الاجتماعات"[2].

ولكن دورهم الأبرز كان في نظم الشعر، وغايته " أن يشحن أبناء فلسطين ضد المحتل، ويعبئهم تعبئة نفسية، تحركهم وتحثهم على نفض غبار اليأس، وكسر حاجز الخوف، والعمل من أجل الوصول إلى الهدف، عن طريق تبصيرهم بواقعهم المر، ومعاناتهم الصعبة"[3].

ولكن هذه المشاركة في شحن الجماهير كانت تتفاوت بين شاعر وآخر، فبعضهم لجأ إلى الرمزية؛ نتيجة للواقع الذي يعيشه، ومنهم عيسى لوباني، فلم تكن الظروف تسمح له أن يصرح في تحريضه على المحتل؛ لأنه يعيش تحت سيادته، ولا يستطيع المجاهرة بعداوته له، ولذلك جاءت نبرة التحريض في أشعارعيسى لوباني مجرد إشارات تعلو أحياناً، وتخفت أحياناً كثيرة.

وأوصل الفلسطينيون الذين صمدوا في أرضهم رسالة إلى العدو الصهيوني، أنهم لن يتركوا الأرض، ولن يكون لهم سكن سواها، " وإذا كان الصمود في الأرض، والتأكيد على هويتها الفلسطينية العربية من أهم مظاهر رفض الواقع الصهيوني، فإن تعرية المحتل، والدعوة

---

[1] علان، إبراهيم: **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال**، ص6.

[2] أبو صالح، سيف الدين: **الحركة الأدبية في إسرائيل**،حيفا، مجمع اللغة العربية،ط1، 2010، ص285.

[3] التميمي، سمير شحاده: **الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة**،القدس، دار العودة للدراساتوالنشر،ط1، 1991، ص 10.

بصورة رمزية إلى التمرد عليه، وتمجيد البطولة والأبطال، من أهم مظاهر ثورية الكلمة الشعرية ومقاومتها للواقع في ظل ظروف قاسية "[1].

ولذلك " فإن الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية والدينية التي تشنها السلطات الإسرائيلية على الثقافة العربية والمثقف العربي، كان لها الأثر الأكبر في بلورة الإنتاج الأدبي العربي في فلسطين المحتلة "[2].

إذن هي الظروف التي تسيطر أحياناً على الشاعر، وتدفعه إلى الرمزية وعدم إظهار تحريضه على الكيان الذي يعيش فيه، فقد انقسم الفلسطينيون بعد حرب عام 1948م إلى قسمين: قسم نزح عن أرضه إلى الدول المجاورة والضفة الغربية، والقسم الآخر آثر البقاء في أرضه، ورفض الرحيل، " وهذا القسم لم يكن أحسن حالاً من النازحين، بل كان يعيش في وطنه غريباً، يعاني الكثير من التفرقة والتفاوت، في المعاملة والحقوق " [3].

ونجد في شعر عيسى لوباني بعض الإشارات التي تحث القارئ على الثورة، ونبذ المحتل، وكانت هذه الإشارات بكثير من الرمزية، فالشاعر يدعو إلى استعادة ما خسره الفلسطينيون من الأرض، ويرفض القول: إن الأرض قد ذهبت؛ لأن صاحب الأرض لا يزال على قيد الحياة، وسيأتي اليوم الذي يحررها فيه. يقول[4]:

واستعيدي ما مضى
أو فزيدي عنه شي
لا تقولي قد قضى
فكلانا بعد حي

---

[1] علان،إبراهيم: **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال**، ص22.

[2] كنفاني، غسان: **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948م – 1968م**، ص26.

[3] أبو الشباب، واصف: **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص7.

[4] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص22.

ويظهر الشاعر سطوة المحتل وقوته، ولكن الفلسطيني لن يستسلم ويخضع، فالمحتل يحاول دائماً تقييده، ولكن الشاعر يظهرالعصيان، فأحيانا سطوة المحتل تخيف الفلسطيني، لكنه سرعان ما يثورعليها مرة أخرى، يقول[1]:

وفي العقل ردّاع يقيدني قسراً
فصرت كمن يخشى هراوة ظالم
يقوّقها حربا فتملأني ذعراً
فأرتد لكن بالفؤاد لواعج
تؤجج عصياني لأقتحم الوعرا

ويتساءل الشاعر عن الوقت الذي سيعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال، ويحثهم على عدم البقاء على الحال الذي هم عليه، فالمحتل لا يجد من يزجره ويردعه عن ظلمه، ولكن تتولد قناعة لدى الشاعر أن هذا الحال لن يدوم طويلاً، يقول[2]:

حتام يا لحن تحيا بلا شاعر
والحسن والفن بدونه كافر؟
فالموج في البحر يجري بلا زاجر
لكنه يدري في عقمه داهر

إن الشاعر قد مل من مجرد التفكيرفي سيطرة الاحتلال على الأرض، وعدم التحرك لنصرتها، ولذلك يدعو الفلسطينيين إلى وضع حد لذلك، والعمل على إرجاع الأرض المسلوبة، يقول[3]:

حتام يا كرم رؤياك في الخاطر
صبابة النشوان
في معبد الألحان؟؟

---

[1] لوباني، عيسى:**أحلام حائر**، ص28،29.

[2] السابق، ص50،51.

[3] السابق، ص51.

إن الأرض هي للفلسطينيين، طردوا منها، وهجروا قسراً، فهل سيبقى الحال على ما هو عليه؟ وهل ستبقى الأرض دون أصحابها الحقيقيين؟ فيستثير الشاعر مشاعر الفلسطينيين، ويحثهم على تغيير الحال الذي هم عليه، فالأرض ينبغي أن تعود إلى أصحابها، يقول[1]:

حتام يا كرمُ تبقى بلا عاصر
كم ألبس الهمُّ رؤياك في الخاطر
صبابة النشوان
في معبد الألحان؟؟

وها هو لوباني يصور نفسه بالموج الذي يقترب من الشاطئ، مطّهراً كل الأوساخ التي علقت عليه، فهذا الموج تارة يقترب، وتارة أخرى يبتعد، وفي هذا تعبير عن الصراع مع المحتل، ويؤكد أن المحتل لن يسلبه الفرحة والأمل؛ لأنه سيظل مصمما على حقه رغم كل القيود، يقول[2]:

ما أنا إلا كموج يغسل الشط بطهره
تارة يحنو عليه ثم يعدو نحو وكره
وتر يهتز لا يفني له الليل غناء
دأبه التنغيم لا يخشى قيوداً أو قضاء

المطلب الثالث: التحسر والأسى على الوطن الضائع

كان من تبعات الحرب عام 1948م، أن ضاع جزء كبير من فلسطين، وطرد أهلها، وشردوا بالقوة، فأصبح الشعراء يبكون وطناً ضائعاً ، وأرضاً مسلوبة، وحقوقاً مستباحة، " ولقد جعل الاحتلال سلب الأرض ديدنه، وسلك إلى ذلك عدة طرق منها: زيادة الضرائب؛ حتى لا يعود ريع الأرض يفي بالضرائب المفروضة عليها، ومنها الاستملاك للغايات العامة، والاستيلاء على أملاك الغائب"[3]. ومحصلة ذلك أصبحت الأرض مسلوبة، والوطن ضائعا، فانطلقت ألسنة

[1] لوباني، عيسى:**أحلام حائر**، ص 50.

[2] السابق، ص51.

[3] أبو شريف، توفيق: **مختارات من شعر المقاومة في الأرض المحتلة**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية،(د.ت) ص6،5.

الشعراء ترثي الوطن، وتستعيد الذكريات المشرقة من حياة الفلسطيني في أرضه، وتقف على أطلال القرى التي هدمها الاحتلال.

إن سقوط فلسطين، وضياع جزء كبيرمنها، أثرفي عيسى لوباني، وبدأ يستعيد ذكرياته مع وطنه، بكثير من الحزن والمرارة، و تغمرالحيرة نفس الشاعر، عندما يعود إلى ذكريات الأمس، وقد تولت دون رجعة، يقول[1]:

حيـــــرة تغمـــــر نفســـــي عنـــــدما أذكـــــر أمســـــي
وأراه قـــــــد تـــــــولى خـــــاطر مـــــر بحدســـــي

إن الشاعريقف مصدوماً مما حصل لفلسطين، وكأن الذي حصل حلمٌ، سرعان ما غيرته الحقيقة، فالغناء والمرح والسرور، سمات ميزت الفترة السابقة، أما الآن فقد أصبحت أثرا بعد عين، يقول لوباني[2]:

وغناء أسكر الطير هوى من غير كأس
فشدت والروح ظمأى تتلوى قيد حبس
أين يا حلم تولى فجر أمسي؟

لقد طغى الليل على حاضر الفلسطيني، فأصبح يعيش أنواع البؤس، ولم يبق للفلسطيني إلا أن يتحسر على ماضيه الجميل، ويعيش حنينه إليه، ويتمنى تغير الحاضر، يقول[3]:

وسجا الليل على نفسي فقلت اليوم بؤسي
ذاك يوم قد مضى إلا بقايا من تأسي
أترى يجدي حنيني والمنى زفرة رمس

إن الوطن الذي ضاع، قضى فيه الشاعر أحلام شبابه، وعاش فيه أيامه الحلوة، ولكن أصبحت هذه الأيام سرابا يتلاشى سريعا، يقول لوباني في وصف ماضيه[4]:

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص5 .
[2] السابق، ص5.
[3] السابق، ص5
[4] السابق، ص 8.

قد قضينا فيك يا معبد أحــلام الشــباب

فشربناها مريئا من رحيــق مســتطاب

حلوة كانت لــدينا فتلاشــت كالســراب

ويرسم الشاعر مفارقه بين ماضي الفلسطيني وحاضره، وقد كان يعيش ماضيه حــرا، يتغنى بحريته في وطنه، ولكن الزمان خانه، فأصبح يعيش حاضره على الأمنيات، وبعد أن كان الوطن عطرا من زهور، يشتم رائحتها الكثير، أصبح أرضا جدباء تغطيها الصخور، يقول[1]:

غير أني بعــدما كنــت طليقــا أتغنــى

خانني الدهر فتهت اليوم فيــه أتمنــى

ويقول[2]:

غير أني بعدما كنت عبيرا مــن زهــور

صاغني الدهر قفارا من هشيم وصخور

ويظهر الشاعر حسرته على فلسطين، عندما كان لها مجدها وعزها، فقد كــان مجــدها كمجد الشمس والقمر، ولكنها بليت وأصبحت أثرا بعد عين، يقول لوباني[3]:

لهفــي عليهــا يــوم كــان لهــا

مجــد كمجــد الشــمس والقمــر

أضــفى عليهــا ســحره حلــلاً

لكنهــا بليــت علــى الأثــر

المطلب الرابع: الغربة والحنين

عاش الفلسطينيون في فلسطين أياماً لا تنسى، يملؤها الحب والحنان والراحة والأمــان، إلى أن جاءت الحركة الصهيونية، واندلعت حرب عام 1948م،فوجد الفلسطيني نفسه بعيداً عن أرضه، يعاني مرارة الغربة، ولوعة التشريد، ومن بقي في وطنه عاش غربة داخل الوطن أمر وأقسى، وبخاصة بعد1948 مباشرة.

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 56،57.

[2] السابق، ص 56،57.

[3] السابق، ص56،57

ولقد عاش عيسى لوباني الغربة داخل وطنه وعبر عنها بقوله[1]:

آه مـــــن ظلـــــم الزمـــــان شـــــرر يفـــــري الجنـــــان
كـــــــرة الأيـــــــام والســـــنين
جهشـــــــة الأنغـــــام واللحـــــون
حرقـــــــــــة الآلام غربتـــــي

والشاعر الذي يقاسي من اغترابه في وطنه، يتذكر أصحابه، ويتساءل أين أمسى هؤلاء وفي أي البلاد يقيمون، يقول[2]:

ربٌّ رحمـــاك أيـــن أمســـى صـــحابي؟
إننـــي هـــا هنـــا أقاســـي اغترابـــي
بعـــــدما آذن الرحيـــــل وولـــــى
زورق الســـحر والمنـــى والشـــباب

أصبح الفلسطيني غريبا، لا أحد يستشعر جوعه وخوفه، يعيش في ظلمة الليل، ويسير في بلاد لا يعرفها دون هدف، فأصبح مذعوراً، يتجول من بلد إلى آخر، ولا يدري أين ستقذفه الغربة، يقول لوباني[3]:

مـــــاذا تـــــرى الألحـــــان يـــا كـــرم فـــي الشـــطآن
ليســـــت ســـــوى إنســـــان يبكـــــي علـــــى إنســـــان
قـــــد لفـــــه الـــــديجور فـــــي عـــــالم النســـــيان
فســـــــار كالمـــــــذعور فـــــــي زورق الأكـــــــوان

إن لوباني يعيش الغربة وهو داخل وطنه، فأرضه التي يعيش فيها لا يستطيع أن يتصرف بشيء منها، فيصف حنينه إليها بقوله[4]:

مـــا أنـــا إلا نســـيم راعـــه الليـــل فثـــارا

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص10.
[2] السابق، ص47.
[3] السابق، ص52.
[4] السابق، ص 56.

يلثم الزهر حنانـــاً يتلـــوى حيـــث ســـارا

هاجه الشوق فغنى الناي من فيـــه هيامـــا

إن النكبة التي حلت بفلسطين، شردت أبناء الشعب الفلسطيني، وقذفتهم في بقاع شتى من الأرض، ومنهم من بقي داخل أرضه، دون أن يستطيع التصرف فيها، فيعيش، فيهـــا ولكنـــه لا يملك التصرف بشيء منها إلا بإذن مسبق، وعيسى لوباني من الفلسطينيين الـــذين ثبتـــوا فـــي أرضهم، ولكنهم لم يتمكنوا من التصرف فيها، فلم يخف الشاعر حنينه إلى أرضه وهو موجـــود فيها، وحنين الفلسطيني ليس كحنين أي إنسان إلى أرضه، " فميزات الحنين الفلسطيني وأبعـــاده الممزوجة بالغربة والاغتراب والنفي والتشريد، ليست موجودة في الأدب العربي المعاصر بمثل الكثافة الموجودة في الأدب الفلسطيني المحلي، فالعربي في فلسطين يواجه ضياع أرضه بموجب القانون "[1].

يعيش عيسى لوباني في أرضه، ويحن إليها وهو فيها، فكيف الذين يعيشون خارجهـــا، ويبعدون عنها؟! فلم يخف لوباني عظم حنينه في أشعاره، يقول[2]:

فـــــي ســـــهوب مـــــن حنـــــين كـــــم مشـــــى قلبـــــي وتـــــاه

والـــــدجى رجـــــع الأنـــــين بـــــات يشـــــكو جـــــواه

والشاعر في خلواته يسترجع أرضه و يستذكرها، ويبدي ما فعلته في نفسه من دمـــوع اشتعلت عبر سنوات شردت الفلسطينيين، وأحرقت قلوبهم، يقول لوباني [3]:

ردد النجـــوى نســـيم الخلـــوات

وأعـــــدها لفـــــؤادي ذكريـــــات

علهـــا تطفـــئ لهيـــب العبـــرات

وها هو الشاعر يعود إلى ماضيه، ويستذكر ما فيه من أشياء جميله، وما في أرضه من ذكريات، تجعل النحيل يحيا بعد موته، فالجداول تجري فيها المياه العذبة، والصباح يشرق فـــي

---

[1] عباد، عبد الرحمن: **الحركة الأدبية في الناصرة**، حيفا، مكتبة كل شيء، 2008م، ص498.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص11.

[3] السابق، ص23،22.

أجمل صورة، هي معالم من ماضيه، غيبتها قبضة عدو لا يرحم، وظالم لا يعدل، يقول لوبـــاني في استرجاعه لماضيه[1]:

انشـــــري الماضـــــي ولا تســـــلي
كـــل شـــيء: هـــل غـــدا أثـــرا؟
فـــــرنين الحـــــب... لـــــم يـــــزل
مـــــلء أنفاســـــي يشـــــي جهـــــرا

***

لفتـــــــة سلســـــــالها يجـــــــري
تـــــدفع الـــــذاوي بـــــأن يحيـــــا
جـــــدول فـــــي روضـــــته يســـــري
بـــــــنفح التحنـــــــان والرّيـــــــا
فهـــو زهـــر مـــن جنـــى الطهـــر
وعنـــــــاق يســـــــتوي حيـــــــا

يؤكد لوباني في أشعاره أن حنينه لأرضه حنين متواصل لا يتوقف، وشوقه لهـــا نـــارٌ ملتهبة يصعب إطفاؤها، ودموع الشوق لا تتوقف، فأرضه التي حرم منها وهو فيها، أحوج مـــا تكون إلى دموعه وإلى حنينه، علَّ هذه الدموع، وهذا الحنين يستعيدان شيئا منها، ويظهران جانبا من حبه لها، يقول [2]:

كـــــم أنَّـــــت الأوتـــــار تشـــــكو والحنـــــــــــين ثـــــــــــائرُ
كـــــم ماجـــــت الأشـــــواق نـــــارا والجحـــــــــيم ســـــــــاجرُ
كـــــم أنضـــــج الكـــــرم جنـــــاه والهيـــــــــام عاصـــــــــرُ
ودموعـــــه رشـــــف الأمـــــاني وشـــــــــذاه عـــــــــاطرُ

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 37،38.

[2] السابق، ص 41.

إن حنين الشاعر لأرضه حنين يخفيه في نفسه، فيوضح في أشعاره أن حنينه مكتوم لا يظهر، ويبدو أن هيمنة المحتل وقوته هي التي تمنعه من إظهاره، فيتساءل الشاعر عن المدة التي سيبقى مخفيا حبه لأرضه، وشوقه إليها، يقول[1]:

حتام يا عنقود تمشي بك الأقدار
كخافق ووؤود بين الجوى والنار
يملي الدجى أشواق مكتومة الأسرار
ما صاغها مشتاق بالوجد والتذكار

ويصور الشاعر نفسه بالنسيم الذي يثور ليلا، فيتجه إلى زهور حرم منها، ويظهر لوعته عندما يشتم رائحتها، يقول لوباني[2]:

ما أنا إلا نسيم راعه الليل فثارا
يلثم الزهر حنانا يتلوى حيث سارا
هاجه الشوق فغنى الناي من فيه هياما
وهمى الوجد دموعا فوق أوراق الخزامى

ويظهر الشاعر لذة الحياة في أرضه، قبل أن تسيطر عليها عصابات الغدر، ويبين كم كانت حياة الفلسطيني حياة أنس واطمئنان، ولكنها سرعان ما تلاشت، أما أشواقه وحنينه لماضيه فظل باقيا، ولم يتلاش، يقول[3]:

لهفي كم قضيت أنسي بأمسي
لا أبالي أسار أم هو باق
لذة العمر في الشباب تقضَّت
ليت شعري هل تنقضي أشواقي

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 51.

[2] السابق، ص 56.

[3] السابق،ص63،62.

إن المأساة سيطرت على الفلسطينيين، وحرقت قلوبهم، ويقول لوباني: إنه سيبقى على حب فلسطين، ولو احترق قلبه بنار الشوق، وشوقه هو الريشة التي يكتب فيها تاريخه، ونز حروقً الأيام هو الحبر الذي سيعبر عن المأساة، يقول [1]:

سأبقى على حبها أذوب
وأحرق قلبي بنار المشوق
ودمعي إذا ما همى يكتب
بريشة وجدي ونز الحروق

ويصور الشاعر المعاناة التي سببها الاحتلال، التي من نتاجها الألم والشوق، ألم على ما حل بفلسطين، وشوق إلى ماضٍ تلاشى في لمح البصر، يقول[2]:

كم ركبت الليل نضواً أكتم
ألماً ينزو نحيباً وبكاء
وحنيني في سراه نغمٌ
ثار يحدوه كماني في الفضاء

المطلب الخامس: ظلم الاحتلال

من الأمور التي عانى منها الفلسطينيون أثناء النكبة وبعدها، الظلم الذي وقع عليهم من الاحتلال الإسرائيلي، في كافة مناحي حياتهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية،وكما ذهب صالح أبو أصبع في قوله: " ولم يشهد التاريخ حدثاً في قسوته وظلمه مثلما حدث في فلسطين العربية، حيث شهد محاولة اجتثاث للشعب العربي الفلسطيني من أرضه، واقتلاعه من جذوره التاريخية، ومحاولات دائبة لطمس شخصيته، ومحو ثقافته "[3].

وانطلقت ألسنة الشعراء تدافع عن الفلسطيني أينما وجد، وتثبت جزءاً من حقه المسلوب، وتكشف للعالم ألوان الظلم التي يعيشها الفلسطينيون، وعيسى لوباني واحد من أدباء فلسطين،

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 66

[2] السابق، ص 24،25.

[3] أبو أصبع، صالح: **فلسطين بين تحدي الوجود وثقافة التحدي**،دار البركة للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص64.

عايش الظلم الذي وقع عليهم، وبالرغم من الإجراءات التعسفية التي كانت تتخذها السلطات الإسرائيلية، إلا أن ذلك لم يمنعه من التعبير عن ذلك الظلم، فالزمان ظلم الفلسطينيين وشردهم، ومنعهم أن يعيشوا كما يعيش غيرهم، فيصف لوباني ظلم الزمان للفلسطينيين نتيجة لجرائم الاحتلال قائلاً [1]:

آه من ظلم الزمان شرر يفري الجنان

كرة الأيام والسنين

جهشة الأنغام غربتي

ولا يختلف اثنان على الظلم الذي وقع على الفلسطينيين، وورثهم الحرقة والألم، وجعلهم عالة على الشعوب، يرتجون لقمة العيش من الآخرين، ويرى لوباني أن ظلم الزمان هو شعلة من الهوان تتموج يمينا وشمالا، ويصف هذا الظلم قائلا [2]:

آه من ظلم الزمان شعلة ماجت هوان

سورة الألحان والشعور

رقصة الأغصان والطيور

كلها أحزان فرحتي

ويرى لوباني أن قسوة الحياة هي في الظلم والسجن والحزن والهم والوحدة، وكل هذه الألوان ذاقها الفلسطينيون، وعانوا منها، فأصبحت جزءا من حياتهم، فيصف قسوة الحياة قائلا[3]:

آه ما أقسى الحياة رنّح الوجد مناه

ليلة المظلوم والسجين

رعدة المحموم والحزين

ذهلة المهموم وحدتي

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 10.

[2] السابق، ص 10،11.

[3] السابق، ص11.

إن السلطات الإسرائيلية مارست أقسى أنواع الظلم والقهر علـــى الفلســـطينيين داخـــل الأرض المحتلة، ومنعتهم من التعبير عن رأيهم، أو حتى المجاهرة بحبهم لوطنهم، والدفاع عنه، فاتخذت أقسى الإجراءات لمن يحاول أن يخرج عن سياستها، فكانت تتعمد تجهيل الفلســطينيين وحرمانهم من التعليم حيث إن " سياسة التجهيل المتعمد هي سمة بارزة من سمات الاضـــطهاد الثقافي الصهيوني لعرب الأرض المحتلة"2[1]، ويصف لوباني ذلك التقييد والاضطهاد بقوله[2]:

وفـــي العقـــل ردّاع يقيـــدني قســـرا
فصرت كمـــن يخشـــى هـــراوة ظـــالم
يقوّقهـــا حربـــا فتملأنـــي ذعـــرا
تـــؤجج عصـــياني لأقـــتحم الـــوعرا
ومـــا أنـــا بالحـــاليين غيـــر شـــقاوة
أعصـــرها حينـــا وتعصـــرني دهـــرا

[1] كنفاني، غسان: **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال**، ص19.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 28،29.

المبحث الثاني

الموضوع الاجتماعي

كان الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين في العام 1948 سببا في تفريق الفلسطينيين، وتغيير نمط حياتهم الاجتماعية، فأصبح الفلسطينيون يعيشون حالة من التشرد والفقر والضياع، فوقف الأدباء يبحثون عن الأسباب التي أدت إلى تغيير بنية المجتمع، ومحاولة معالجتها، فلا نكاد نرى أديباً فلسطينياً أو عربياً يتناول قضية فلسطين، إلا وبدأ يبحث عن الهموم التي يعانيها الإنسان الفلسطيني، وأهم الآفات الاجتماعية الموجودة فيه، " وبدأت رسالة الشعر الاجتماعية تؤكد أن المحتوى الاجتماعي من العوامل الفعالة في إعلاء قيمة الشعر الفنية، فالأدب لا يكون أدباً ذا قيمة، إلا إذا أثر في المجتمع، والشاعر بشعره طبيب نفسي، يعرض للمفاسد الاجتماعية، فيحلل المواقف الناشئة عن هذه المفاسد، ويتناول الإنجازات الاجتماعية التي حققها أبناء الشعب، ويمارس دور الناقد الاجتماعي، فيشخص الأدواء، ويصف لها العلاج الشافي؛ لتخليص المجتمع منها "[1].

ولقد أخذ عيسى لوباني دوره في وصف الحياة الاجتماعية الفلسطينية، فالفلسطيني جائع وفقير ومشتت، يستجدي دولاً هو غريب عنها، وصلته تكاد تكون معدومة، وحياته في بقع جغرافية محدودة، ضمن قوانين قاسية، وسياسات عنصرية.

لقد ضعف دور الشعر في تصوير الجانب الاجتماعي، قياسا لدوره في مقاومة الاحتلال، والقارئ لأشعار لوباني يلحظ معالجته لهذا الجانب، ويرى المتوكل طه أن العامل الاجتماعي أو تفاصيل الحياة اليوميةغابت " من النص الأدبي، وصار الهجوم على الاحتلال موحداً، وجامعاً، وملخصاً لكل الخلافات، أو التناقضات "[2].

---

[1] عليان،محمد شحاده: **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 1، 1987م، ص34.

[2] طه، المتوكل: **مقدمات حول الشعر الفلسطيني الحديث والثقافة الوطنية**، رام الله، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2004 م، ص24، 25.

عالج لوباني المشاكل الاجتماعية التي خلفها الاحتلال، ووصف المجتمع الذي يعيش فيه، ومشكلاته التي أضعفت بنيته، ولكن معالجته لهذه المشاكل لم تأخذ حيزا كبيرا في أشعاره، وكان المحتل السبب المباشر فيها؛ نتيجة سياساته العدوانية، وممارساته العنصرية، ومنها:

المطلب الأول: الفقر والجوع

لم يكن وضع الفلسطيني داخل أرضه أحسن حالاً من الذين خرجوا منها، فقد كتب على الفلسطيني أن يعاني أينما وجد، ويقاسي مرارة الفقر، وذلّ التسول في مناطق اللجوء، فأدرك عيسى لوباني ذلك، وبدأ يصور هذه الآفة الاجتماعية في أشعاره، فالفقر شبح يخيف الليل ويفزعه، ولفظه تحتوي كل المصائب، يقول لوباني [1]:

صاغها الفقر في جليل مصابه
شبحاً يفزع الدجى في انتحابه
لفظة قد حوت عصيب الرزايا
يا لها من مصيبة في كتابه

ويصور الشاعر ذل الفلسطيني وفقره، وكيف يقف متسولاً يطلب المال من غيره، فهو لا يملك إلا ذل السؤال، فأصبح بعد فقده أرضه مشردا ضائعا، يفتقد أبسط الأشياء، يقول لوباني[2]:

أيها الناس لا عدمتم فؤاداً
يبذل العطف في وسيع رحابه
أيها الناس لا عدمتم رحيماً
يخلص العون للفريق المجابه
من كفى للفقير ذل سؤال
فسيلقاه في جزيل ثوابه

لقد أقلق وضع اللاجئين الفلسطينيين، وما يعانونه من جوع وتشريد وألم، بعض الدول التي أسهمت في هذه الكارثة، وأحست أن اللاجئ الفلسطيني يعيش حياة الشقاء والجوع والتشرد،

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص30.
[2] السابق، ص 32،33.

ومن هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية، " فقد عبر (جورج ماك غي) مساعد وزير الخارجية الأمريكي، عن قلقه بشأن العلاقة بين وجود اللاجئين الفلسطينيين، ومستقبل المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، ودعا الولايات المتحدة لدعم وكالة الغوث مالياً "[1]. فأمريكا هي التي دعمت إسرائيل في بداية تشكلها، فقلقها هذا ليس ناجما عن خوفها على الفلسطينيين بل الخوف على مصالحها.

ولم يكن الشعراء والأدباء بعيدين عن هذه المأساة، وبدأوا تصوير حياة البؤس التي يعيشها اللاجئ الفلسطيني، " وقد اتسع تصوير المأساة، فشمل ما يقاسيه اللاجئون من آلام نفسية، وما يعانون من مرض وجوع وعري، وطول انتظار ما تجود به (وكالة الغوث) من إعانات هزيلة"[2].

ولقد أحس اللاجئ بأن المساعدات التي تقدمها (وكالة الغوث) مجرد صدقات هزيلة، وأصبح متسولاً، يطلب طعامه من الآخرين، واتسعت دائرة الفقر والجوع، حتى في الدول التي لجأ إليها الفلسطيني، وأصبح وضع اللاجئ الفلسطيني لا يطاق.

وقد أخذ الشعراء والأدباء دورهم الريادي في وصف هذا الحال، وإبراز المعاناة الحقيقية للفلسطينيين، " فأخذوا يتحدثون عما يعانيه اللاجئ من صنوف الجوع والعري والتشتت، والإحساس بوطأة الغربة، وبكونه عالة على الصدقات الشهرية، من طحين وسكر وغير ذلك "[3]. ولم يكن لوباني بعيداً عن هذا الحال، فأخذ دوره في تصوير هذه الحالة من الجوع والحرمان والفقر، فأصبحت كلمة الفقر مصابه الجلل، والشبح الذي يفزعه، وكلمة تحوي صنوفاً شتى من العذاب.

وتظهر المعاناة في حاجة الإنسان الفلسطيني إلى أبسط الأشياء، ولكن هذه الأشياء لا تتوفر لديه، فيحس معنى المأساة التي يعيش فيها. يقول عن ذلك[4]:

---

[1] عليان، محمد شحادة، **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص40.

[2] السابق، ص41،40.

[3] **الموسوعة الفلسطينية**، بيروت، ط1، مج 4، 1990، ص25.

[4] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**،ص70.

وقفـــت للزمـــان وهـــي زمـــان
تســـتكف الكفـــاف فضـــل جرابـــه
فغـــدا مـــدبراً ولكـــن بلاهـــا
بشـــقاء قـــد حـــد مـــن أنيابـــه

ثم إن الجوع ذئاب تنهش من جسد الفلسطيني، وهذه المعاناة لا تجد مـــن يبصـــرها، أو يخفف من وقع ألمها، فيطلب من نفسه أن تظل منزوية، وأن تسكت وتنام؛ لأن أحدا لا يســـتمع إليها، وهكذا فإن معاناة الفلسطيني لا أحد يبالي بها، فيطلب من نفسه أن لا تـــتكلم مطلقـــا، وأن تسكت وتنام. يقول[1]:

اسكتي يا نفس وارقدي فـــي الزاويـــة
وأغلقي الأبواب فالريح ذئـــاب طاويـــة
عضها الجوع بأنيـــاب حـــداد قاســـية
اهجعي يا نفس لن تلقي نفوساً صاغية

المطلب الثاني: التشريد

جعلت نكبة 1948 عيسى لوباني يصرخ في أشعاره؛ معبرا عنها، فيصور الفلســـطيني وقد جلس مشرداً في الطرقات،ينتظر من يواسيه، ولا مكان له، يقول[2]:

جلســـت فـــي الطريـــق تبغـــي عـــزاء
كمشـــوق ذاب مـــن حـــر مـــا بـــه
ترســـل الطـــرف للســـماء كلـــيلاً
كشـــعاع حـــار فـــي أســـبابه
وتنـــادي والـــروح فيهـــا خشـــوع
وصـــلاة والقلـــب فـــي محرابـــه
لـــم تعـــد تـــدري للزمـــان مكانـــا

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص31،30.
[2] السابق، ص 31.

ويبين لوباني أن الهدف من أشعاره، هو أن يعيد شيئاً من كرامة المشردين، الذين شردوا من أرضهم، ويعطي بريقاً من نور إلى كل الذين طردهم الاحتلال، يقول[1]:

سـيبقى نشـيدي يقـود الشـريد
ليحظـى بشـيء يـرد العـزاء
ويسـكب نـوراً جـلاه الأسـى
يبـدد منـه ضـباب الشـقاء

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر** ، ص70.

المبحث الثالث

الموضوع الإنساني

كان من نتائج حرب العامين 1948م و 1967م أن خلفت أعداداً كبيرة من الفلسطينيين، يعانون ظروفاً إنسانية قاسية، وأحوالاً معيشية صعبة، فوقف الأدباء الفلسطينيون والعرب مصدومين من الأوضاع الإنسانية في الأراضي المحتلة وخارجها، فبدأوا يصفونها وصفاً دقيقاً، فالألم الذي يكابده الفلسطينيون أصبح لا يطاق، والعذاب الذي يمرون فيه لا تتحمله الجبال، فكان لزاما على الأديب أن يطرق مجموعة من المواضيع التي تمس حياة الإنسان، ومنها:

المطلب الأول: الألم

لا ينكر أحد أن آلام الفلسطينيين بعد احتلال أرضهم وتشريدهم منها بقيت قائمة، وظروفهم أصبحت أصعب، فهب الشعراء يصورون آلام شعبهم، نتيجة بعدهم عن أرضهم، ومما لا شك فيه أن عيسى لوباني تألم مثل شعبه، ومن الطبيعي أن يصف جوانبه، فهو يبين تراكم الآلام فوق بعضها، وكلما حاول الفلسطيني أن ينسى الألم، يعود ويتجدد مرة أخرى، يقول واصفاً ذلك[1]:

يـــا ابنـــة الليـــل كفـــى ألـــم فـــوق ألـــم
أتـــرى الماضـــي غفـــا بـــين طيـــات العـــدم
آه كـــم حـــرت وكـــم راعنـــي صـــوت" نعـــم"

ويبين الشاعر أن الغربة جلبت الألم والحزن للفلسطينيين، نتيجة المآسي التي تتجدد فيها يومياً، فهي أصبحت تحمل كل يوم مزيدا من المفاجآت للإنسان الفلسطيني، يقول[2]:

كـــرة الأيـــام والســـنين
جهشـــة الأنغـــام واللحـــون
حرقـــة الآلام غربتـــي

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص8،9.

[2] السابق، ص10.

ثم إن الشاعر لا يستطيع أن يكتم ما يعتصر قلبه من الألم والحزن، ودمعاته أصـــبحت دما يسيل من عيونه، فأصبح الوطن هم الشاعر الأول،الذي يعطيه كل تفكيره، يقول[1]:

آه يا معبد لـــو أســـتطيع كتمـــان شـــجوني
ملكت نفسي وفكري واضـــطرابي وســـكوني
قطرتني أدمعاً كالدم فاضـــت مـــن عيـــوني

ولا يخفى على أحد ما وصلت إليه نفس الشاعر من حزن وألم، نتيجة لهزيمة العرب في العام، 1948، وفقدان الأمل بإعادة ما سيطر عليه اليهود، يقول[2]:

فهي شوق ولظـــاه لفـــه الليـــل فتـــاه
كلما رام مناه آضـــه الحـــزن شـــجون

ويجري الشاعر حواراً مع نفسه، يستحلفها من خلاله أن تسكت؛ لأنها لن تجد من يستمع إليها، وإن الوعود الكاذبة التي يسمعها زادت من حرقته وحزنه – وذلك إشارة إلى وعود العرب بإرسال الجيوش إلى فلسطين لتحريرها – فولد لديه الحزن والأسى والحسرة. يقول[3]:

اسكتي بالله يا نفس وحيدي عـــن طريقـــك
مزق الحزن ثناياك فكفـــي عـــن شـــهيقك
ترهات الناس والأيام زادت فـــي حريقـــك
اسكتي يا نفس لن تلقـــي ربيعـــاً يروقـــك

ثم يبين الشاعر أنه بالرغم من الحزن الذي يغطي لياليه، إلا أنه كانت لديه آمال يصـــبو إلى تحقيقها، وسرعان ما تلاشت، وذهب وقتها، فلم يبق سوى الحديث عنها وتذكرها، ويعبـــر عن ذلك قائلاً[4]:

هـــل يكـــره المحـــزون ليلـــة حزنـــه
إن كـــــان فيهـــــا للمنـــــى ألـــــوان!

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر** ، ص10.
[2] السابق ص16،15.
[3] السابق، ص 34.
[4] السابق، ص44،43.

ضـــاعت أمانيـــه وفـــات زمانهـــا

إلا بقايـــــا رجعهـــــا ألحـــــان

ويبكي لوباني عمره الذي ضاع في غمرة الأسى والعذاب، وذكريات كلما عـــاد إليهـــا عرف مقدار المعاناة التي مر بها، والجحيم الذي عاشه، فقد ضاع عمر الشاعر وهـــو ينتظـــر الأمل بتحرير فلسطين، ولكن دون جدوى، فآثر أن يطوي كتاب أيامه، وصفحاته السود. يقول[1]:

ضاع عمـــري واليـــوم أطـــوي كتـــابي

فـــي ظـــلام مـــن الأســـى وعتـــاب

طـــال ســـهري وطـــال ليـــل عـــذابي

فـــي جحـــيم مـــن ذكريـــات الشـــباب

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص47.

المبحث الرابع

الموضوع القومي

لا يستطيع الإنسان الفلسطيني أن ينفصل عن قوميته العربية، فهناك روابط كثيرة جمعت بين العرب جميعا، ومنها: الدين، واللغة، والتراث، والتاريخ، مما يجعلهم أمة متميزة عن غيرها من الأمم والشعوب، فكان الهم واحدا، والمصير مشتركا،وتقوى وتشتد هذه الروابط " في المناسبات والأحداث والاحتفالات، والحروب التي تهدد سلامة الأمة وأرضها ومصالحها، وبالتالي فإن منبع القومية وبذرتها الأصيلةهو حب الأهل"[1]، وظل الفلسطينيون يشاركون العرب أحلامهم، وآلامهم، وهمومهم، وقد عبر كثير من الشعراء عن الروح القومية، وأظهروا ارتباطهم بالأمة العربية، والقواسم المشتركة التي تجمعهم بها.

وظل هذا الانتماء إلى القومية العربية قائما، إلى أن جاء قرار التقسيم، وفوجئ الفلسطينيون أنهم أمام عمليه سرقه لأرضهم، ووطنهم، وممتلكاتهم، ومع الأسف كانت بمشاركة عربية، وعملت الدول العربية على إقناع الناس أنها ستستعيد ما ذهب من أراضيهم، وستجهز الجيوش لاستعادة ما سرق من أرض فلسطين من خلال قرار التقسيم، فجهزت الدول العربية جيوشها استعدادا لدخول فلسطين فور انسحاب بريطانيا منها، ولكن هذه الحرب أظهرت ضعف العرب وتشتت أهدافهم، فكان نتاج ذلك الهزيمة ولا شيء غيرها، فتشردت أعداد كبيرة من الفلسطينيين إلى خارج فلسطين، ومنها إلى الدول العربية المجاورة، والضفة الغربية، وقطاع غزة، ليعيشوا مرارة التشرد، وقسوة الحياة.

"وحين أحكم الاغتصاب الإسرائيلي طوق الحكم العسكري والحصار والقوانين القمعية على التجمعات العربية في الريف، خصوصا في الجليل والمثلث والنقب، كان الجو مهيأ له تماما لتحقيق عملية كبح خطيرة لأي تيار سياسي أو أدبي"[2]، فولّد هذا الحال ردة فعل غاضبة لدى كثير من الأدباء والشعراء، وبدأوا يصفون حالهم وحيدين، دون معين، وقد تخاذل العرب في

---

[1] عطوات، محمد عبد الله: **الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر1918-1968**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1998، ص358.

[2] كنفاني، غسان: **أدب المقاومة في فلسطين المحتلة1948-1966**، بيروت، منشورات دار الآداب، د.ت، ص10،9.

نصرتهم، والدفاع عن قضيتهم، فليس من الغريب أن نلحظ في أشعار لوباني ردة فعل غاضبة تجاه الدول العربية، وعتابا على مواقفهم تجاه الفلسطينيين.

لقد عقد الفلسطينيون آمالا كبيرة على الدول العربية في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وكان الفلسطينيون يعتقدون أن العرب هم المتراس القوي الذي يستطيعون الاختباء خلفه، وسرعان ما تلاشت هذه الآمال، وذهبت سريعا، " واستطاعت العاصفة الجامحة التي اجتاحت الوطن العربي صبيحة الخامس من حزيران 1967م أن تعصف بالأبواب المغلقة، وأن تجعل الواقع العربي بكل ما فيه من زيف وعفن وخراب، ينكشف واضحا أمام عيوننا، بل أمام عيون العالم أجمع"[1]، فبقي الفلسطيني وحيدا يقارع ظلم محتل لا يرحم، وظلم ظروف قاسية خارج أرض فلسطين،ولقد عبر لوباني عن هذا التخاذل العربي، ووقوف الفلسطيني وحيدا يتحدى ظلم المحتل، يقول[2]:

فبقيت اليوم وحدي صارخا والليل مرس
أيــن يــا دوح تــولى فجــر أمســي؟

ويقول كذلك[3]:

فغدوت اليوم وحدي والدجى يومي كخرس
أيــن يــا نــور تــولى فجــر أمســي

ويظهر الشاعر عتابه ولومه لإخوانه العرب، فقد احتلت فلسطين، وشرد أهلها، وبقي الفلسطيني وحيدا لا يملك سوى الشكوى والعتاب، ويصف أن وعود العرب بتحرير فلسطين، لم تكن إلا أحلاما وأوهاما كاذبة، ولم يكن اعتماد الفلسطينيين على العرب آنذاك سوى سراب ورهانات خاطئة، يقول لوباني[4]:

أظلــم الليــل وكــم تهــت بــه

---

[1] التميمي، حسام جلال: **صورة اللاجئ الفلسطيني في الشعر الفلسطيني**، ص 24.
[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص6.
[3] السابق، ص6، 7.
[4] السابق، ص64،63.

شـــاردا وحـــدي وأشـــواقي عبـــاب

أحمـــل الهـــم وبـــي مـــن كربـــه

مهجـــة حيـــرى وشـــكوى وعتـــاب

وفـــؤاد مـــا جنـــى مـــن حبـــه

غيـــر أحـــلام وأوهـــام كـــذاب

مســـتبد حـــرت فـــي تأنيبـــه

فهـــو منـــي، وأنـــا منـــه ســـراب

كلمـــا عاتبتـــه، كـــي يســـتريح

مـــــــــن ســـــــــراه

رد فـــي الأعمـــاق صـــوت كـــالفحيح

هـــــــــل تـــــــــراه؟

إن لوباني يدرك أنه دون إخوته العرب ضعيف، لا يستطيع الطير، فبدونهم هو جنـــاح واحد، ولا يستطيع أن يحقق ما يريد، فمن جفاء الدهر، إلى لهفة على الماضي، يصـــور ذلـــك قائلا[1]:

مـــا أنـــا إلا جنـــاح لا يطيـــر

ســـامه الـــدهر جفـــاه ورمـــاه

لهفـــة خرســـاء كـــم فيهـــا قبـــور

فـــي ربيـــع العمـــر فيهـــا حيـــاه

إن هزيمة العرب في حرب عام 1967 ولدت حالة من اليأس وعـــدم ثقـــة بـــالجيوش العربية، فتنوعت أصناف المعاناة، وكبرت المأساة، " فذكرى حزيران في الشعر مؤلمة، تكـــاد تصرع اللاجئين، ولا سيما أنهم لم يروا أي تقدم في صفوف الجيوش العربية، ولا يتلقون غيـــر الوعود الكاذبة"[2]. كما ويظهر لوباني أن صرخات الفلسطينيين أصبحت بـــلا فائـــدة، وتوســـلهم

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص27.

[2] التميمي، حسام جلال: **صورة اللاجئ الفلسطيني في الشعر الفلسطيني الحديث**، ص 21.

للآخرين دون جدوى، فكل النداءات ضاعت، ويفضل السكوت على الكلام الذي لا يأتي بنتيجة، ويفضل الصمت على الصرخات التي يرجعها الصدى، فيعبر عن ذلك قائلا[1]:

اهجعي يا نفس لن تلقـــي نفوســـا صـــاغيه
جسدي الناحل أضـــنته الخطـــوب الطاغيـــه
شـــبحي المكـــدود ذرتـــه الريـــاح العاتيـــه
صرخاتي ! هي ضاعت في سحيق الهاويـــه
اسكتي يا نفـــس رحمـــاك ونـــامي آســـيه

ويبين لوباني الحالة الصعبة التي وصل إليها الفلسطينيون، فلا شيء واضـــح أمـــامهم، فالاكتئاب يغمرهم، وطريق غير واضحة المعالم، ووعود هنا، وكلام هناك، مما ولـــد الحيـــرة واليأس لديه، فيعبر لوباني عن هذا الحال قائلا[2]:

قـــــد صـــــاغني العبـــــاب مـــــن لجـــــه العميـــــق
وســـــرت فـــــي اكتئـــــاب أستوضـــــح الطريـــــق
يغمرنـــــي الســـــراب يمـــــلأه النقيـــــق
فحـــــرت فـــــي الـــــذهاب وتهـــــت فـــــي الـــــرواح

وباحتلال فلسطين والسيطرة على أجزاء كبيرة منها في العام 1948، أظلمت الدنيا فـــي وجه الإنسان الفلسطيني، وأصبح مشردا في بقاع العالم، يملؤه الشوق إلى أرضه، وبلـــده التـــي هجر منها، ووطنه الذي يعاني فيه الويلات، فلم يجد أمامه سوى العتاب لمن خـــذلوه، وتخلـــوا عنه، وكان كلامهم في الدفاع عن الفلسطينيين، مجرد أحلام ووعود كاذبة، يقول لوباني [3]:

أظلـــم الليـــل وكـــم تهـــت بـــه
شـــارداً وحـــدي وكأشـــواقي عبـــاب
أحمـــل الهـــم وبـــه عـــن كربـــه
مهجـــة حيـــرى وشـــكوى وعتـــاب

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص34،33.

[2] السابق، ص13.

[3] السابق، ص 23.

وفـــؤاد مـــا جنـــى مـــن حبـــه

غيـــر أحـــلام وأوهـــام كـــذاب

لم يعد الكلام يجدي عند الفلسطيني، فإذا كان القريب قد تخلى عنه، فكيــف بالبعيــد ! ومحصلة الأمر أن الفلسطيني يعيش حالة من اليأس؛ نتيجة لمواقف العرب المخجلة، وفي حوار لعيسى لوباني يقول لنفسه: اسكتي فلم يعد للكلام قيمة، ولم يعد هنالك من يستمع إليك، ويرســم هذه الصورة مخاطباً نفسه قائلا[1]:

اسكتي يا نفس لن تلقي يقينا من حــوارك

سوف تبقين على ما أنت فيه من قيــودك

أنت تفنين مع الأنـــات مكنـــون جهــودك

عبثاً ما تنشدين اليوم من معنـــى وجــودك

اسكتي يا نفس نامي وارقبي يوم صــعودك

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 35.

المبحث الخامس

التشكيل الفني

المطلب الأول: العنوان الشعري

للعنوان أهمية كبيرة في العمل الأدبي، وله دلالات لايمكن تجاهلها، تمكن المتلقي أن يصل إلى المضمون بطريقة أسهل،" فهو بمثابة الرأس للجسد، والنص تمطيط له وتحوير، إما بالزيادة أوالاستبدال أو النقصان أو التحويل"[1].

لقد كتب عيسى لوباني ديوانه الشعري " أحلام حائر " في العام1954م، وضم اثنتين وعشرين قصيدة، عنونها صاحبها بعناوين مختلفة. فقد أسمى الديوان (أحلام حائر)، ويتكون من كلمتين الأولى:(أحلام)، والثانية: (حائر)، فكلمة أحلام تدلل على الآمال الكبيرة التي عقدها الفلسطينيون على إخوانهم العرب، ليتبين فيما بعد أنها أوهام كاذبة، لا أساس لها من الصحة، والكلمة الثانية من عنوان الديوان (حائر)، وهذا يعبر عن الحيرة والتردد واليأس التي مر بها الفلسطينيون، فلم يعد بإمكانهم أن يفعلوا شيئا. لذلك كانت القصيدة الأولى من الديوان بعنوان (حيرة) ليؤكد على عنوان الديوان فيبدأ القصيدة بقوله[2]:

حيرة تغمر نفسي عندما أذكر نفسي
وأراه قد تولى خاطر مرّ بحدس

يقف الشاعر في هذه القصيدة حائرا، ممعنا في صورتين، الأولى: صورة الوطن الجميل الذي يحمل كل شيء جميل، والثانية صورة الدمار الذي حلّ بأرضه ووطنه، فوقوف الشاعر على أطلال وطنه، كوقوف القدماء على أطلال محبوباتهم، وبالطبع تمثل الأرض محبوبة الشاعر، التي يحمل في قلبه حبا كبيرا لها،.فنجد في قصيدة (حيرة) أن كلمتي (حيرة) و (حلم) تكررتا في القصيدة ثماني مرات: فالأولى ليبين أن الفلسطيني أصبح في وضع لا يستطيع فيه اتخاذ القرار، بسبب الفاجعة التي أصابته في العام 1948م، والثانية: ليبين أن العودة إلى

---

[1] حمداوي، جميل: **السيموطيقيا والعنونة**، مجلة عالم الفكر، مج25، ع3، 1997، ص107.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص5.

الماضي، والحياة الرغيدة، أصبحت من الأحلام التي يتمنى كل فلسطيني أن يعود إليها، وخصوصا مع قتامة المستقبل، وضعف الدول العربية وتخاذلها.

وحملت قصيدته الثانية من الديوان اسم (شكوى)، وفيها يعبر عن شكواه من الألم، والغربة، والظلم، والحنين إلى الماضي، وشكواه لم تكن إلى العرب، إنما إلى نفسه التي تحمل كثيرا من الهموم والمعاناة؛ لأن العرب أصبحوا ضعافا لا يستنجد بهم، فقد أظهرت الحرب ضعفهم، وكشفت تخاذلهم، فيظهر لوباني شكواه قائلا[1]:

في سهوب من حنين كم مشى قلبي وتاه
والدجى رجع الأنين بات يشكوه جواه
آه ما أقسى الحياة رنح الوجد مناه

ليلة المظلوم والسجين
رعدة المحموم والحزين
ذهلة المهموم وحدتي

أما القصيدة الثالثة فكانت بعنوان: (محال)، وفيها يتمنى الشاعر أمنيات مستحيلة، غير قابلة للتحقق، ومنها أن يكون جناحا يطير في الفضاء، أو ضبابا لا يحده قيد أو حاجز، فالشاعر يعاني من القيود، وسياسات المحتل الظالمة. يقول[2]:

يا ليتني جناح عبر الفضا أطير
تقذفني الرياح في المهمه العسير
بل ليتني ضباب لا أشتكي قيود
أعانق الهضاب كأنها وعود

وفي هذا تعبير عن القيود التي يعاني منها الشاعر في أرضه، من ممارسات الاحتلال الصهيوني، وإجراءاته العسكرية ضد السكان الأصليين الذين صمدوا فيها، فعجز الأنظمة العربية، وقلة حيلتها، دفع الشاعر إلى اليأس، واللجوء إلى الأحلام، والإحباط في كثير من

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص11.
[2] السابق، ص 12.

الأحيان، فلا عجب إذن أن نرى في ديوان عيسى لوباني هذه الحيرة، والأحلام التي كان يتمنى أن تتحقق.

وقصيدة لوباني الرابعة من الديوان حملت عنوان (معبد الذكريات)، فالمعبد يعتكف فيه الإنسان للصلاة، ويبدو أن لوباني ظل محصوراً بذكرياته الجميلة الماضية، يتأملها حينا، ويأمل بعودتها أحياناً أخرى، والمعبد عند لوباني هو الوطن الذي قضى فيه شبابه، وذكرياته الجميلة. يقول عن ذلك[1]:

قد قضينا فيك يا معبد أحلام الشباب
فشربناها مريئاً من رحيق مستطاب
حلوة كانت لدينا فتلاشت كالسراب
أكذا الحب أيا معبد يمسي كالضباب

والقصيدة الخامسة من الديوان كانت بعنوان (الحائرة)، والسادسة بعنوان (عروس الشعر)، وفي هذين العنوانين ترميز إلى الأرض، التي غمرتها الحيرة، كما غمرت أصحابها، وهي التي تزين الشعر، فلا قيمة للشعر إذا لم يكن دفاعاً عنها، وانتصاراً لها.

وفي عنوان آخر من عناوين قصائده أسماه (صراع)، ويعبر هذا العنوان عن الصراع الذي يعيشه الإنسان الفلسطيني داخل الأرض المحتلة، والظروف الصعبة التي يعيشها هناك، ويصور الصراع بينه وبين الظالم، قائلاً:

وفي العقل ردّاع يقيدني قسراً
فصرت كمن يخشى هراوة ظالم
يقوقها حرباً فتملأني ذعراً
فأرتد لكن بالفؤاد لواعج
تؤجج عصياني لأقتحم الوعرا

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص14، 15

وعنوان آخر من عناوين قصائده كان (فقر وجنون)، واحتوى هذا العنوان على كلمتين الأولى: (فقر)، وفيها إشارة إلى الحالة التي يعيشها الفلسطينيون في الشتات، من فقر، وجوع،وصعوبة في لقمة العيش، والثانية: (جنون) دلالة على أن الذي حصل للفلسطينيين، هو ضرب من الجنون، لا ينبغي السكوت عليه. فيظهر الشاعر في قصيدته عظم الفقر بقوله[1]:

صاغها الفقر في جليل مصابه
شبحاً يفزع الدجى في انتحابه
لفظة قد حوت عصيب الرزايا

أما القصائد الأخرى من الديوان فكانت (اسكتي يا نفس) و(حدثيني) و(الحسن الكافر) و(خليلان) و(ليالي الشاعر) و(إليه+ا) و(ذكريات) و(في المعبد).وجاءت هذه القصائد معبرة عن مضامينها، حيث كان فيها حوار بين الشاعر والأرض، والشاعر ونفسه، واسترجاع الذكريات الماضية التي كان العيش فيها، أفضل من الواقع الذي يعيشه تحت الاحتلال، وقد جاءت عناوين القصائد عند عيسى لوباني معبرة عن حالته النفسية، وظروفه الاجتماعية؛ فتكررت كلمة (حيرة) في العناوين 3 مرات وكلمة (أحلام) مرتين، ثم كلمة (جنون) مرتين، ثم نرى عناوين مثل (شكوى) و(محال) و(صراع) و(غرور)، وكلها تكشف الحالة النفسية للشاعر، وحالة الغضب التي يعيشها مع نفسه [2].

المطلب الثاني: الرمز

يعد الرمز وسيلة مهمة، يلجأ إليها الأديب في العمل الأدبي، وخصوصاً عندما تكون الظروف المحيطة به ظروفاً صعبة، يمنع فيها الأديب من إبداء رأيه بصراحة، والرمز هو " الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة، التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء، بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح"[3]. وقد لجأ كثير من الأدباء الفلسطينيين،

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص28، 29.

[2] السابق، ص30.

[3] كندي، ناصر: **الرمز في الشعر العربي**، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011م، ص10.

وخصوصاً الذين يعيشون داخل الأرض المحتلة إلى الرمز؛ لأن الاحتلال حارب هؤلاء الأدباء ولاحقهم، وقد ضيقت بعض الصحف والمجلات ودور النشر على الأدباء، ومنعت نشر كل ما يتعارض مع سياسة الاحتلال وأهدافه، فلذلك " يكون التعبير المقنع هو الملاذ الوحيد أمام المبدعين، عندما يعمدون إلى نقد الحياة السياسية والاجتماعية، وتعرية زيفها ودجلها، إذ يرفضونها – وفي الوقت نفسه – يخشون أدواتها القمعية، التي تفرض ستاراً من الرعب والصمت، وكل محاولة لتجاوزه أو تحطيمه قد تكلف الحياة نفسها، أو تعرض المبدع لصنوف من التشريد والتنكيل، يهون الموت نفسه إلى جوارها "[1].

وللرمز الفني أهمية كبيرة في الأعمال الأدبية، فهو " من أهم وسائل الإيحاء والتعبير الإستطاطيقي، الذي يلجأ إليه الشعر الحديث، في بحثه الدائب عن أفضل وسائل التعبير عن تجربة الشاعرالمعاصر، والإيحاء بمنعرجات نفسه الخبيئة، وتفاعلها مع مظاهر الوجود، وصلتها بعناصر الواقع المحيط"[2]. ولكن مع هذه الأهمية الكبيرة للرمز، إلا أنه يمكن أن يكون وسيلة عكسية بين المبدع والقارئ، " فأحياناً قد يكون وسيلة توصيل ناجحة، إذا كان يمثل مشتركاً ما بين المبدع والمتلقي، لكنه يصبح وسيلة انقطاع وغموض، إذا كان غريباً عن المتلقي، ومكتظاً بالرموز غير المألوفة "[3].

وقد لجأ عيسى لوباني إلى التعبير الرمزي، بسبب الظروف السياسية، والأساليب القمعية التي كانت سائدة في الأرض المحتلة، فلجأ إلى التعبير الرمزي في التحريض على الثورة، وفي حديثه عن الأرض، والمحتل، وغيرها من الأمور التي كان التصريح بها من الأمور التي يمكن أن تؤذي عيسى لوباني. ورمز لوباني للأرض بالمرأة في أكثر من موضع من قصائده، وبدت كأنها فتاة يتغزل بجمالها. يقول[4]:

يا عروس الشعر ميلي أنت غصن من دلال

---

[1] كندي، محمد علي: **الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث**، لبنان، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2003م، ص 16.

[2] أبو مراد، فتحي محمد: **الرمز الفني في شعر محمود درويش**، عمان، وزارة الثقافة، 2004م، ص15.

[3] الرواشدة، سامح: **القناع في الشعر العربي الحديث**، جامعة مؤتة، 1995م، ص12.

[4] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 18.

والبســـــي الثـــــوب ســـــنيا يســـــتبيني فـــــي الخيـــــال

أنـــــت حلـــــم فـــــي المنـــــام
أنـــــت لحـــــن مـــــن كمـــــان
أنـــــت طيـــــف مـــــن هيـــــام
أنـــــت نفـــــح مـــــن حنـــــان

ويرمز لوباني كذلك للمحتل (بالظلام) الذي عم الأرض، فلم يعد أهلهـــا يـــرون شـــيئاً، وأصبحت طريقهم غير واضحة المعالم، وبقي الفلسطيني يصارع هذا الظـــلام وحيـــدا. يقـــول لوباني[1]:

أظلـــــم الليـــــل وكـــــم تهـــــت بـــــه
شـــــارداً وحـــــدي وأشـــــواقي عبـــــاب
أحمـــــل الهـــــم وبـــــي مـــــن كربـــــه
مهجـــــة حيـــــرى وشـــــكوى وعتـــــاب

وفي موضع آخريقول[2]:

كـــــم ركبـــــت الليـــــل نضـــــواً أكـــــتم
ألمـــــاً ينـــــزو نحيبـــــاً وبكـــــاء
وحنينـــــي فـــــي ســـــراه نغـــــم
ثـــــار يحـــــدوه كمـــــاني فـــــي الفضـــــاء

ويرمز كذلك للمحتل (بثوب الدجى)، الذي لف الإنسان الفلسطيني، فحرمه من الحريـــة، وزرع اليأس في نفسه، يقول لوباني[3]:

كـــــم لفنـــــي ثـــــوب الـــــدجى واليـــــأس نجـــــم غـــــائر
كـــــم راعنـــــي همـــــس المنـــــى والليـــــل قلـــــب شـــــاعر
مـــــن لحنـــــه صـــــغت غنـــــائي وهـــــو حـــــظ عـــــاثر

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص23.
[2] السابق، ص24، 25.
[3] السابق، ص39.

والوطن عند لوباني هو المعبد الذي يقضي فيه أجمل أوقاته، ويسترجع ذكرياته الحلـــوة من خلاله، ويبين كيف تلاشت كل هذه الأيام الجميلة، وأصبحت كالضباب الذي يتلاشى سريعا، يقول لوباني مخاطباً (المعبد)[1]:

قد قضينا فيك يا معبد أحـــلام الشـــباب
فشربناها مريئاً من رحيـــق مســـتطاب
حلوة كانت لـــدينا فتلاشـــت كالســـراب
أكذا الحب أيا معبد يمســـي كالضـــباب

ويصف لوباني (المعبد) وهو الوطن، وقد ملك كل شيء في حياته، ويـــذكر أن نســـيان الوطن صعب جداً، فما خلفه الاحتلال فيه لا ينسى، يقول لوباني مخاطباً المعبد[2]:

آه يا معبد لـــو أســـتطيع نســـيان شـــجوني
ملكت نفسي وفكري واضـــطرابي وســـكوني
قطرتني أدمعاً..كالدم.. فاضت مـــن عيـــوني
كيف أسلوك وأنـــت اليـــوم قيثـــار فنـــوني

والحرية عند لوباني هي شعاع النور الذي يرقبه، فظلام المحتل قد طال، وقسوته بلغت كل الحدود، فيرقب هذا الشعاع ببالغ الصبر، بعد أن تمادى المحتل في قهر الشعب الفلســـطيني وظلمه. يقول لوباني[3]:

أقلب عينـــي فـــي الجهـــات فـــلا أرى
شعاعاً ينـــاجيني ســـوى طـــرق قفـــرا

كما ويرمز لوباني لإخوانه العرب (بالحُسْن الكافر)؛ لأنهم تخلوا عن الشعب الفلسطيني وكفروا بالأخوة التي تجمع بينهم، ويعقد مقارنة بين عـــيش الفلســـطينيين، وعـــيش العـــرب،

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص14،15.
[2] السابق، ص 15،16.
[3] السابق، ص 28.

فالفلسطيني يعاني مرارة القسوة والحرمان، ويترقب ساعة التحرر، والعربي يقف متفرجاً على مأساته، فيصف لوباني هذا الحال قائلاً[1]:

أنا المشوق الحائر يا حُسْن أنت كافر
كم ظللت ليلي ساهراً واليأس نجم غائر
كم راعني همس المنى والليل قلب شاعر
من لحنه صغت غنائي وهو حظ عاثر
أنا المشوق الحائر يا حسن أنت كافر

و(حُسْن) أي الأخوة العرب غدروا بالفلسطينيين، فكم توجه الفلسطينيون بالمناجاة لهم، ولكن دون جدوى، فالعرب يسهرون ليلهم ويستمتعون فيه، والفلسطينيون يعانون القسوة. يقول لوباني مخاطباً العرب بلفظه (حسن)[2]:

حلم فوعد طائر يا حسن أنت غادر
كم هدل الحمام في الدجى وأنت سامر
كم تاه في الليل سرى الصب وأنت ساخر
كم أسبل الليل جناحيه وأنت خاطر
في سجوه ذكر المنى والحلم طيف عابر
حلم فوعد طائر يا حسن أنت غادر

وتبقى الأرض محبوبة الشاعر، التي لن ينسى الحب الذي جمع بينهما، فأشواقه تشتعل لها، ودموعه تكتب عن هذا الحب،، فيخاطب محبوبته (الأرض) قائلاً[3]:

سأبقى على حبها أندب
وأحرق قلبي بنار المشوق
ودمعي إذا ما همى يكتب
بريشة وجدي ونز الحروق

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 39.
[2] السابق، ص40.
[3] السابق، ص66.

ويأتي لوباني على ذكر صفات محبوبته (الأرض) الحسية، فيصف حسنها، ورمشها وخدها، وأجزاء أخرى من جسدها، فحبه لأرضه لا يقل عن حب الإنسان للمرأة. يقول[1]:

يـــــا حســـــنك القتـــــال وقـــــــــدك الميـــــــــال
يـــــا رمشـــــك الســـــاحر وخـــــــــدك العـــــــــاطر
يـــــا ردفـــــك الرفـــــاف وذيلـــــــــك الهفهـــــــــاف

المطلب الثالث: الموسيقى

تعد البنية الشكلية أمراً مهماً في القصيدة العربية الحديثة، وخصوصاً فيما يتعلق بالوزن والقافية، فقد اتخذت البنية اتجاهات وأنماطا متعددة، ذات تنويعات وتفريعات تجعل الدارس يقف أمامها بكثير من الاهتمام. ولا يختلف اثنان على أهمية الموسيقى في القصيدة العربية، " وتكمن أهميتها من خلال دورها في تفجير الطاقة الدلالية والإيحائية للغة، وقدرتها في الكشف عن طبيعة المشاعر والأحاسيس، التي تعتمل في وجدان الشاعر[2]".

وإذا نظرنا في موسيقى الشعر الحديث، فإننا نلحظ تغيراً واضحاً في البنية الشكلية، سواء على صعيد الوزن أو القافية، ولكن هذا التغير لم يصل إلى حد التمرد على الشعر العربي القديم، وثوابته المعروفة، يقول عز الدين إسماعيل: " إن الشعر الجديد لم يلغ الوزن ولا القافية، ولكنه أباح لنفسه أن يدخل تعديلاً جوهرياً عليهما، لكي يحقق بهما الشاعرمن نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه، ما لم يكن الإطار القديم يسعف على تحقيقه، فلم يعد الشاعر حين يكتب القصيدة الجديدة يرتبط بشكل معين ثابت للبيت ذي الشطرين، وذي التفعيلات المتساوية العدد، والمتوازنة في هذين الشطرين، وكذلك لم يتقيد في نهاية الأبيات بالروي المتكرر، أو المكتوب على نظام ثابت "[3].

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص72.

[2] عبد الله، محمد حسن: **الصورة والبناء الشعري**،القاهرة، دار المعارف،1981م، ص187.

[3] إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، بيروت، دار العودة ودار الثقافة، ط2، 1972م، ص65.

أما فيما يتعلق بالقافية في الشعر الجديد، فإنها لم تعد شيئاً ملزماً للشاعر، ويكون استخدامها بالقدر الذي يجعل للشاعر نهاية مريحة للنفس عند الوقوف عليها، فهي في الشعر الجديد " كلمة لا يبحث عنها في قائمة من الكلمات التي تنتهي نهاية واحدة، وإنما هي كلمة ما من بين كل الكلمات، يستدعيها السياقان المعنوي والموسيقي للسطر الشعري؛ لأنها هي الكلمة الوحيدة التي تصنع لذلك السطر نهاية ترتاح النفس للوقوف عندها " [1].

ولقد شكل الشعر الحديث ظاهرة جديدة في الأدب، انقلب من خلالها على التقاليد الفنية للقصيدة العربية القديمة، حيث كان الوزن والقافية فيها أساسيين، لا يمكن الانزياح عنهما، أما في الشعر الحديث فقد تحرر الشعراء من هذين الأمرين، وأصبحا من الماضي، الذي لا يشكل ضغطا على الشاعر. ولذلك: " فإن الشعر الحديث ليس فقط تمرداً على القيود الشكلية الصارمة، التي كانت تكبل الشاعر والقصيدة، وإنما هو تغير جذري في رؤية المبدع، وفي أسلوب تعامله مع اللغة، اختياراً وتوزيعاً، ولا يمثل التخلص من تلك القيود الشكلية المتعلقة بالوزن والقافية، إلا جانباً من جوانب التغير الشامل الذي ألم بالمبدعين العرب " [2].

تقبل بعض النقاد هذا التجديد، واعتبروه جزءاً من إبداع الشاعر، وهامشاً من الحرية التي ينبغي أن تعطى له؛ ليعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر، وبعضهم من رفض هذا التجديد؛ لخروجه عن المألوف فيما يتعلق بالوزن والقافية. ولذلك " كان الشكل الجديد صدمة للأذواق؛ لخروجه الحاد عن كل الأشكال الموسيقية المعروفة من قبل، ومنها الأشكال التي عدت جديدة، ومنها الموشحات، فكل أشكال التجديد التي ظهرت، قامت على نوع من الانتظام الهندي"[3].

ولقد كان عيسى من أنصار التجديد في الشعر العربي المعاصر، فقد بين موقفه من التجديد، قائلاً: " إنني من أنصار التجديد، ومن أشد أنصاره، ومن مؤيدي وأد كل ما يعيق تطور

---

[1] إسماعيل، عز الدين: **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، ص67.

[2] كندي، محمد علي: **الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث**، ص7.

[3] يونس، علي: **النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م، ص 179، 180.

أدبنا، من أفكار ومعتقدات تمس جوهر الأدب في الصميم، فكيف إذا كانت تلك الصعوبات عبارة عن أمور شكلية لا تؤخر أو تقدم؟ إنني أعتبر أن الأوزان الشعرية من تفاعيل وقواف، هي حجرة عثرة في سبيل تقدم شعرنا، ولحاقه بركب الشعر المعاصر الحديث، من شرقي أو غربي"[1].

وينتقد لوباني بعض الشعراء الشباب الذين يعتقدون خطأ أن الشعر الحديث أمر سهل، يستطيعون إطلاق العنان لأنفسهم فيه، فهو ليس كذلك، وإنما يحتاج لكثير من الدقة، وتلاحم الكلمات، والنغم الناعم، الذي تولده القافية أحياناً[2].

وعيسى لوباني في ديوانه الشعري (أحلام حائر)، التزم التجديد في أشعاره، فلم تعد القافية أمراً ملزماً، أو عدد التفعيلات أمراً ضرورياً كذلك.

والموسيقى الشعرية في الشعر العربي تتولد من أمرين هما:

1- موسيقى خارجية تشكلها الأوزان والقوافي والبحور الشعرية.

2- موسيقى داخلية: ومنبعها " تناغم الحروف وائتلافها، وتقديم بعض الكلمات على بعض، واستعمال أدوات اللغة الثانوية بوسيلة فنيه خاصة "[3].

الموسيقى الخارجية

إذا نظرنا إلى البنية الشكلية للدواوين التي صدرت بين 1948-1958، وجدنا أنها تتوزع ضمن اتجاهات أربعة هي: الشكل الموحد، الشكل المقطعي، شعر التفعيلة، الشعر المنثور (النثر الشعري).

ويتوزع ديوان عيسى لوباني أحلام حائر في اتجاهين هما: الشكل الموحد، الشكل المقطعي، واحتل الشكل المقطعي الحيز الأكبر من إنتاجه في هذا الديوان. فقد احتوى ديوان "

---

[1] القاسم، نبيه، مقالة بعنوان: " **عيسى لوباني الشاعر والناقد1** "، ص20.

[2] انظر: السابق، ص20.

[3] عيد، رجاء: **الشعر والنغم**، القاهرة، مؤسسة كيلوبترا، 1983م، ص21.

أحلام حائر" على ثلاث وعشرين قصيدة، توزعت بين الشكلين الموحد والمقطعي، ولم يستخدم في الديوان شعر التفعيلة أو الشعر المنثور، وجاءت على الشكل الموحد تسع قصائد، أما على الشكل المقطعي فقد جاءت أربع عشرة قصيدة، والملاحظ في ديوان عيسى لوباني أنه لم يستخدم البحور العشرة في الشكل الموحد، وإنما استخدم ستة منها، وجاء استخدامها موزعا على النحو الآتي:

البحر/الديوان	أحلام حائر
الكامل	2
الوافر	1
البسيط	_
الخفيف	3
السريع	1
الطويل	1
الرمل	_
المتقارب	_
الرجز	1
المتدارك	_

أما في الشكل المقطعي فقد نوع لوباني من استخدام أشكاله، فنجده أحيانا يغير في القافية دون الوزن، وأحيانا أخرى يغير في القافية والوزن معا، وفي هذا الشكل كذلك أبدع لوباني في استخدام الموشحات؛ للتدليل على قدرته في نظم أنواع الشعر المختلفة،أما بالنسبة إلى البحور التي استخدمها فقد استخدم ستة بحور من بحور الشعر العربي، حيث احتل البحر الخفيف المكانة الأولى، يليه الكامل.

ويظهر مما سبق أن عيسى لوباني كان في سعي دائم نحو التجديد في الشعر، فقد لجأ الى تطوير الأشكال القائمة، وإدخال تعديلات عليها، ويظهر تأثره بالمدرسة الرومانسية، تأكيداً على التواصل والاستمرار مع المدارس الأدبية التي عرفتها الأقطار العربية. ويرى نبيه القاسم أن" عيسى لوباني كان الوحيد الذي انتقل كليا من الكتابة على الطريقة الكلاسيكية إلى الجديدة،

وهو مختلف عن باقي الشعراء الذين استعملوا الشكلين (الموحد والمقطعي)، كحنا أبو حنا، ومحمود درويش، وحبيب قهوجي"[1].

وأشهر القوالب التي جاءت عليها قصائد لوباني في ديوانه، هي على النحو الآتي:

القافية المنوعة

من الملاحظ في شعر لوباني أنه نوع في الأوزان والقوافي، فقصائده جاءت على بحور متعددة، وقوافيه تنوعت، ولم يلتزم بقافيه واحدة في قصائده، ففي قصيدة (اعترافات) نجد القافية تختلف من بيت إلى بيت، مع عدم فقدان القصيدة للرونق الموسيقي الجميل، يقول لوباني[2]:

لست بالآسي على يوم عزيز قد فقدته
لا ولا ممن دعاه الأنس يوما فدفعته
ما إنا إلا نسيم راعه الليل فثارا
يلثم الزهر حنانا يتلوى حيث سارا
هاجه الشوق فغنى الناي من فيه هياما
وهمى الوجد دموعا فوق أوراق الخزامى

ومن التنويع في القافية، قوله كذلك في قصيدة (خليلان)[3]:

أنا والحسن خليلان ولكن غاب عني
سلبته قبضة الأمس فما لي لا أغني
غن يا قلب فما خلتك إلا وترا
هدهد الفجر مناه فتغنى سحرا

القافية الموحدة: القافية هي " الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، فيكون أساسها حرف الروي وهو: الوحدة الصوتية التي تتكرر في آخر كل بيت من القصيدة، وإليه تنسب القصيدة

---

[1] غنايم، محمود: **مرايا في النقد (دراسات في الأدب الفلسطيني)**، ص309.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص56

[3] السابق، ص 42، 43

كلها"[1]، وقد لجأ لوباني في بعض أشعاره إلى الالتزام بالقافية الواحدة، من بداية القصيدة إلى نهايتها، ففي قصيدة (حيرة) يلتزم الشاعر بقافية السين من البداية إلى النهاية، يقول في القصيدة[2]:

حلم كم ألبس الليل وشاحا من دمقس
فجلاه فتنة رعناء أغرت كل حس
وغناء أسكر الطير هوى من غير كأس
فشدت والروح ظمأى تتلوى قيد حبس
أين يا حلم تولى فجر أمسي؟

ومن القصائد التي التزم فيها القافية الموحدة، قصيدة (الحُسْن الكافر)، حيث التزم قافية الراء من بداية القصيدة إلى نهايتها، يقول لوباني[3]:

أنا المشوق الحائر يا حُسْن أنت كافر
كم ظللت ليلى ساهرا والشوق بحر زاخر
كم لفني ثوب الدجى واليأس نجم غائر
كم راعني همس المنى والليل قلب شاعر
من لحنه صغت غنائي وهو حظ عاثر
أنا المشوق الحائر يا حُسْن أنت كافر

الموشحات

أجاد عيسى لوباني استخدام هذا النوع من الشعر، جرياً على الموشحات الأندلسية، ورغبته في إظهار القدرة الفنية في نظم أنواع الشعرالمختلفة، ومن الموشحات التي أظهر فيها مقدرته قصيدة "عروس الشعر". حيث يقول فيها [4]:

ياعروس الشعر ميلي أنت غصن من دلال

---

[1] عيد، رجاء: **التجديد الموسيقي في الشعر العربي**، الإسكندرية، منشأة المعارف،(د.ت)، ص138.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 5.

[3] السابق، ص 39.

[4] السابق، ص 18.

والبســـــي الثـــــوب ســـــنيا يســـــتبيني فـــــي الخيـــــال

أنـــــت حلـــــم فـــــي المنـــــام

أنـــــت لحـــــن مـــــن كمـــــان

أنـــــت طيـــــف مـــــن هيـــــام

أنـــــت نفـــــح مـــــن حنـــــان

وقد طور لوباني في هذه الموشحات، فلم يلتزم صورة واحدة في استخدامها، وإنما كان ينوع بطريقته من خلال تحرره من كل القيود القديمة، التي كانت عقبة في طريق الشاعر، يقول لوباني[1]:

والحســـــن والفـــــنُّ بدونـــــه كـــــافر

فـــالموج فـــي البحـــر يجـــري بـــلا زاجـــر

لكنـــــه يـــــدري فـــــي عقمـــــه داهـــــر

حتـــام يـــا كـــرم رؤيـــاك فـــي الخـــاطر

صـــــــــــــباية النشـــــــــــــوان

فـــــــــي معبـــــــــد الألحـــــــــان

الموسيقى الداخلية

تحققت الموسيقى الداخلية في أشعار لوباني من خلال اعتماده علـــى ظـــواهر لغويـــة، أحدثت جرساً موسيقياً عذباً في النص الشعري، وأظهرت مقدرة لغوية واسعة للشـــاعر. ومـــن الأساليب التي لجأ إليها لوباني لإحداث الموسيقى في شعره، أسلوب التكرار، وقـــد أدى تكـــرار بعض الحروف في القصيدة الشعرية إلى غنى هذه القصيدة، وإكساب الإيقاع الداخلي مزيداً من الموسيقى، والجو النفسي الذي يعيشه الشاعر.

ويلاحظ أن الشاعر كرر حرف السين في قصيدة (حيرة)، وقد أحدث نوعاً من الإيقاع، انسجمت وسوسته مع جو الترقب والتوجس والخوف الذي يعيشه الإنسان الفلسطيني، يقول[2]:

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص51.

[2] السابق، ص 5

حلم كم ألبس الليل وشاحاً من دمقــس
فجلاه فتنة رعناء أغــرت كــل حــس
وغناء أسكر الطير هوى من غير كأس
فشدت والروح ظمأ تتلوى قيــد حــبس

إن استخدم الشاعر حرف (الشين) يدل على التفشي، وينــتج عنــه موســيقى تــوحي بالانتشار، ليبرز أياماً عاشها الشاعر، ثم ذهبت أدراج الرياح، وأصبحت من الماضــي الــذي يعيشه، فالأيام الجميلة التي عاشها الفلسطيني قبل الاحتلال ذهبت دون رجعــة، فتولــدت هــذه الموسيقى من خلال قوله[1]:

قد قضينا فيك يا معبد أحــلام الشــباب
فشربناها مريئاً من رحيــق مســتطاب
حلوة كانت لــدينا فتلاشــت كالســراب
أكذا الحب أيا معبد يمســي كالضــباب

وأدى تكرار حرف النون في شعر لوباني، إلى صنع موسيقى حزينة، تشــي بالحالــة النفسية التي يعيشها، وكأن حرف (النون) يرسم أنين المظلومين، وعذاب المقهــورين، ونغمتــه تحدث تأثيرا لكل من يسمعه، وهذا هو هدف الشعرعند لوباني. يقول[2]:

يــا عــروس الشــعر ميلــي أنــت غصــن مــن دلال
والبســي الثــوب ســنيا يســتبيني فــي الخيــال
أنــت حلــم فــي المنــام
أنــت لحــن مــن كمــان
أنــت طيــف مــن هيــام
أنــت نفــح مــن حنــان

ونجد في قصائده تكراراً لبعض الكلمات، وجاء هذا التكرار وفيرا، حيــث أســهم فــي ترسيخ المعنى، إذ إن تكرار الكلمة في القصيدة " يعمل على تعميق الإيقاع الداخلي، ويخلق جوا

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص14،15.
[2] السابق، ص 18.

ًنغمياً ممتعا، ًتنجذب إليه أذن المتلقي"[1]، فقد كرر لوباني كلمة (حتام) في قصيدته (في المعبـــد)، وقد أدى هذا التكرار إلى خلق نوع من الموسيقى، وساعد في تعميق المعنى، والكشف عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، من ضجر ويأس وترقب للمستقبل. يقول[2]:

حتـــام يـــاكرم تبقـــى بـــلا عاصـــر
حتـــام يـــا لحـــن تحيـــا بـــلا شـــاعر
حتام يـــا كـــرم رؤيـــاك فـــي الخـــاطر

فنرى أن الشاعر من خلال هذا التكرار أراد أن يشد انتباه المتلقي لطول الفترة الزمنيـــة التي يعيشها وطنه وحيدا، وإن التكرا هو أفضل أسلوب لجعل المتلقي يلتفت إلى فكرة الشاعر؛ " لأن التكرار في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة، يعنى بها الشاعر أكثر مـــن عنايتـــه بغيرها"[3].

وأوضح لوباني رأيه في قضية التكرار قائلاً: " أود أن أنبه إلى قضية هامة جداً، شغلت كثيراً من النقاد في العالم العربي، وهي قضية نظام التفعيلة، حيث إن بعض الشعراء يميلون إلى تكرار بعض الكلمات أو الجمل في قصائدهم؛ هادفين خلق نوع من الموسيقى، التي تنبعث مـــن تكرار كلمة، أو بضع كلمات "[4].

ومما يلاحظ في قصائد عيسى لوباني، أنه يلجأ إلى تكرار المقـــاطع الشـــعرية، وهـــذه المقاطع تتردد في القصيدة بين اللحظة والأخرى، بنظام ثابت، يكسب القصيدة مزيداً من الـــنغم والإيقاع، ويرسخ المعنى في ذهن القارئ، ومن ذلك قوله في قصيدة (حيرة)[5]:

حيـــــــرة تغمـــــــــر نفســـــــي عنـــــــدما أذكـــــــر أمســـــــي
وأراه قـــــــــــد تـــــــــــولى خـــــــاطر مـــــــر بحـــــــدس

---

[1] منصور، عز الدين: **دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، مؤسسة المعـــارف للطباعـــة والنشر، 1985م، ص 35.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص51،50.

[3] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1974،ص266.

[4] القاسم، نبيه، مقال بعنوان: " **عيسى لوباني الشاعر والناقد (2)** "، ملحق الاتحاد، الجمعة 14 أيار 1999م، ص20.

[5] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص5

ومما يلجأ إليه لوباني لإحداث جو موسيقي في قصائده، تكراره لبعض الجمل في القصيدة، مما جعل القصيدة وكأنها نشيد يتغنى به القارئ، ويستمتع بترديده. ومن ذلك التكرار قوله[1]:

يـــــا ليتنـــــي جنـــــاح عبـــــر الفضـــــا أطيـــــر
تقـــــذفني الريـــــاح فـــــي المهمـــــه العســـــير
يـــــا ليتنـــــي جنـــــاح
فـــــي عـــــالم مبـــــاح
يـــــا ليتنـــــي ســـــحاب فـــــي الأفـــــق البعيـــــد
بـــــل ليتنـــــي ضـــــباب لا أشـــــتكي قيـــــود
أعـــــانق الهضـــــاب كأنهـــــا وعـــــود
فـــــلا أرى غـــــدو ولا أرى رواح
يـــــا ليتنـــــي جنـــــاح
فـــــي عـــــالم مبـــــاح

فقد كررعبارة (يا ليتني جناح في عالم مباح)، وهذا التكرار أظهر رغبة الشاعر في التحرر من القيود التي يعاني منها، وأبرز حجم المأساة التي يعيشها، وأكد على أهمية الحرية للإنسان، إضافة إلى الجو الموسيقي الذي تعمق من خلاله في العبارات والجمل.

المطلب الرابع: الصورة الشعرية

حظيت الصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث باهتمام كثير من الشعراء، الذين حرصوا على رسم الواقع بصور جديدة تكشف المأساة، وتعري المحتل، وتنتقد الضعف الذي دب في أوصال الأمة، لذا فهي تسهم في بناء القصيدة العربية، قديمها وحديثها، " والصورة الشعرية ركن مهم من أركان القصيدة، اهتم بها العرب القدماء والمحدثون، وتوقفوا عندها، وقد ركز القدماء على الناحية البلاغية، التي تشكل الصورة الشعرية وتؤسسها، وجاراهم في ذلك

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص12، 13.

بعض المحدثين من النقاد العرب، حيث غلبوا الطبيعة الزخرفية التزيينية للصورة الشـــعرية "[1]. ولم تعد الصورة في الشعر الحديث ترتكز على مقوماتها من التشبيه والمجاز والإستعارة، ويمكن أن تكون خالية من كل هذه المقومات. وإن فاعلية الصورة وأثرها، أهم من شكلها وتركيبها، فقد تكون الصورة مفعمة بالحركة والحياة واللون وغيرها من الأمور، فتعبر عما يختلج في نفـــس الشاعر، دون اللجوء إلى المقومات الأساسية السابقة.

والصورة الشعرية ليست وليدة الحاضر، وإنما استخدمت قديما، وشكلت حلقة مهمة في رسم الأحداث، وإبراز المواقف المختلفة،" وإن كلمة الصورة قد تم استخدامها خلال الخمســين سنة الماضية كقوة غامضة، ومع ذلك فإن الصورةثابتة في كل القصائد، وكل قصيدة هي بحــد ذاتها صورة، فالاتجاهات تأتي وتذهب، والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهري يمكن أن يتغير دون إدراك، ولكن المجاز باق، كمبدأ للحياة في القصــيدة، وكقيــاس رئيس لمجد الشاعر"[2]، ومن هنا نجد أن الصورة الشعرية الجديدة، أصبحت تتميز بمميزات غير تلك التي كانت مستخدمة قديماً، " وإن أهم ما يميز الصورة الشعرية الجديــدة، اتجاههــا إلـــى الاستغناء عن المعالم الحسية المحدودة، والانشغال ببناء وجود فني مستقل، يستمد وجوده مـــن عناصر الصورة الشعرية نفسها، لا من عناصر الواقع الحسية، فلم يعد الخيال الشـــعري يقتنـــع بإيجاد العلاقات بين الموجودات، أو بأن يتلقى صورة من الخارج، بل أصر علـــى أن يخلقهـــا بنفسه، وأصبحت الصورة الشعرية بالتالي، صورة تموج بالألوان والأضواء والأصوات والرؤى المختلطة المتداخلة"[3].

وإذا تأملنا قصائد عيسى لوباني، نجد أنها مليئة بالصور الفنية، المفعمة بالحركة واللون والصوت، لتشكل معا لوحة فنية مستمدة من الواقع، وتعكـــس الحـــال الـــذي يعيشـــه الشـــعب الفلسطيني، بأسلوب بسيط، ويرسم عيسى لوباني صورة (للأرض)، وكأنها امرأة أحبها والتصق

---

[1] عودة، علي محمد: **دراسات في الشعر الفلسطيني**، مكتبة جزيرة الورد،ط1،2010، ص7.

[2] دي لويس، سيسل: **الصورة الشعرية**، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982، ص20.

[3] الوراقي، السعيد: **لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعيـــة**، دار المعرفـــة الجامعيـــة، 1997م، ص153.

بها، فيخاطبها من قلبه، ويصف صفاتها الحسية التي أثرت فيه، فجمالها فوق كل جمال، وصوتها أرق صوت عرفه، ولقد عرف هذا الأسلوب في الربط بين صورة الأرض (الوطن)، وصورة المرأة في شعر رواد المدرسة الجديدة، حيث ربط هؤلاء الشعراء الأرض بمعاناتهم، التي تعكس معاناة الأمة العربية، وجاءت المرأة – الحبيبة والأم – متماهية مع الأرض والوطن، لتشكل الثنائية الفنية الجديدة[1]. يقول لوباني مخاطباً الأرض[2]:

يـــا حســـنك القتّـــال وقـــدك الميـــال
يـــا رمشـــك الســـاحر وخـــدك العـــاطر
يـــا ردفـــك الرفـــاف وذيلـــك الهفهـــاف
أهـــواك يـــا ظـــالم
هـــات المنـــى هـــات

والأرض عند لوباني عروس الوجود، التي يتغنى بجمالها، ويفتتن بحسنها، ويرسم صورة لها قائلاً[3]:

أمـل أنـت يـا عـروس الوجـود
ومنى الـروح فـي الهـوى المنشـود
ومضـة أنـت فـي الحيـاة أشـعت
آيـة الخلـد فـي سـماء الخلـود
أنـت (فينـوس) قـد بعثـت إلينـا
مـن جديـد فـي حسـنك المعهـود

وجاءت الصورة الفنية عند عيسى لوباني على عدة أنواع هي:

أولا: الصورة المفردة الجزئية

وهذا النوع من الصور من أبسط أنواع الصور، التي يمكن من خلالها دراسة الصورة الشعرية، وهو ذو أهمية في الكشف عن الأبعاد النفسية، والمعاني للتجربة الشعرية، وله دلالته

[1] ينظر: عودة، علي محمد: **دراسات في الشعر الفلسطيني**، ص 70.
[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص72.
[3] السابق، ص45.

المعنوية والنفسية المستقلة، ولكن لا يمكننا أن نفصلها عن الصور الأخرى في القصيدة، فهي تشكل معها بناء فنيا متماسكا، وجاءت الصورة المفردة عند لوباني على أشكال متعددة منها:

أ- بناء الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات

وفي هذا النوع عمد لوباني إلى تشكيل الصورة الفنية عن طريق تبادل صفات الماديات للمعنويات، والمعنويات للماديات، من خلال عدة أساليب منها: التشخيص، و التجسيد. ففي قصيدة (حيرة) يستخدم لوباني التشخيص لبناء صورته الفنية، وربطها مع الصور الأخرى، من خلال قوله: (ألبس الليل وشاحا) و (غناء أسكر الطير) و(فشدت والروح ظمأى). يقول[1]:

حلم كم ألبس الليل وشاحا من دمقس
فجلاه فتنة رعناء أغرت كل حس
وغناء أسكر الطير هوى من غير كأس
فشدت والروح ظمأى تتلوى قيد حبس

حيث جعل الشاعر الليل وهو شيء معنوي، بمرتبة الإنسان، يلبسه وشاحا ويزينه به، وجعل الطير إنسانا يشرب ويسكر، ويجعل الروح وهي شيء معنوي، إنسانا يشعر بالعطش ويتلوى من شدته، وتظل رهينة حبس، لا تستطيع الخروج منه.

ثم نجد الشاعر يجعل البدر إنسانا يقبل الرأس، والخمرة التي في الأكواب شخصا يدعو آخر بصوت خافت. يقول[2]:

فهفا البدر حنانا لاثما غرة رأسي
واصطفاق الراح في الأكواب يدعونا بهمس
فغدوت اليوم وحدي والدجى يومي بخرس

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص5.
[2] السابق، ص6

ونجد الشاعر يجعل الأوتار وهي شيء مادي إنسانا يئن، ويعاني من شدة الألم، فيصل صوته إلى الآخرين، فشخص الشاعر الأوتار، من خلال قوله (أنَّت الأوتار). يقول لوباني في قصيدة (الحسن الكافر)[1]:

هل أنت قلب شاعر يا حسن بل يا كافر؟
كم أنَّت الأوتار تشكو والحنين ثائر

ثم يجعل لوباني القلب، وهو شيء مادي، إنسانا يغني، ويسمع صوته لغيره، فشخص لوباني القلب من خلال قوله[2]:

غن يا قلب فما خلتك إلا وترا
هدهد الفجر مناه فتغنى سحرا

إن لوباني في تصويره شوقه لأرضه ووطنه، يجعل الناي، وهو من الأدوات الموسيقية، إنسانا يشدو بصوته الحزين؛ ليظهر المعاناة التي يعيشها، فيخلع عليه صفة من صفات الإنسان وهي الغناء. يقول [3]:

هاجه الشوق فغنى الناي من فيه هياما
وهمى الوجد دموعا فوق أوراق الخزامى

ويستخدم التجسيد لبناء صورته المفردة، وهو إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة، وللتجسيد أهمية كبيرة في إظهار الصورة، على المستويين النفسي والدلالي، فيعطي الأشياء المعنوية قيمتها عن طريق تجسيدها، ويجعل دلالة المعنى أظهر في نفس المتلقي، والصورة أوضح، فتظهر الصورة كيانا مجسدا يستطيع المتلقي تلمس جوانبه، ومن استخدامه لهذا الأسلوب، جعله الهم شيئا ماديا يحمله، فيثقل نفسه. يقول[4]:

أظلم الليل وكم تهت به

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص41.
[2] السابق، ص42.
[3] السابق، ص56.
[4] السابق، ص23.

شـــاردا وحـــدي وأشـــواقي عبـــاب

أحمـــل الهـــم وبـــي مـــن كربـــه

مهجـــة حيـــرى وشـــكوى وعتـــاب

ويجعل الشقاوة وهي شيء معنوي شيئا ماديا يعصر، فيظهر من خلال هـذه الصـورة قسوة الحياة التي يعيشها، واستنزافها لقدرته على التحمل، يقول[1]:

فأرتـــد لكـــن بـــالفؤاد لـــواعج

تـــؤجج عصـــياني لأقـــتحم الـــوعرا

ومـــا أنـــا بالحـــالين غيـــر شـــقاوة

أعصـــرها حينـــا وتعصـــرني دهـــرا

ويصف الحال الذي آل إليه الفلسطينيون، من الفقر والتشرد والشقاء، ويجعـل الشـقاء حيوانا مفترسا، يحد أنيابه، لينال من فريسته. يقول[2]:

فغـــدا مـــدبرا ولكـــن بلاهـــا

بشـــقاء قـــد حـــد مـــن أنيابـــه

وقد أسهم هذا التجسيد في إظهار الصورة المفردة وتوضيح جوانبها، فعبر الشاعر مـن خلالها عن المعاني التي تختلج في نفسه.

ويضفي الصفات الحسية على المعنوية، من خلال جعله الجوع حيوانا مفترسا، ينال من فريسته، ويعضها بأنيابه الحادة القاسية. يقول[3]:

عضها الجوع بأنيـــاب حـــداد قاســـية

اهجعي يانفس لن تلقي نفوسا صـــاغية

ومع تبدل حال الإنسان الفلسطيني، يجعل الغرام، وهو شيء معنوي، إنسانا يجثو علـى ركبتيه، مشفقا على حال الشاعر الذي وصل إليه. يقول[4]:

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص29.

[2] السابق، ص31.

[3] السابق، ص33

[4] السابق، ص48.

لا يـــــزال الغـــــرام يجثـــــو كـــــدَيًّا

مشـــــفقا والـــــذهول يطغـــــى عليـــــا

كيـــــف أمســـــى بعـــــد النعـــــيم شـــــقيا

يائســـــا ينـــــدب المـــــزار القصـــــيا

ب- بناء الصورة المفردة عن طريق التشبيه والوصف

يعد التشبيه والوصف المباشر من أسهل الأساليب التي قد يلجأ إليها الشاعر، وهو أقـل قدرة على الإيحاء، وخصوصا إذا لجأ إلى إظهار وجه الشبه بين طرفي التشبيه، أو الربط بـين المشبه والمشبه به بأداة من أدوات التشبيه،" وإن ما يتطلع إليه النقاد المحدثون فـي الصـورة ينصب على جدتها وإيجازها وقوة إيحائها، فإن جدة الصورة وقوتهـا والأسـلوب المسـتخدم، ومادتها، أو كليهما لتكشف عن شيء لم ندركه من قبل"[1]. فالصورة في هذا النوع تكون واضحة ومباشرة، وتخلو من التعقيد، وكان هذا هدف الشعر الذي تلا الحرب، وهو إظهـار الصـورة الشعرية بأبسط الأساليب؛ ليستطيع المتلقي على اختلاف مستوياته فهمها، وقد استخدم لوباني هذا النوع من الصور في أشعاره، فعندما يتحدث عن عجز الإنسان في مواجهة المحتل، يصور نفسه بالجناح الذي لا يستطيع الطيران، يقول[2]:

مـــــا أنـــــا إلا جنـــــاح لا يطيـــــر

ســـــامه الـــــدهر جفـــــاه ورمـــــاه

لهفـــــة خرســـــاء كـــــم فيهـــــا قبـــــور

فـــــي ربيـــــع العمـــــر كـــــم فيهـــــا حيـــــاه

فلجأ الشاعر إلى استخدام الصورة المفردة عن طريق التشبيه، وهـي صـورة بسـيطة واضحة، حيث يصور نفسه وحيدا، بالجناح الذي لا يطير.

---

[1] دي لويس، سيسل: **الصورة الشعرية**، ص44.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص27.

وعندما يريد الشاعر تصوير عجزه، يستخدم التشبيه، فيصور نفسه بالموجة التي يتلاعب بها المد والجزر، دون أن تفعل شيئا، فيربط بين المشبه والمشبه به بأداة التشبيه الكاف، في صورة سهلة، تخلو من التعقيد، يقول[1]:

أروح وأغدو في الحياة كموجة
فما حاورت مدا ولا عاتبت جزرا

ومن خلال التشبيه يظهر الشاعر تلاعب الزمان بالفلسطيني، فالأقدار غيرت نمط حياته،فأصبح كالقلب الذي يعاني الشوق والحرقة يقول[2]:

حتام يا عنقود تمشي بك الأقدار
كخافق موؤد بين الجوى والنار

وعندما يتحدث الشاعر عن حال الفلسطيني قبل نكبة 1948، يصور نفسه بالطير الذي ارتوى من الغيث، فأصبح يشدو فرحا، ومشت الجداول في أرضه، فأحيتها وكبرت الزهور فيها، فيقدم هذه الصورة بتشبيه مباشر. يقول[3]:

ما أنا إلا كطير جاده الغيث سلافا
فشدا من نشوة قد صاغها الكوب انعطافا
ومشى الجدول لحنا ونما الزهر افتتانا
وسرى النسيم مشوقا فغدا الغصن كمانا

ويشبه نفسه بالموج الذي يغسل كل الأوساخ بطهره، فأحيانا يقترب من الشط، وأحيانا أخرى يبتعد عنه، وكذلك حال الإنسان الفلسطيني الذي يواجه محتله بقوة أحيانا، وأحيانا أخرى يعود مستسلما إلى مكانه، فيستخدم التشبيه المباشر للتعبير عن هذه الحالة. يقول[4]:

ما أنا إلا كموج يغسل الشط بطهره

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص29.
[2] السابق، ص51.
[3] السابق، ص57.
[4] السابق، ص58.

تارة يحنو عليه ثم يعدو نحـــو وكـــره
وتر يهتز لا يفنـــي لـــه الليـــل غنـــاء
دأبه التنغيم لا يخشى قيـــودا أو قضـــاء

ويتلهف الشاعرعلى المجد الذي كان لأرضه قبل الاحتلال، ويشبه هـــذا المجـــد بمجـــد الشمس والقمر، فيربط من خلال التشبيه بين المشبه والمشبه به بأداة التشبيه الكاف، في صورة بسيطة تتضح للقارئ، يقول[1]:

لهفـــي عليهـــا يـــوم كـــان لهـــا
مجـــد كمجـــد الشـــمس والقمـــر
أخلـــى لهـــا أســـمى مراتبـــه
لكنهـــا ملـــت مـــن الضـــجر

ج- بناء الصورة المفردة عن طريق تراسل الحواس

يعتمد بناء الصورة عن طريق تراسل الحواس، على تبادل صفات الحـــواس الخمســـة، وهي: اللمس والشم والذوق والبصر والسمع، فيتم خلع حاسة على حاسة أخـــرى، لتظهـــر لنـــا صورة من ابتكار الشاعر، هدفه منها خلق بناء خاص من تكوينه، يحمل دلالات إيحائية مختلفة. وقد وظف عيسى لوباني هذا النوع من الصور في أشعاره، فخلع حاسة على أخرى، لتظهر لنا الصورة الشعرية بأوضح معانيها. فنجده يتراسل مع حاستي السمع والذوق؛ لإظهار حياته قبـــل النكبة، واللذة التي كان يعيشها. يقول[2]:

وغناء أسكر الطير هوى من غير كأس
فشدت والروح ظمأى تتلوى قيد حـــبس

فتراسل الشاعر مع حاستي السمع والذوق، في قوله: (وغناء أســـكر الطيـــر) فالغنـــاء مختص بحاسة السمع، والسكر مختص بحاسة الذوق، فتشكلت صورة مفردة من خلال الـــربط بين هاتين الحاستين.

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص65.
[2] السابق، ص5.

ومن تراسل الحواس الذي وظفه في بناء الصورة، الربط بين حاستي البصر والسمع، في قوله: (والدجى رجع الأنين) فالدجى مختص بحاسة البصر، والأنين مختص بحاسة السمع، وأدى الربط بين هاتين الحاستين، إلى إظهار الحزن الذي يعيشه الفلسطيني، وقسوة الحياة التي يعانيها. يقول[1]:

في سهوب من حنين كم مشى قلبي وتاه
والدجى رجع الأنين بات يشكوه جواه
آه ما أقسى الحياه رنح الوجد مناه

ونجد الشاعر يتراسل مع حاستي السمع والبصر؛ لإظهار الأحلام الجميلة التي كانت للفلسطيني، ولكن القدر أبعدها ولم يعد بالإمكان تحقيقها، يقول[2]:

في جفنك الحيران إيماضة
تفضح ذكرى حظك العاثر
غنى رؤى الأحلام لكنه
ذادته أيدي القدر الساخر

ففي عبارة (غنى رؤى الأحلام)، تراسل الشاعر في (غنى) وهي حاسة السمع، مع (رؤى الأحلام) وهي حاسة البصر، لتظهر من خلال هذا التراسل صورة تبين أمنيات الفلسطيني، التي كان يرغب في تحقيقها، ومنها: تحرير أرضه، والعودة إليها.

وعندما أراد الشاعر إظهار وحدته، وتخاذل الآخرين عن نصرته، تراسل مع حاستي البصر والسمع، من خلال عبارة (شعاعا يناجيني)، (فالشعاع) من خواص حاسة البصر، و(يناجيني) من خواص حاسة السمع، فشكل من خلالهما صورة تظهر واضحة، وتعبر عن اليأس من المستقبل. يقول[3]:

أقلب عيني في الجهات الأربع فلا أرى

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص11.
[2] السابق، ص17، 18.
[3] السابق، ص28.

ثانيا: الصورة المركبة الكلية

يتحقق هذا النوع من الصور من خلال ائتلاف مجموعة من الصور المفردة، لتقدم لنـــا صورة أكثر تعقيدا، لا تستطيع الصورة المفردة أن تقوم بها، فيعمل الشاعر على تجميـــع تلـــك الصور المفردة؛ لتعميق الصورة الكلية التي يحاول إظهارها. ويعرف صالح أبو أصبع الصورة المركبة بأنها " مجموعة من الصور التي تتآزر في تصوير جانب متكامل من جانب الأثر الكلي الذي يريد الشاعر إحداثه في قصيدته "[1]، وقد استخدم عيسى لوباني هذا النـــوع مـــن الصـــور المركبة في قصائده، فجاءت الصور مفعمة بالحركة والحيوية، ومؤتلفة مع بعضها البعض، وقد جاء استخدام الصورة المركبة على عدة أساليب منها:

أ- **البناء الدرامي**

يكون هذا النوع من الصور في الشعر لإظهار صورة متحركة، مليئة بالحيوية، " ويعتمد اعتمادا أساسيا على عناصر التعبير الدرامي، من حوار، وحوار داخلي، وسرد قصصي؛ وذلك لتمثيل الصراع والحركة وهما جوهر الدراما "[2]، ووظف لوباني هذا النوع من الصور الدرامية في قصائده، فنجده يستخدم الحوار، والسرد القصصي في المقطع الواحـــد، فتظهـــر الصـــورة واضحة وتبرز جوانبها للمتلقي. يقول[3]:

أنا والحسن خلـــيلان ولكـــن غـــاب عنـــي
سلبته قبضة الأمـــس فمـــا لـــي لا أغنـــي
كنت إن عانقته كيما أطفـــئ نـــار حزنـــي
قال زدني من رحيق الخمر سكرا ثم دعني

[1] أبو أصبع، صالح: **الحركة الشعرية في فلسطين**،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1979، ص77.
[2] سنداوي، خالد أحمد: **الصورة الشعرية عند فدوى طوقان**، حيفا، مكتبة كل شيء،1993، ص60.
[3] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 41،42.

فيظهر الشاعر من خلال هذا المقطع، عن طريق السرد العلاقة التي كانت تجمع الفلسطيني بأخوته العرب، ثم تغير هذه العلاقة وبقاء الفلسطيني وحيدا، يقارع المحتل ويتحمل سطوته.

واستخدم لوباني السرد القصصي في قصيدة (ذكريات)؛ ليبين من خلاله صورة النعيم الذي كان يعيشه الفلسطيني، فقد عاش قديما حياة العشق، ونعم بخيرات الأرض، يقول[1]:

كم كرعنا بالأمس كأس هوانا
وقطفنا ثمارنا وجنانا
وغفونا تحت الظلال زمانا
في عناق مستغرق أبدي
نافح من حنانا ألحانا

وتحققت الصورة المركبة عند لوباني من خلال الحوار الداخلي، الذي كان يجريه مع نفسه، ففي قصيدة (اسكتي يا نفس)، يخاطب الشاعر نفسه، ويحثها على السكوت؛ لأنها لن تجد من يصغي إليها، فالكل منشغل عنها، ولا يهتمون لأمرها. يقول مخاطبا نفسه[2]:

اسكتي يا نفس وارقدي في الزاويه
وأغلقي الأبواب فالريح ذئاب طاويه
عضها الجوع بأنياب حداد قاسيه
اهجعي يا نفس لن تلقي نفوسا صاغيه

وعندما يتحدث الشاعر عن نفسه المحطمة، ويأسه من الحياة، يستخدم السرد القصصي؛ لإظهار الصورة، فيظهر من خلاله جوانب اليأس، والوحدة التي يعيشها، فحياته أصبحت تعتمد على الأحلام، والتاملات الذهنية. يقول[3]:

سئمت فرُحتُ محدودا بعيشي

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص48.

[2] السابق، ص33.

[3] السابق، ص 54،55.

وعمـــري بـــين خابيـــة وكـــأس
وأركـــب مركـــب الأحـــلام لـــيلا
فـــأفني الفكـــر فـــي أطيـــاف هجـــس
وأجمـــع كـــل شـــيء قـــد تقضـــى
فأدفنـــه وأنفـــض هـــم نفســـي

ب- **البناء المقطعي**

يستخدم الشاعر البناء المقطعي لإظهار الصورة الفنية، من خلال مجموعة من المقاطع التي تتحد مع بعضها؛ لتشكيل صورة متكاملة " يرتبط بعضها بالبعض الآخر ارتباطا وثيقا، في وحدة متكاملة، نفسية أو منطقية أو عضوية، بحيث يشكل هذا الترابط أساسا في بناء الصـــورة الكلية "[1]، وأكثر عيسى لوباني من استخدام هذا النوع في قصائده، فكثير منها جاءت مقسمة إلى مقاطع مترابطة، تظهر جوانب الموضوع، وتقدم صورة متكاملة للواقع الـــذي يعيشـــه، فيقســـم الشاعر قصيدة (شكوى) إلى خمسة مقاطع، يظهر من خلالها معاناته وألمه الذي يعيشه، فتتحـــد المقاطع مع بعضها لتقديم الصورة. يقول[2]:

يابنـــــة الليـــــل البهـــــيم أتـــــرى أنـــــت دخـــــان
يتلـــــــوى للســـــــديم كلمـــــا أرخـــــى عنـــــان
آه مـــــن ظلـــــم الزمـــــان شـــــرر يفـــــري الجنـــــان
كـــــــرة الأيـــــــام والســـــنين
جهشـــــــة الأنغـــــام واللحـــــون
حرقـــــــــــة الآلام غربتـــــي

***

أم تـــــرى شـــــوق ألـــــيم يتنـــــزى مـــــن كمـــــان
صـــــاغه حـــــب قـــــديم يتـــــراءى فـــــي حنـــــان
آه مـــــن ظلـــــم الزمـــــان شـــــعلة ماجـــــت هـــــوان

[1] سنداوي، خالد أحمد: **الصورة الشعرية عند فدوى طوقان**، ص64.
[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص10.

ســــــــورة الألحـــــــــان والشـــــــعور

رقصـــــــــة الأغصـــــــــان والطيـــــــور

كلهـــــــــا أحـــــــــزان فرحتـــــــــي

فبترابط المقاطع بعضها مع بعض، ظهرت الصورة واضحة، وقد جاء هذان المقطعـــان مترابطان مع بقية مقاطع القصيدة.

وفي قصيدة (محال) يقسمها الشاعر إلى ثلاثة مقاطع، يربطها مع بعضها، مـــن خـــلال الأمنيات التي كان يحلم بتحقيقها، وهي أن يتخلص من كل القيود التي تؤثر عل حياته. يقول[1]:

يـــاليتني جنـــاح عبـــر الفضـــا أطيـــر

تقذفني الرياح فـــي المهمـــه العســـير

يـــــــا ليتنـــــــي جنـــــــاح

فـــــــي عـــــــالم مبـــــــاح

وقسم لوباني قصيدة (معبد الذكريات) إلى أربعة مقاطع، ربطها مع بعضها، وأبرز مـــن خلالها صورة مركبة، تظهر ماضيه الذي كان يعيش فيه.

والجدول الآتي يبن القصائد التي جاءت على البناء المقطعي، وعـــدد المقـــاطع فيهـــا، والقصائد غير المقطعية في ديوان (أحلام حائر):

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص12.

القصائد المقطعية	عدد المقاطع	القصائد غير المقطعية
حيرة	8	صراع
محال	3	ليالي الشاعر
معبد الذكريات	4	إليها
الحائرة	3	
عروس الشعر	6	
سرى	6	
فقر وجنون	5	
في المعبد	5	
مركب الأحلام	2	
اسكتي يا نفس	5	
حدثيني	5	
الحسن الكافر	4	
خليلان	4	
اعترافات	5	
أطيف الربيع	2	
غرور	2	
جنون	5	

نلحظ من الجدول السابق أن لوباني اهتم بالشعر المقطعي أكثر من غير المقطعي، وحرص على تقديم الصور الفنية على شكل لوحات مترابطة، وأدى هذا الاستخدام إلى إظهار عناصر الصورة المركبة، وكشف جوانبها.

المطلب الخامس: التضاد

لجأ كثير من الشعراء إلى استخدام التضاد أو المخالفه في أشعارهم؛ ولعل ذلك لأهميته في العمل الشعري، وقدرته على الكشف عن المتناقضات في الحياة،" والتضاد هو ضد الشيء، وقد ضاده، وهما متضادان، يقال: ضادني فلان إذا خالفني"[1]، ولا شك أن " توزيع التضاد في

[1] عكاوي، إنعام: **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992، ص371.

العمل الأدبي يكسب العمل الأدبي توزيعا هرمونيا، وإيقاعا وتناغما صوتيا، يعطي القصيدة قيمة فنيه لا يمكن تجاهلها "[1]، والشاعر من خلال التضاد يحاول تعرية الواقع، وكشف زيفه، من خلال ثنائيات متناقضة، وخصوصا ثنائية الذات والآخر، ثنائية الحاضر والماضي، وثنائية الفرح والسرور، ولعل منبع هذا كله هو الظروف السياسيه والاقتصاديه التي مرت بها فلسطين بعد النكبه، ومن هنا نجد أن التضاد " يقود إلى حالة من التوازن، سواء بين عناصر اللغة جميعا، أو عناصر الكون بأسره، يستطيع المبدع تحقيقها بعد معاناه عميقة، للوصول إلى حالة فائقة، تجمع بين الكشف المتأني، والدهشة المندفعة، ومن ثم تجمع بين العقل والقلب" [2].

والشاعر يعيش في الواقع، ولا يمكن أن ينفصل عنه، يؤثر فيه ويتأثر به، فينعكس ذلك على لغته ومعجمه الشعري، " وبما أن الشاعر لا يمكن أن ينفصل عن واقعه، فقد أخذ بإحساسه المرهف، وشعوره الحساس، يلتقط المتناقضات في المجتمع ويجمع بينها؛ ليصورها للمتلقي بصورة تفجؤه بالحقيقة المرة، وتوقظ فيه ذلك الشعور الخامل، والإحساس المتردي، وأما المنبع الحضاري فهو أشد إيلاماً، فاتساع الهوة بين ماض عريق، وحاضر عقيم، دفع الشاعر إلى توظيف أساليب التضاد المختلفة في الكشف عن مساوئ الواقع وإبراز عيوبه "[3].

ونجد أن المرحلة التي عاش فيها عيسى لوباني، مرحلة جمعت بين عيشه في أرضه بسلام في ظل ماضيه الجميل، وحاضر مرير يبعث على التشاؤم والألم، مما دفعه إلى استخدام التضاد في أشعاره، وهذا ما نلحظه في كثير من قصائده، ويظهر توظيفه للتضاد في كلمتي (الذهاب) و (الرواح) حيث يقول لوباني[4]:

وسرت في اكتئاب استوضح الطريق
يغمرني السراب يملؤه النقيق
فحرت في الذهاب وتهت في الرواح

---

[1] بني عامر، عاصم: **لغة التضاد في شعر أمل دنقل**، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2005م، ص28.

[2] السابق، ص59.

[3] السابق، ص64.

[4] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص13.

يـــــــــــاليتني جنـــــــــــاح

فـــــــي عـــــــالم مبـــــــاح

وهنا نجد أن التضاد جمع بين كلمتي (الذهاب) و (الرواح)؛ ليبين أن الإنسان الفلسطيني أصبح مشردا حائرا، لا يستطيع البقاء في أرضه؛ لأنه شرد منها، وأبعد عنها قسرا، ووجد نفسه تحت سياط عدو لا يرحم، حتى إذا خرج من أرضه، وجد أنه غير قادر على العودة إليها مـــن جديد، فعمل التضاد على وصف حالة الفلسطيني، وتشرده خارج أرضه. كما يظهـــر اســـتخدام الشاعر للتضاد في لفظتي (الشعاع) و (الظلام) بقوله[1]:

كلمـــــا هـــــددتها كـــــيلا تـــــروع

فتنـــــــــــــــــــــــــــــــام

أدبـــرت تبغـــي شـــعاعا مـــن نـــزوع

فـــــــــــــي الظـــــــــــــلام

فهـــــــي شـــــــوق ولظـــــــاه لفـــــــه الليـــــــل فتـــــــاه

كلمـــــــــــا رام منـــــــــــاه آضـــــــه الحـــــــزن شـــــــجون

ولقد استخدم الشاعر هاتين المتضادتين (الشعاع) و (الظلام)، لما تمثلهما من رمزيـــة، فالشعاع يدل على الحرية، والظلام يدل على المحتل، الـــذي احتـــل هـــذه الأرض، فالإنســـان الفلسطيني بعد احتلال فلسطين أصبح يعيش في ظلمة المحتل، ويتجول باحثا عن حرية اشـــتاق إليها دائما، وأصبح الإنسان الفلسطيني إنسانا عاجز الحيلة، ينتقل من مكان إلى آخـــر، دون أن يكون له أي تاثير، فلا يستطيع أن يقاوم المحتل؛ لأنه أضعف منه، ولا يستطيع أن يعاتب الحكام العرب؛ لأن حرب عام 1948 كشفت حجم المؤامرة من هؤلاء الحكام، وضـــعفهم. ويســـتخدم لوباني التضاد لوصف هذا الحال قائلا[2]:

فيـــاليتني ماكنـــت عقـــلا يمضـــني

وياليتني ماكنت قلبـــا علـــى الأخـــرى

أروح وأغـــدو فـــي الحيـــاة كموجـــة

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص27.

[2] السابق، ص29.

فما حـــاورت مـــدا ولا عاتبـــت جـــزرا

(فالغدو) و (الرواح) لفظتان تدلان على التخبط، وعدم وضوح الرؤية، وهذا مـــا كـــان تماما بعد احتلال فلسطين، أما (المد) فهو المحتل الذي سيطر على فلسطين، و(الجزر) هي الأمه العربيه التي تخاذلت، فيرسم الشاعر بالتضاد فرقا شاسعا بينهما، فالمحتل يملك قوة يسيطر مـــن خلالها على الفلسطينيين، والأمة العربية فقدت كل مقوماتها وقوتها، وأصبحت تعيش حالة مـــن الضعف، فلا يستطيع الفلسطيني أن يقاوم المحل لقوته، ولا يستطيع عتاب العرب؛ لأنه لا فائدة من العتاب.

ويظهر التضاد في (الذاوي) و(يحيا)، فالموت ليس نهاية الطريق، وإنما مرحلـــة تمتـــد لميلاد أجيال جديدة، فموت إنسان قد يسهم في إحياء شعب بأكمله. وقد استخدم الشاعر التضـــاد في (الذاوي) و(يحيا)؛ ليبين أن العيش في غير أرضه ووطنه هو الموت، والموت في أرضه هو حياته. يقول[1]:

لفتـــــــة سلســـــــالها يجـــــــري
تـــــدفع الـــــذاوي بـــــأن يحيـــــا
جـــــدول فـــــي روضـــــة يســـــري
يـــــــنفح التحنـــــــان والريـــــــا
فهـــو زهـــر مـــن جنـــى الطهـــر
وعنـــــــاق يســـــــتوي حيـــــــا

ويستخدم الشاعر التضاد في المفارقه بين واقعين: واقع النعيم الذي يعيشه الفلسطيني في أرضه قبل الاحتلال، وواقع الشقاء بعد احتلال فلسطين، فيستخدم التضاد بين كلمتي (النعـــيم) و (الشقيا)، يقول لوباني [2]:

لا يـــــزال الغـــــرام يجثـــــو كـــــديا
مشـــــفقا والـــــذهول يطغـــــى عليـــــا

---

[1] لوباني، **أحلام حائر**، ص37،38.

[2] السابق، ص48.

كيـــف أمســـى بعـــد النعـــيم شـــقيا

يائســـا ينـــدب المـــزار القصـــيا

ونجد الشاعر يستخدم التضاد للتعبير عن وقتين زمنيين هما: (الصبح) و (الليل). الصبح بما فيه من حركة وحيوية، والليل وما فيه من سكون وخوف وترقب، وعدم معرفة بالأمور التي تجري حول الإنسان، وهذا بالطبع حال الفلسطيني، يقول لوباني[1]:

ســـئمت ســـفافا للنـــاس تتـــرى

بوضـــح الصـــبح والليـــل المغـــس

فمـــن شـــادٍ بـــأحلام غـــلاظ

ومـــن بـــاكٍ لأحـــلام بـــأمس

وكذلك استخدم الشاعر التضاد في (شاد) و (باك)؛ ليصف حال الناس بعد النكبة، فمنهم من يترقب المستقبل الجميل الذي يعيد الحق لأصحابه، ومنهم من يبكي ماضيا جميلا ذهب بـــلا رجعة.

ثم يستخدم الشاعر التضاد في (السر) و (الجهر)؛ للتعبير عن حبه لأرضـــه، واحتفائـــه بها، فالعالم أجمع يعرف جمال محبوبته (الأرض)، ولا يخفى جمالها على أحـــد مـــنهم. يقـــول لوباني[2]:

ســـوى لهـــا خصـــرا يـــؤوده

ترجيـــع ذاك الـــدل والخفـــر

غيـــداء مـــن فجـــر المنـــى طلعـــت

عرســـا زهـــا فـــي الســـر والجهـــر

المطلب السادس: التكرار

يعد التكرار أحد الوسائل التي وظفها عيسى لوباني في شـــعره؛ للتعبيـــرعن أفكـــاره، وتعميقها في نفس القارئ، فلا يمكن تجاهل أهميته في العمل الأدبي" فهو يسلط الضـــوء علـــى

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص53، 54.

[2] السابق، ص 63،64.

نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر، ويحلل نفسية كاتبه"[1]، " والتكرار ظاهر من ظواهر الشعر الحديثة، التي بدأت في الانتشار في مطلع هذا القرن، وإن كانت جذورها التاريخيه تمتد إلى التراث الشعبي العربي القديم "[2].

ولا يكون التكرار مفيدا إلا إذا استخدمه الشاعر بطريقة متقنة، فهو يحتاج إلى المقدرة اللغوية، والتمرس في استخدام الألفاظ، بل " إنه بالأحرى أسلوب لا يكون مفيدا إلا إذا استخدمه الشاعر المتمرس، ووضعه في موضعه الصحيح في القصيدة "[3]. وبالتكرار يكون تركيز الشاعر على جزء معين من الكلام، ويهتم به أكثر من غيره في القصيدة، ويكشف عن اهتمام المتكلم به، فيسهم في ترسيخ المعنى، ويكشف عن جوانب خفية، لا يلتفت إليها المتلقي، فيدفعه إلى الإمعان فيها، والاهتمام بها أكثر.

وقد لجأ عيسى لوباني إلى أسلوب التكرار للتعبير عن بعض المواقف، والتركيز على بعض الأمور التي شغلت فكره، وجاء التكرارعند لوباني من الناحية الشكلية على نوعين هما:

1- تكرار الكلمة المفردة.

2- تكرار الجملة / تكرار المقطع.

1- تكرار الكلمة

إن تكرار الكلمة يحقق إيقاعا يساير المعنى، ويعبر عن جوانبه، فهو يستطيع أن يعبر عن كثير من الأمور الزمانية والمكانية، أو الحركة أو اللون، أو غيرها من المواقف التي يود الشاعر التركيز عليها، وإعطاءها اهتماما أكثر من غيرها، وقد اهتم الشعراء ومنهم لوباني بشكل لافت بالتكرار في أشعارهم.

---

[1] الملائكة، نازك: **قضايا الشعر المعاصر**، ص266..

[2] أبو أصبع، صالح: **الحركة الشعرية في فلسطين بين عامي 1948م - 1975م**، ص409.

[3] الصباغ، رمضان: **في نقد الشعر العربي المعاصر**، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1998،1، ص25.

يقول في قصيدته (عروس الشعر)[1]:

يـــــاعروس الشـــــعر ميلـــــي أنـــــت غصـــــن مـــــن دلال
والبســـــي الثـــــوب ســـــنيا يســـــتبيني فـــــي الخيـــــال

أنـــــت حلـــــم فـــــي المنـــــام
أنـــــت لحـــــن مـــــن كمـــــان
أنـــــت طيـــــف مـــــن هيـــــام
أنـــــت نفـــــح مـــــن حنـــــان

وقد كرر الشاعر في قصيدته الضمير المنفصل (أنتِ)، وبهذا التكرار يصب تركيزه على الأرض، التي منحها الجزء الأكبر من اهتمامه، كما يشرك القارئ في التركيزعليها، فقد شغلت الأرض فكر الشاعر وعقله، فأصبح لا يفكر إلا بها.

ومن تكرار المفردة كذلك قوله في قصيدة الحسن الكافر[2]:

كم ظللت ليلي ساهرا والشوق بحر زاخـر
كم لفني ثوب الدجى واليأس نجـم غـائر
كم راعني همس المنى والليل قلب شـاعر

وجاء تكرار كم الخبرية؛ ليبين الاستغراق في الزمن، زمن الشوق والترقب بعودة أرضه ووطنه، وزمن اليأس وظلمة المحتل التي طالت، وزمن الأمنيات التي عاش عليها الفلسطيني طويلا، ليجد فيما بعد أنها أمنيات كاذبة، لا قيمة لها.

وجاء تكرار المفردة في قصيدته (في المعبد) حيث كرر كلمة (حتام)، وقد تكررت (7) مرات. يقول[3]:

حتـــــام يـــــا عنقـــــود تمشـــــي بـــــك الأقـــــدار
كخـــــافق مـــــوؤود بـــــين الجـــــوى والنـــــار

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص18.
[2] السابق، ص 39.
[3] السابق، ص 51،52.

يملـــــي الـــــدجى أشـــــواق مكتومـــــــــة الأســـــــــرار

مـــــا صـــــاغها مشـــــتاق بالوجـــــــد والتـــــــذكار

حتـــــام يـــــا كـــــرم تـــــروي لـــــك الأوتـــــار

صـــــــــبابة النشـــــــــوان

فـــــي معبـــــد الألحـــــان

وجاء تكرار (حتام)؛ ليبين طول الانتظار عند الإنسان الفلسطيني، فقد مـل وضـجر، ويئس الوعود الكاذبة، وأراد (بالتكرار) استنهاض الهمم لئلا يبقى الإنسـان الفلسـطيني علـى الوضع الذي يعيش فيه، بل عليه التغيير سريعا.

وكرر الشاعر في قصيدة (اعترافات) حرف النفي (لا) حيث يقول[1]:

لا أبالي إن غفا النسـيم بليـل أو سـحر

لا ولا إن ثـار كالصـب شـوقا للزهـر

سـوف أحيـا فـي معبـد بـين الظـلال

في صلاتي راهب قد خاله النـاس ضـلال

حيث حقق تكرار اللفظ (لا) مزيدا من الرفض، وعدم المبالاة بالمحتل، فالشاعر يرفض كل أنواع التخاذل والصمت، ولا يرضى أن يكون الحال كما هو عليه. ونرى الشـاعر يكـرر حرف النداء (يا) قائلا[2]:

يـــــا حســـــنك القتـــــال وقـــــــدك الميـــــــال

يـــــا رمشـــــك الســـــاحر وخـــــــدك العـــــاطر

يـــــا ردفـــــك الرفـــــاف وذيلـــــــك الهفهـــــاف

أهـــــواك يـــــا ظـــــالم

هـــــات المنـــــى هـــــات

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص58.

[2] السابق، ص72.

ويلاحظ أن تكرار حرف النداء (يا)، يبين مدى تعجب الشاعر من أرضه، فجمالها فوق كل جمال، ويصف صفات محبوبته (الأرض) الحسية، محدثا بحرف النداء (يـــا)، مزيـــدا مـــن الإعجاب والافتتان بهذه الأرض.

ويكرر كلمة (ليتني) قائلا[1]:

يـــــــــــاليتني ســـــــــــحاب فـــــــي الأفـــــــق البعيـــــــد
بـــــــل ليتنـــــــي ضـــــــباب لا أشـــــــــــتكي قيـــــــــــودا

ويبين هذا التكرار أمنيات الفلسطيني في التحرر من الاحتلال، الذي سامه أشد العـــذاب في أرضه.

2- تكرار الجملة / المقطع

مما يلاحظ في أشعار لوباني أنه يلجأ إلى تكرار الجمل في أشعاره، " وتكرار الجملة أو مادونها من تركيب أو عبارة على مسافات متباينة قربا وبعدا، من أساس القصيدة، اذ لا يلبث أن يظهر المكرر حتى يختفي ليعاود الظهور بين الفينة والأخرى، وهو بهذا الحال مـــن الظهـــور والاختفاء، يبقي المتلقي حاضر الذهن والعاطفه، مشدودا على الـــدوام إليـــه، إلـــى أن تنتهـــي القصيدة"[2].

ومما يلاحظ في قصائد لوباني أنه يكرر بعض الجمل بين الفينة والأخرى، ليؤكد علـــى المعنى الذي يريده، ويبقى القارئ في حالة من الانتباه، وقد جاء هذا التكرار متقاربا في بعـــض المواضع، ومتباعدا في مواضع أخرى. ومن تكراره للجمل قوله[3]:

أيهـــــا النـــــاس لا عـــــدمتم فـــــؤادا
يبـــذل العطـــف فـــي وســـيع رحابـــه

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص12.

[2] خواجا، علي: **التشكيل الصياغي في الشعر الفلسطيني الحديث**، رام الله، دار البيرق للنشـــر والتوزيـــع، ط1، 2009م، ص50.

[3] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص32.

أيهـــا النـــاس لا عـــدمتم رحيمـــا

يخلـــص العـــون للفريـــق المجابـــه

وقد وصلت بهذا التكرار، (أيها الناس)، صرخه الشاعر المدوية، التي تبين الحاجة التي يعاني منها الفلسطيني، وهو نداء إلى كل الناس ليمدوا يد العون إلى الفلسطينيين، وألا يتركوهم وحيدين يعانون مما يعانون.

ومن تكرار الجمل قوله في قصيدة (اسكتي يا نفس)[1]:

أنا يا نفس عشيق الصمت يغلي في قرارك

أنا يا نفس سجين خلف جـــدران إســـارك

وجاء تكرار الجمله ليكشف عن مزيد من جوانب المعاناة التي عاشها الفلسطيني، ومـــا زال يعيشها، فجاءت الجملة منبهة لفكر القارئ بألا يتجاهل الحال الذي يعيشه في أرضه.

ويكرر الشاعر في قصيدة (الحسن الكافر) المقطع (حلم فوعد طائر يا حسن أنت غادر) حيث يقول[2]:

حلم فوعد طائر يا حســـن أنـــت غـــادر

في سجوه ذكر المنى والحلم طيف عابر

حلم فوعد طائر يا حســـن أنـــت غـــادر

وجاء تكرار هذا المقطع ليؤكد على الأوهام التي عاشها الفلسطينيون والوعود الكاذبـــة التي سمعوها من القادة العرب، فلم تكن هذه الوعود سوى غدر بإخوانهم الفلســـطينيين، فكـــان محصلة ذلك ضياع الأرض، وفقدان الجزء الأكبر منها.

ومن تكرار الجمل قول لوباني[3]:

لهفـــي عليهـــا يـــوم كـــان لهـــا

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص34.

[2] السابق، ص40.

[3] السابق، ص64،65

مجـــد كمجـــد الشـــمس والقمـــر

أخلـــى لهـــا اســـمى مراتبـــه

لكنهـــا ملـــت مـــن الضـــجر

قـــد راعهـــا التنميـــق فـــي زمـــن

واغتالهـــا التهويـــل فـــي الـــدهر

****

لهفـــي عليهـــا يـــوم كـــان لهـــا

مجـــد كمجـــد الشـــمس والقمـــر

أضـــفى عليهـــا ســـحره حلـــلا

لكنهـــا بليـــت علـــى الأثـــر

وقد أبرز تكرار المقطع مزيدا من التحسر واللهفة على الماضي الجميـل الـذي كـان لفلسطين، وسرعان ما تلاشى سريعا، تاركا الفلسطيني يندب حظه العاثر، وحسرته الكبيرة على ما كان.

المطلب السابع: الترادف

تعد ظاهرة الترادف في اللغة العربية، من بين الظواهر اللغوية التي تضفي على اللغـة ميزة خاصة، حيث أغنت هذه الظاهرة المعجم العربي بكثير من المفردات والألفـاظ، وأصـبح العربي من خلالها، يستطيع التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، واهتم المحـدثون بهـذه الظاهرة، حيث أصبح الشاعر من خلال المترادفات يستطيع الكشف عن جوانب الموضوع الذي يتناوله،" وإن المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في المعنى، إنمـا يـرون أيضـا أن مقيـاس الترادف في ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة، الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفهـا فـي النص اللغوي، دون أي تغيير في المعنى "[1].

وإن الترادف يحقق للنص توازنا، ويستطيع الكشف عن الجوانب المختلفة، الاجتماعيـة والسياسية، من خلال تعميق الوصف لها، وتقديم صورة أكثر وضوحا بكلمات مختلفة الشـكل،

[1] لعيبي، حاكم مالك: **الترادف في اللغة**، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980م، ص67.

متشابهة المعنى، ولقد استخدم عيسى لوباني الترادف في أشعاره، مما أسهم في إظهار جانب من حالته النفسية التي يعيشها، إضافة إلى كشف معاناة الشعب الفلسطيني، وتوصيف الحال الفلسطيني بشكل أعمق، ومن ذلك قوله[1]:

ذكريات هي في النفس صدى تلك الليالي
ذكريات عصرت روحي وزادت في ضلالي
جعلتني عبد أحلام ووهم وخيال
تائها اصرخ: ربي !! أين ينبوع الجمال

فقد استخدم الشاعر المترادفات (أحلام ووهم وخيال)، وجاءت هذه المفردات لتصف الحال الذي عاشه الإنسان الفلسطيني، من الوعود الكاذبة من الجيوش العربية، ليجد الفلسطيني نفسه أمام مؤامرة كبرى، وأوهام كاذبة. وفي موضع آخر يقول[2]:

وإذا ما رمت وصلا في الليالي الضاحكات
ليس بدعا أن تضيئي الداجنات المبهمات

أنت لمح من ضياء
أنت عطر من زهور
أنت وهج من سناء
شع من نار ونور

وقد استخدم الشاعر(الداجنات، المبهمات) للتعبير عن قيمة الأرض، والأثر الذي تتركه في نفس الإنسان الفلسطيني، فهي تنير حياته، وتزيل الظلمة عن الليالي التي يعيشها، وفي هذا الاستخدام للترادف تأكيد على أهمية الأرض، ودورها في حياة الإنسان الفلسطيني.

وقد استخدم الشاعر الترادف في كلمتي (نحيب، وبكاء)، حيث يقول[3]:

كم ركبت الليالي نضوا أكتم

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص15.
[2] السابق، ص19.
[3] السابق، ص 24،25.

ألمـــا ينـــزو نحيبـــا وبكـــاء

وحنينـــي فـــي ســـراه نغـــم

ثـــار يحـــدوه كمـــاني فـــي الفضـــاء

مـــا أنـــا إلا بقايـــا تـــألم

كلمـــا فـــاض دجاهـــا برحـــاء

وقد جاء هذا الاستخدام للترادف معبرا عن حجـم المأسـاة، والحسـرة التـي عاشـها الفلسطيني بعد عام 1948 م، حيث وقف الفلسطيني مصدوما مما حدث، ولم يجد أمامه سـوى البكاء والنحيب على ضياع فلسطين. ومن الترادف الذي استخدمه عيسى لوباني فـي أشـعاره قوله[1]:

مـــا أنـــا إلا جنـــاح لا يطيـــر

ســـامه الـــدهر جفـــاه ورمـــاه

لهفـــة خرســـاء كـــم فيهـــا قبـــور

فـــي ربيـــع العمـــر كـــم فيهـــا حيـــاة

فقد استخدم الشاعر (جفاه ورماه)؛ ليعبر عن انقطاع الحيلة للإنسان الفلسـطيني، وقـد تخلى عنه القريب والبعيد، وقد تشرد في بقاع الأرض المختلفة، وأصبح يستجدي العـون مـن الآخرين، ولكن دون جدوى. ويستخدم لوباني الترادف لوصف الماضي الجميل الذي كان يعيشه قبل نكبة فلسطين، والسيطرة عليها. يقول[2]:

كـــم كرعنـــا بـــالأمس كـــأس هوانـــا

وقطفنـــــا ثمارنـــــا وجنانـــــا

وغفونـــا تحـــت الظـــلال زمانـــا

فـــي عنـــاق مســـتغرق أبـــدي

نـــافح مـــن عفافنـــا ألحانـــا

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 27.

[2] السابق، ص 48.

وجاء استخدام المترادفتين (ثمارنا،جنانا) معبراً عن حياة النعيم التي كان يعيشها الفلسطيني في أرضه، وتلذذه بخيراتها وثمارها، التي كان يجنيها منها. واستخدم الشاعر كذلك كلمتي (مستغرق، أبدي) ليعبر عن ملازمة الفلسطيني لأرضه، مهما طال الزمان أو قصر، فلن يستطيع أحد أن يفرق بينهما.

المطلب الثامن: اللغة الشعرية

تعد اللغة عنصراً مهماً من عناصر إبداع الشاعر والأديب، فإذا أراد توصيل فكرته إلى الجمهور، ينبغي أن يسلك مسلكاً خاصاً في لغته، يجذب الجمهور، ويمتع القراء، ويصل من خلاله إلى الهدف الذي يريد تحقيقه، ويرى رجاء عيد أنه:" لم تعد الكلمات مجرد اصطلاحات، بل غدت جزءاً من الأشياء نفسها، واللغة لم تعد وسيلة، بل غدت كائناً، ومهمة الكلمة ليست محاكاة الأشياء، بل مهمتها على العكس تفجير تعريفاتها وحدودها النفعية، ومعانيها التقليدية الشائعة الاستعمال؛ ليستخلص منها إمكانيات غير متوقعة، ومعانيِ كامنة تحملها في طياتها "[1].

واللغة تعبر أصدق تعبير عما يجول في نفس الشاعر من هموم وآلام، وتكشف عن خفايا نفسه، وتبرز قدرته في وصف الأحداث، والدفاع عن هموم الناس، يقول رجاء عيد أيضا: " ولما كان الشاعر يود الإبانة عن داخله الانفعالي، ورؤاه الوجودية الخاصة، فلا مناص أمامه إلا أن يحدث هدماً من منطق اللغة، ليقيم بناء جديداً، له نسقه وتركيبه اللغوي الخاص، وإن كانت المادة الأولى واحدة "[2].

فلغة الشاعر لها خصائصها التي تميزها عن لغة الكلام العادي، وترقى من خلالها عنها، فيتميز الشاعر عن غيره بلغته الخاصة، التي تكسر كل الحدود، وتصل مكنون النفوس، وتعبر عما يجول في الخاطر، ويدور في الأذهان، ويستخدم الإنسان العادي في حياته اليومية الكثير من الجمل والعبارات التي يعبر من خلالها عما يدور في داخله، ويتواصل مع الآخرين بها، ولكن

---

[1] عيد، رجاء: **دراسة في لغة الشعر**،الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ت)، ص 8.

[2] السابق، ص15.

الشاعر يستخدم هذه العبارات والجمل بشيء من الخصوصية، ويرتقي عن الآخرين في استخدامها.

ومن هنا نجد أن للغة دوراً أساسياً في عملية الإبداع الشعري، بل هي من أهم عناصر العمل الشعري، يقول إبراهيم السامرائي: " فإذا كانت اللغة عنصرا من عناصر الشعر المهمة، فلا بد للشاعر أن يسلك فيها مسلكاً خاصاً؛ ليستطيع فيها أن يؤدي معاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول "[1].

وتتولد اللغة الشعرية من الأحداث التي يعيشها الشاعر، فإذا عاش مرحلة الحرب فإن مفرداته تعبر عن الحرب، وتذكر مفرداتها، وإذا عاش مرحلة السلام، فإننا نجد مفرداته الشعرية تعبر عنها كذلك، فاللغة مرآة الواقع تنقل الصورة التي يعيشها الإنسان، وتكشف آلامه وهمومه اليومية.

وعيسى لوباني عاش مرحلة صعبة من المراحل التي مرت بها فلسطين، وهي مرحلة النكبة، وضياع فلسطين أمام مرأى ومسمع من القادة العرب، أضف إلى ذلك أنه رأى طوابير المشردين من الفلسطينيين، الذين سكنوا وطناً غير وطنهم، وأرضاً غير أرضهم، وزاحموا غيرهم في لقمة عيشهم، فجاءت أشعاره معبرة عن هذا الواقع المرير، ومفرداته تصف الأمل بعودة فلسطين، والحلم في إرجاع ما سلب منها، لذا جاءت مفرداته سهلة، تعبرعن واقع المأساة، بعيداً عن التعقيد، مع الإبقاء على الرمز فيها؛ نتيجة للظروف السياسية، وقمع السلطات الصهيونية للحريات، فالشاعر في هذه المرحلة كان يتعرض لكثير من المضايقات، ولا يستطيع الأديب التعبير عن مكنون نفسه دون أن يتعرض للملاحقة والعقاب، وإن " ما يميز الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة منذ 1948 حتى 1968 هو ظروفه القاسية البالغة الشراسة التي تحداها وعاشها، لقد كان الحصول على نماذج هذا الأدب المقاوم صعبا للغاية "[2].

---

[1] السامرائي، ابراهيم: **لغة الشعر بين جيلين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1980 م، ص10.

[2] كنفاني، غسان: **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال1948– 1968**، ص14.

وهذا ما عمد إليه عيسى لوباني، فقد جاءت مفرداته جزلة واضحة، تعبر عن المأساة، وتصف الواقع الذي يعيشه الناس، وترسم أحلامهم وآلامهم، وتعبر عن همومهم، وتبين تخاذل الحكام العرب، والعتاب عليهم، وقد وردت مفردات الحزن والأسى بكثرة في قصائده ومنها: الألم، البؤس، الأنين، الجوى، شجوني، الأسى، وغيرها من المفردات التي وصفت الفاجعة، وعبرت عنها، ففي قصيدته (عروس الشعر) يرسم الحزن الذي يعيشه قائلاً[1]:

لست أدري هل سيبقى الكوب ممزوجاً جوى
ثم ميلي فوق رأسي
واطردي عني الأسى

وفي قصيدة أخرى يعبر لوباني عن البؤس الذي يعيشه، فكلما تذكر الماضي الجميل، والواقع المرير، ولد لديه اليأس والحسرة على ذلك الماضي، يقول لوباني[2]:

وسجا الليل على نفسي فقلت اليوم بؤسي
ذاك يوم قد مضى إلا بقايا من تأسي
أترى يجدي حنيني والمنى زفره رمس

ويظهر لوباني حجم الألم الذي يعيشه، فقد تراكم هذا الألم، وضاع الماضي الجميل الذي كان ينعم فيه. فيصف هذا الحال قائلاً[3]:

يا بنة الليل كفى ألم فوق ألم
أترى الماضي غفا بين طيات العدم
آه كم حرت وكم راعني صوت "تعم"

إن الاحتلال الصهيوني هو السبب الأول في مأساة الفلسطينيين وتشردهم. ولذلك نجد عيسى لوباني يلقي كثيراً من العتاب على الزعماء العرب، فجاءت لفظة (عتاب) منتشرة بين

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص19.
[2] السابق، ص8.
[3] السابق، ص 8.

ثنايا قصائده، فالعرب يعيشون حياة النعيم في بلدانهم، والفلسطينيون يعانون مرارة القهر والحرمان، وهذا ما ظهر في قصيدته (سرى)، يقول [1]:

أظلم الليل وكم تهت به
شارداً وحدي وأشواقي عباب
أحمل الهم وبي من كربه
مهجة حيرى وشكوى وعتاب
وفؤاد ما جنى من حبه
غير أحلام وأوهام كذاب
مستبد حرت في تأنينه
فهو مني وأنا منه سراب
كلما عاتبته كي يستريح
من سراه
رد في الأعماق صوت كالفحيح
هل تراه؟

وفي قصيدة (فقر وجنون) يظهر الشاعر كثيرا من العتاب على العرب، نتيجة لما حل بالفلسطينيين، فالشاعر يوجه هذا العتاب عندما يستذكر حال الفلسطينيين، ومرارة الفقر الذي يعيشونه. يقول[2]:

يا لها من مصيبة في كتابه
لا تراها سوى رنين شكاة
من فم جاد في مرير عتابه
أو معان تسيل إثر معان
كلما لفها الدجى في غابه
وقفت للزمان وهي زمان

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص 23.
[2] السابق، ص30.

وفي قصيدة (ذكريات) يظهر عتابه قائلاً[1]:

ضاع عمــري واليــوم أطــوي كتــابي
فـــي ظـــلام مـــن الأســـى وعتـــاب
طـــال ســـهدي وطـــال ليـــل عـــذابي
فـــي جحـــيم مـــن ذكريـــات الشـــباب

أما مفردات اليأس فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائد لوباني منها، يأس مـــن المســـتقبل، ويأس من الواقع العربي المرير، فزعماء عرب ارتموا في أحضان عـــدوهم، وضـــعف قطـــع أوصال الدول العربية، فلم ير الشاعر بصيص أمل في عودة الأرض إلى أصحابها، والوطن إلى أهله، ومن القصائد التي وردت فيها مفردات اليأس قصيدة **(حيرة)**، يقول لوباني معبـــراً عـــن يأسه[2]:

كل شيء قد تـــولى معقبـــاً يأســـي وتعســـي
وسجا الليل على نفسي فقلت اليومك بؤســـي

وفي قصيدة (حدثيني) تطغى مفردات اليأس على نفس الشاعر، يقول فيها[3]:

بـــــات قلبـــــي يشـــــتكي الـــــذكرى
كلمـــــا جـــــدَّتْ علـــــى فكـــــري
فتراهـــــا دمعـــــة حـــــرى
لفهـــــا يـــــأس علـــــى النحـــــر
أو محـــــاق يخنـــــق البـــــدرا
فـــــي ذراه نغمـــــة الســـــحر

ونجد مفردات اليأس تسيطر على نفس الشاعر في قصيدة (الحسن الكافر)، حيث يقول[4]:

كم ظللت ليلي ساهراً والشوق بحـــر زاخـــر

---

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص47.
[2] السابق، ص 8،7.
[3] السابق، ص36.
[4] السابق، ص39.

كم لفني ثوب الدجى واليـأس نجـم غـائر

وفي قصيدة (فقر وجنون) تطغى لغة اليأس، فتظهر نفسه المحطمـة، و ذهولـه ممـا حصل، " ولقد حفلت السنوات القليلة التي أعقبت النكبة بشعر طغت عليه هذه المشاعر، متخـذة من اليأس وفقدان الثقة نبرة لها، ومن التعلل بالبكاء، والتحسر والحنين ملجأ لعواطفها"[1]، وهذا ما نراه واضحاً في شعر عيسى لوباني، حيث يقول[2]:

فغـدت والرجـاء منهـا بعيـد
ودنـا اليـأس فـي جمـوع ركابـه
سـاقها والـذهول يجثـو لـديها
شـفقاً والحنـان مـلء إهابـه
شـربت كأسـها فثـارت قواهـا

وقد كانت اللغة الغالبة على الشعر منذ أواخر الخمسينات حتى أوائل السـتينات، لغـة الحزن اليائس مع تقديس الحرية، وتكريم الشهداء والبكاء مع المشردين، والألم والحرمان، وعدم المواجهة و الكتمان، وكذلك استخدام الرمز[3]. ونلحظ ذلك جليـاً فـي أشعارعيسـى لوبـاني، وخصوصاً أنه أصدر ديوانه الشعري في هذه الفترة، فـلا يخلـو ديـوان لوبـاني مـن هـذه الموضوعات، فبدا وكأنه عاجز الحيلة، غير قادر على مواجهة حاضره، مع كثير من اليـأس، وخصوصا بعد خذلان القريب والبعيد للشعب الفلسطيني.

ومما يلفت الانتباه في ديوان لوباني (أحلام حائر) أن لغته كانت فصيحة قويـة جزلـة، حتى ليجد بعض القراء صعوبة في فهم بعض الكلمات، وخصوصا أن الأديب استخدمها بصورة خاصة، فجاءت أشعاره مليئة بالرمز، ولا يستطيع القارئ أن يفهم ما يرمي إليه لوباني إلا مـن خلال السياق، فقد يحمل اللفظ الواحد تفسيرات متعددة، لا يفهم مغزاها إلا الأديب نفسه.

---

[1] مهنا، خالد علي: **الشعر الفلسطيني الحديث**، ص65.

[2] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص32.

[3] ينظر: ملحس، ثريا: **مقدمة الأدب الفلسطيني المعاصر في المعركة**، أيار 1970م، ص35.

وانتشرت مفردة (الظلم) في قصائد لوباني، فلا نكاد نجد قصيدة إلا وذكرت هذه المفردة، فلوباني الذي عاش في أرضه، كان أكثر الناس إحساسا بظلم المحتل الإسرائيلي، فكل ما تعرض له الفلسطيني خلال النكبة وبعدها هو ظلم، سواء من المحتل الإسرائيلي، أو القادة العرب المتخاذلين. فنرى لوباني يعبر عن قسوة الحياة وظلمها بقوله[1]:

آه مـــــا أقســـــى الحيـــــاه رنـــــح الوجـــــد منـــــاه

ليلـــــة المظلـــــوم والســـــجين

رعـــــدة المحمـــــوم والحـــــزين

ذهلـــــة المهمـــــوم وحـــــدتي

إن المفردات التي استخدمها لوباني في ديوانه، تظهر نفسيته المحطمة، ويأسه من الحاضر والمستقبل، والجدول الآتي يبين المفردات التي استخدمها لوباني في ديوانه **(أحلام حائر)**:

[1] لوباني، عيسى: **أحلام حائر**، ص11.

القصيدة/المفردة وعددها	الظلم	اليأس	الحيرة	الليل	الوحدة	العتاب	حلم	الحزن والأسى
حيرة	_	1	5	4	2	_	1	1
شكوى	2	_	1	6	_	_	_	5
محال	_	_	_	_	_	_	_	_
معبد الذكريات	_	_	_	_	_	_	3	1
الحائرة	_	_	_	_	_	_	2	_
عروس الشعر	_	_	_	2	_	_	2	2
سرى	_	2	_	4	1	3	2	4
صراع	1	_	_	_	_	1	_	_
فقر وجنون	_	1	_	2	_	1	_	_
في المعبد	_	_	_	_	_	_	1	2
مركب الأحلام	_	1	_	_	_	2	1	1
اسكتي يا نفس	_	_	_	_	_	_	_	1
حدثيني	_	1	_	_	_	_	_	_
الحسن الكافر	_	1	_	4	_	_	3	2
خليلان	_	_	_	_	_	_	_	1
ليالي الشاعر	_	_	_	_	_	_	_	1
إليها	_	_	_	1	_	_	1	_
ذكريات	_	1	_	2	_	1	4	1
اعترافات	_	_	_	4	_	_	_	1
أطياف الربيع	_	_	_	1	_	1	_	_
غرور	_	_	1	_	_	_	_	_
جنون	_	_	_	_	_	_	_	2
المجموع	**3**	**8**	**7**	**30**	**3**	**9**	**20**	**26**

نلحظ من الجدول السابق أن المفردات التي استخدمها لوباني جاءت معبرة عن نفسيته المحطمة، وخصوصا بعد الحرب، فجاءت مفردة (**الليل**) في الصدارة، من حيث الاستخدام، وهذا يدلل على عدم وضوح الرؤية، والتخبط بعد الحرب، وسيطرة الصهاينة على حياة

الفلسطينيين، وجاءت مفردات **(الحزن والأسى)** في المرتبة الثانية من حيث الاستخدام؛ فالأحوال التي نتجت عن حرب عام 1948، ولدت كثيرا من الحزن والأسى في نفوس الشعراء، فعبـــروا عن ذلك في أشعارهم، وجاءت لفظة **(حلم)** في المرتبة الثالثة، حيث إن الفلسطيني بعد الحـــرب أصبح يحلم بالعودة إلى أرضه، وتحريرها من المحتل الإسرائيلي، وخصوصا مع ضعف العرب وتخاذلهم.

الفصل الثالث

عيسى لوباني روائيا

المبحث الأول: الموضوع الوطني

المبحث الثاني: الموضوع الاجتماعي

البحث الثالث: الحزب الشيوعي

المبحث الرابع: الجنس

المبحث الخامس: صورة المرأة

المبحث السادس: صورة الآخر

المبحث السابع: التشكيل الفني

المبحث الثامن: التناص

الفصل الثالث

عيسى لوباني روائياً

تمهيد

تعد الرواية والقصة وجهين من أوجه الأدب لا يمكن تجاهل دورهما في الحياة، فهما وجهان من الأدب يتدخلان بشكل أقوى من الأساليب الأخرى ومنها الشعر، ولقد تمثلت ردة فعل الأدباء في المرحلة الأولى من الهزيمة عام 1948م بالشعر؛ لأن الشعر الوسيلة الأسرع للتعبير عن المشاعر التي يعاني منها الأدباء، فأوصلوا رفضهم للمحتل، وعدم رضاهم عن الأوضاع التي سادت بعد العام 1948م، ومنها: تشريد الفلسطينيين وقتلهم، وحرمانهم من أبسط مقومات العيش، واستخدام شتى الأساليب لتعذيبهم، والنيل من كرامتهم، وسبب آخر هو تجذر فن الشعر لدى العرب وعدم تجذر فني الرواية والقصة، عدا أن الأخيرتين بحاجة إلى صحافة افتقدها عرب فلسطين.

ولقد أصبحت الرواية ذات دور قوي ومهم، ووصفت الجوانب المتشعبة التي لم يستطع الشعر أن يحتويها ويصفها، ولعل ذلك ما جعل لوباني ينتقل من كتابة الشعر في المرحلة الأولى من النكبة، بينما يلحظ غزارة الإنتاج الروائي والقصصي بعد العام 1967م، فقد أصدر في العام 1993م روايته رسائل في العشق والعشاق بقسمها الأول (السقوط)، أما في العام 1994م فقد أصدر ثلاث روايات وهي: رسائل في في العشق والعشاق بقسمها الثاني (القلق)، و(وجع القلب) و (أم الخير)، وفي العام 1995م، أصدر روايته الأخيرة (شمس وقمر). وإن نظره سريعة في الإنتاج الروائي والقصصي بعد العامين 1948م و1967م، ستقودنا إلى أن الرواية هي الأقدر على الإحاطة بالجوانب المختلفة للهزيمة، من هنا نستطيع القول: إن الرواية " لعبت دوراً جوهرياً في تشكيل الأدب الفلسطيني، بصوره المختلفة، وأعطته سمات خاصة به، حتى في المفردات التي بات يعرف بها الأدب الفلسطيني، وقامت الرواية بإنتاجها بشكل مباشر، أو غير مباشر "[1].

[1] النجار، سليم: **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص8.

ولقد امتازت الرواية الفلسطينية بمميزات في شكلها ومضمونها، أما من حيث الشكل فقد خرج الأدباء عن الشكل الكلاسيكي القديم، وطوروا في السرد، وزادت الشخصيات داخل العمل الروائي، كما نلحظ تعدد الأمكنة التي تناولها الأدباء داخل فلسطين، ومن حيث المضمون فقد أضيفت مواضيع جديدة للرواية الفلسطينية والعربية لم تطرح سابقاً إلا في إطار ضيق، ومنها: التحريض على الاحتلال، والدعوة إلى الثورة، و صورة اليهود الذين أصبحوا أساساً للرواية والقصة؛ لأن هدف الرواية والقصة هو الكشف عن الجوانب اللا إنسانية لهذا الكيان الجديد.

فالأعمال الروائية الفلسطينية وإن نهلت من كل مكتسبات الرواية العربية من حيث التكنيك، إلا أنها جاءت ذات مذاق خاص، نبع أساساً من الأبعاد الفكرية والسياسية، التي شغلت الروائي الفلسطيني بوجه خاص، والروائي العربي بشكل عام "[1].

إن الواقع الجديد الذي عاشه الفلسطينيون بعد العام 1948م، لم يكن كافياً لأن تصل الرواية إلى مرحلة النضوج؛ لأن الرواية تحتاج إلى كثير من المعايشة، لكي تصل إلى مقوماتها الفنية المكتملة، " ومع أن بعض الروايات قد صدر قبل نكسة حزيران عام 1967م، إلا أن هذه الروايات لم تصل إلى المستوى الفني المطلوب، وكانت تفتقر إلى الكثير من أصول الرواية ومقوماتها"[2].

ومع ذلك فإن البدايات الأولى للرواية كانت محاولة ناجحة، نابعة من مشاعر صادقة، ورغبة في كشف ما عجز الشعر عن وصفه، فطرحت هذه الروايات مواضيع مختلفة، كشفت جوانب مهمة من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأظهرت الأسباب التي أدت إلى الهزيمة، والتراجع المستمر في صفوف الجيوش العربية. ولقد كانت روايات عيسى لوباني بادرة مهمة في الأدب الفلسطيني، بالرغم من بعض الانتقادات التي وجهت لها، ونلحظ من خلال هذه الروايات أنها تناولت موضوعات تمس جوهر الحياة الفلسطينة بعد النكبة والنكسة، وكشفت عن قضايا مهمة، استطاع من خلالها الفلسطيني استيضاح الأمور بعد هاتين الحربين، ومن الموضوعات التي تناولتها روايات لوباني:

---

[1] موسى، شمس الدين: **مراجعات ومتابعات في الرواية والقصة**، فلسطين، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، 1999م، ص97.

[2] أبوبكر، وليد: **الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة**، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ط1988،1، ص7.

المبحث الأول

الموضوع الوطني

لقد كان حلول العام 1948 كارثة حقيقية، ألمت بالفلسطينيين، وأثرت في حياتهم،حيث شردت جزءا كبيرا منهم، أما الجزء الآخر فبقي في فلسطين يواجه قدره الذي أصيب به، فكانت الملاحقة من الأجهزة العسكرية الصهيونية، أضف إلى ذلك المشكلات الاجتماعية التي لم تكن خطورتها أقل من الملاحقة العسكرية، ومنها: البطالة والفقر والجوع، والمفاسد التي بدأت تتكشف في المجتمع.

ولقد أثرت الكارثة في توزيع الأدباء، فمنهم من رحل مع قوافل المهاجرين، فأصبح يتكلم بلسانهم في الغربة، ويعبرعن همومهم التي يعيشونها في الشتات، ومنهم من بقي داخل الأرض المحتلة عام 1948، وأصبح يصور احتكاكه بالكيان الصهيوني، وتعامله معه، فقد كان " يعيش الفلسطيني من عرب 48 غربة داخل وطنه، ويطغى عليه إحساس العزلة ضمن أقلية عربية، فهو يعيش المأساة ويعبرعنها"[1].

لذلك " تشكل الروائيون في فلسطين 48 في ظل انتماء سياسي وطني، يأخذ على عاتقه حمل مواقف نضالية، تنادي بضرورة حصول الشعب الفلسطيني في فلسطين 48 على جميع حقوقه السياسية"[2].

ولم يدخر عيسى لوباني جهدا للانتصار لشعبه، والدفاع عن حقوقهم المشروعة، فأخذ يدافع عن الفلسطيني في رواياته، فوصف قسوة المحتل وظلمه، والمجازر التي ارتكبها أثناء سيطرته على فلسطين، والسياسات الظالمة التي اتبعها للنيل ممن تبقى في فلسطين، نضيف إلى ذلك أن عيسى لوباني كان مقتنعا أن المأساة الفلسطينية لم يكن المحتل وحده يتحمل مسوؤليتها، بل وصف خيانات القادة العرب، وتخاذل جيوشه في مواجهة العدو، وكذلك الضعف الذي لحق

---

[1] الخطيب، جهينة عمر: **تطور الرواية العربية في فلسطين 1948**، بيروت،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2012م، ص30.

[2] السابق، ص 62،63.

بالإنسان الفلسطيني، المتمثل بالآفات الاجتماعية التي انتشرت بين الفلسطينيين، وكان لهـا دور في صنع الهزيمة، فكان هدف " الرواية في فلسطين، الكشف عن مكامن الخطر الذي يتعرض له المشروع السياسي الوطني الفلسطيني، عبر رسمها للإنسان والحياة اليومية التي يعيشها، ضمن مناخات سياسية مختلفة ومتناقضة، والربط بينها بعلاقة جدليـة تبحـث عـن معنـى للوجـود الجغرافي، الذي يتواجد عليه الإنسان الفلسطيني، الفاقد لجغرافيته"[1].

حقاً إن للحرب تأثيرها على الفرد والمجتمع، حيث لاقت اهتماماً كبيراً مـن الشـعراء والأدباء، "ولما كانت الحرب لها المكانة في التاريخ البشري ومنه العربي، ولاقت ما رأينا مـن اهتمام الشعر والقصة القصيرة، كان من الطبيعي والمنطقي أن نجد نفس الامتداد فـي الروايـة الحديثة، وذلك لأن الرواية هي كتاب الحياة الوحيد الوضاء "[2].

فعملت الرواية الفلسطينية على كشف جوانب الحرب مع عدو لا يرحم، شرّد الإنسـان الفلسطيني، ورماه في بقاع الأرض المختلفة، ولقد حفزت حرب عام 1948م شخصية الأدبـاء ليكتبوا عن حياة الناس، وينتصروا لقضية الفلسطيني أينما وجد.

المطلب الأول: ضياع الأرض

كان محور الصراع مع العدو الصهيوني هو الأرض، فقد ابتلعت حرب عـام 1948م جزءاً كبيراً من فلسطين، ثم جاء العام 1967م، ليضيع الجزء المتبقي، فوجد الفلسطينيون أنفسهم بعد هاتين الحربين مشردين في بقاع مختلفة من العالم، وقد فقدوا مدنهم وقـراهم التـي كـانوا ينتمون إليها، فجاء من يسيطر على أرضهم ويسرقها جهاراً نهاراً، دون أن يتحرك الفلسطينيون وذلك بسبب ضعفهم، ثم إن التخاذل العربي أدى إلى الاستسلام لضياع هذه الأرض، فلم يخـف الأدباء التزامهم تجاهها؛ لأن الذي يملكها هو الذي يسيطر، فكانت " من الموضوعات التي شغلت حيزاً لا بأس به على خريطة الأدب الفلسطيني، منذ بدأت فلسطين تتشـكل باعتبارهـا وحـدة

[1] النجار، سليم: **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، ص8.

[2] أبو مطر، أحمد: **الرواية والحرب**، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،1994م، ص17

جغرافية منفصلة عن باقي بلاد الشام، ذلك أن الصراع على الأرض هو محورالصراع العربي اليهودي في فلسطين"[1].

ولقد ركز عيسى لوباني – في رواياته– على الأرض، فبين ضياعها، وشوقه إليها، ووصف خيانة الدول العربية في تسليمها وبيعها للكيان الصهيوني، وإن " أهمية الأرض لا تعزى لسبب، وإنما هي في متناول الوعي، وديمومة الذاكرة المتحركة الفعالة، التي تمثل العنصر الهام أمام التشكيل الصوري الباعث على الإثارة"[2].

ولقد مثلت الأرض فتاة أحلام لوباني وعرضه الذي يدافع عنه دائماً، فبمجرد أن ضاعت الأرض واختفت، فهذا يعني ضياع العرض، يقول الراوي: " **لقد بعتم الأرض، والآن تبيعون العرض يا أبناء الزنى**"[3].

ولقد أدرك لوباني أن الأرض سرقت من الفلسطينيين، ولن تعود إلا بالقوة، فلم يعد القانون سارياً بعد الحرب، ولا يعيد السارق ما سرق لأصحابه، فيحاور الراوي محبوبته سحر قائلاً: " **قولي يا سحر، هل سمعت بلص أعاد ما سرق في يوم من الأيام؟! قالت بلهفة: أجل! فالقانون سيد الأحكام. قلت: إذا كان واضعو القانون لصوصا، فكيف تكون أحكامهم؟!**"[4].

إن الأرض لا تعطى للضعيف، فالقوي هو الذي يسيطر عليها ويسكنها، أما الضعيف فلا حظ له فيها، وفي حوار للراوي مع ضابط صهيوني، يظهر أن القوة هي التي تسيطر على الأرض وتملكها. حيث يدخل لوباني في حوار مع الضابط قائلاً: " **قلت بصوت عالٍ لتسمعني حبيبتي حيث تكون، الأرض لمن يسكنها يا جدي، قال: وقد انفرجت أساريره: موافق ومن يسكنها؟ فأسقط في يدي، قلت: سكنتموها بالقوة، فقال: وقد انفرجت أساريره، الحق للقوة يا سيدي**"[5].

---

[1] الأسطة، عادل: **دراسات نقدية**، جت المثلث، منشورات مكتب اليسار، ط1، 1987م، ص3.

[2] النجار، سليم: **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، ص39،38.

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، حيفا، مكتبة كل شيئ، ط1، 1993م، ص 37.

[4] السابق، ص37.

[5] السابق، ص58.

إن عيسى لوباني يظهر عدم الرضى عن الفلسطينيين الذين ضيعوا الأرض، فلم يكن العرب وحدهم مسؤولين عن الهزيمة، بل يتحمل الفلسطينيون جزءاً آخر منها، فيدخل الراوي في حوار مع المحقق الصهيوني، يظهر فيه حرص اليهود على اكتساب كل شيء من الأرض: "**قال المحقق وهو يفرك يديه: نحن مشهورون بالحرص إلى حد البخل. فقلت والضوء الصاخب يندلق قناطير على وجهي وعيني حتى أغشاهما: أما نحن فمشهورون بالتفريط إلى حد الضياع**"[1].

ولم يعد للفلسطيني مكان يلجأ إليه، فلقد صودرت الأرض، حتى الحجر حرم من الاتكاء عليه، فعندما توجه الراوي إلى فندق مع سوزان، وطلب من صاحب الفندق غرفة أظهر ذلك قائلاً:" **لقد اختلط كل شيء، حتى الحجارة صادروها، فلم نعد نجد حجرا دافئا نريح رأسنا عليه، لالتقاط الأنفاس، وممارسة حقنا في الحياة الطبيعية كبقية المخلوقات**"[2].

تعالت الأصوات معلنة سقوط المدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى، ومع كل سقوط لمدينة من المدن، تبعد المسافة بين الراوي وفاطمة، التي كان يربط بينها وبين الأرض دائما، فضياع فاطمة هو ضياع الأرض، والعكس صحيح كذلك، " **وهمس صوت: خلاص لم يبق سوى الناصرة وضواحيها، فأجابه صوت ساخرا: لم يعد هناك ضواحي، الكل سقط، فأسقط بيدي، وغاصت قدماي في الأرض، وهتفت داخل نفسي: ضاعت فاطمة إلى الأبد**"[3].

لقد كان" الاستيلاء على الأرض هو الطموح الأساسي الذي تقوم عليه سياسة الاستيطان الصهيوني، لذلك فإن التركيز على مصادرة الأراضي بعد فشل الاحتلال في ترحيل أصحابها، هو أحد وسائله الضاغطة على العرب، بهدف زيادة ما يملك"[4]. فأدرك الفلسطيني ذلك، فقد بدأ يبيع عدة الحراثة التي يستخدمها في العناية بأرضه، فيسأل الراوي إسماعيل أبو الزغل وزوجته

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص 63.

[2] السابق، ص 84.

[3] السابق، ص 191.

[4] أبو بكر، وليد: **الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة**، ص 14،15.

عن عملهما، فيجيب إسماعيل " **أبيع السكة والمنساس، وبقايا عدة الحراثة، وأطرق بخجل ثم أضاف مستجديا: خلاص يا ابني، ما الأرض راحت وما عدش حاجة لها**"[1].

فبعد سرقة الأرض وضياع الوطن، أصبح الفلسطيني مستأجرا فيها، يعمل كما يعمل الأجير في أرض غيره، والمعيب في ذلك أنهم أخذوها دون مقاومة تذكر، يقول سمعان: " **وطن بأكمله سرقوه، ماذا تريد منهم، أخذوا الأرض دون مقاومة تذكر**"[2].

ثم إن حالة اليأس سيطرت على الفلسطيني بعد حرب1948، بعد أن سيطر الصهاينة على الأرض، فلم يعد الفلسطيني يعرف ماذا يفعل لاسترداد أرضه التي سرقت، يقول الراوي لأسعد: " **لقد سرقوا هذه البلاد، فلماذا نساعدهم على سرقتها؟ فقال أسعد متوثبا: وإذا لم نعمل هل يتوقفون عن سرقتها؟ فقلت والشاحنة ترتج: على الأقل لا نساعد على سرقتها**"[3].

لقد كان الضياع هو السمة البارزة بعد الحرب، فقد ضاع كل شيء ولم يعد بيد الفلسطيني إلا أن يعيد الذي ضيعه، يقول السمهوري:" **لم يبق شيء ! خسرنا كل شيء،البيت، والأرض، والشاطئ، والبحر، والمدينة أيضا، فأضفت وأنا أسبر غوره الذي بدا لي عميقا عمق بئر ارتوازية: والأولاد، والمرأة أيضا ! أليس كذلك؟**"[4].

لم يعد للفلسطيني بعد ضياع الأرض مكان يسكنه، سوى بيوت الطين والتنك، فكل ما بناه ذهب في غمضة عين، ليجد مكانه أناسا أتوا من بقاع متعددة من العالم، فيحس أبو محمد بمرارة هذا الواقع، يقول: " **زرعنا فأكلوه، وبنينا فهدموه، وليس لنا إلا هذه الجحور من الطين والتنك**"[5].

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق(السقوط)**، ص203،202.

[2] لوباني، عيسى:**رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص 65،64..

[3] السابق، ص 81،82.

[4] لوباني، عيسى: **أم الخير**، الناصرة، مطبعة النهضة، ط1، 1994، ص5،6.

[5] السابق، ص91.

المطلب الثاني: جلد الذات

لم يكن لوم الفلسطيني على الدول العربية فقط، في التخاذل وعدم الدفاع عن الأرض الفلسطينية في وجه المشروع الإستيطاني، فقد بدأت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فبدا أن الفلسطيني يتحمل جزءاً من الهزيمة التي حصلت، " فبدأ جلد الذات ونقدها، فقد سئم كثير من الروائيين إعطاء الأعذار لأنفسهم كفلسطينيين، بغية تسويغ إخفاقهم، فاللوم لا يقع على الآخرين فحسب، بل وصل الوعي إلى نقد الذات، ونقد شعبهم، فالنقد كفيل بإعادة الأمور إلى نصابها، بغية التحليل الدقيق، وكشف مواطن الضعف في الشعب الفلسطيني"[1].

لقد وقف الفلسطينيون متفرجين على المأساة التي حلت بفلسطين، وانتظروا المعجزات ليوقفوا الزحف الصهيوني، والاستيلاء على الأرض، أما عدوهم فقد أعد كل العدة للسيطرة على فلسطين، فها هي سحر تدخل في حوار مع الراوي عن سبب الهزيمة، وسيطرة الصهاينة على الأرض، تقول: " **لقد نمنا ولم يناموا، والأرض لمن يسهر عليها ولا ينام، لقد نمنا نومة أهل الكهف، وسهروا سهر الذئاب** "[2].

وتوجه سحر لوماً حاداً للراوي الذي يمثل رجال فلسطين، وتطعن في رجولة الفلسطينيين؛ لأنهم تخلوا عن حماية وطنهم، تقول:" **لو كنتم رجالاً لما تخاذلتم، وحميتم الذمار، فناح داخلي وبكى، ونزف بوجع، يا للرجال حينما يطعنون في رجولتهم وكرامتهم! فقالت بحقد امرأة فقدت الرجال: لا كرامة ولا رجولة يا زمن الخصيان** "[3].

وعند الحديث عن المؤامرات الخارجية، والتخاذل العالمي في نصرة الشعب الفلسطيني، ينتفض الراوي غاضباً؛ لأن الهزيمة تأتي من الداخل أولاً، وليس من الخارج، يقول: " **فقال**

---

[1] الخطيب، جهينة عمر: **تطور الرواية العربية في فلسطين 48**، ص76

[2] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص39.

[3] السابق، ص40،39.

رجل بدا جديداً في حلقتنا: إننا ضحية مؤامرة عالمية، فقلت وقد استيقظت حواسي: إننا ضحية أنفسنا قبل كل شيء، لو قبلنا ما أعطي لنا، لكانت النتيجة غير ما نحن فيه على الأقل "[1].

لم يعد الصهاينة وحدهم الذين يحاربون الفلسطينيين، فقد آثرت نفوس ضعيفة أن تحارب أبناء جلدتهم، وتطعنهم في ظهورهم، فتسهل مهمة العدو في محاربة المقاومين الفلسطينيين، يقول الراوي: " **إن الرجل الغامض قال ذات ليلة مرتعشاً: يجب أن نحذر، نحن بحاجة إلى حياتنا، لما هو آت من أيام ! فصاح الرجل القصير وهو يهز بندقيته الرشاشة: والله أقتل كل من تسول له نفسه أن يمس واحداً منا، فقلت ساخراً: قد لا تلحق؛ لأنك لن ترى من يطلق النار غيلة "[2].**

لقد أصبح الفلسطينيون على قناعة تامة أن الهزيمة ليست فقط من العدو، بل من النفوس الضعيفة في الداخل الفلسطيني، فبدل أن يوجه السلاح نحو العدو، أصبح تركيز السلاح على الداخل الذي أصبح مليئاً بالخونة والجواسيس، الذين يطعنون الفلسطينيين في ظهورهم، ويفرقون الصف الفلسطيني، يقول الراوي: " **وأحاديث ذلك الرجل الغامض وصديقه قصير القامة، صاحب البندقية الرشاشة، التي لم يستعملها أبداً إلا ليحمي نفسه، ويحمي رفاقه كما قال يوماً في ساعة صفاء، وسألته مستفزاً: والعدو الصهيوني، ماذا بشأنه؟ فلمعت عيناه وقال ووجهه يحتقن: أنا مختص بالجبهة الداخلية، ففيها من الأعداء ما هم أسوأ بكثير"[3].**

إن سقوط فلسطين بدأ من الداخل، وأصبحت هذه القناعة عند كثير من الروائيين والنقاد، فلو كان الداخل متماسكاً لتحطمت كل المؤامرات التي نسجت ضد الفلسطينيين، ففرار الفلسطينين من أرضهم دون مبرر أحياناً، والخيانة التي انتهجها بعض ضعاف النفوس، كانا سببين مهمين في الهزيمة " **وأشعل الرواي سيجارة وشفط دخانها بشراهة ثم أضاف وهو يلهث: السقوط يبدأ من الداخل، فإذا سقط الداخل وانهارت النفوس، سقط الخارج وانهار بسهولة، وخيمت الهزيمة، وسيطر الانكسار"[4].**

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص253

[2] السابق، ص257.

[3] السابق، ص258.

[4] السابق، ص255،254.

إن اليهود تجهزوا للمعركة جيداً، وأعدوا كل عدة للسيطرة على فلسطين، أما العرب والفلسطينيون فظلوا ينتظرون المعجزات لهزيمة اليهود، دون الإعداد الجيد، والغلبة دائماً للأقوى، فكانت الغلبة لليهود، وسيطروا على فلسطين، فأبو محمود كان يدرك تلك المعادلة جيدا، فيخاطب الراوي قائلاً:" **أنت عارف والكل عارف والخواجا عارف إنها أرضي، بس الحق للقوة، والضعيف الكل يدوسه، واحنا ضعاف، مثل ما إنت عارف، وما أصابنا اللي أصابنا إلا لأنا ضعاف** "[1].

لقد وصل نقد الفلسطينين لذاتهم إلى حد الاشتباك، وأصبح اللوم يوجه إلى الذين فروا من أرض المعركة، ولم يبق إلا فئة قليلة تحارب، فيصف رجل صامد الذين فروا من أرض المعركة بالجبناء، فيروي الراوي قصة حميد الذي فر من أرض المعركة، والتقى برجل ظل صامداً، فيوجه له اللوم قائلاً:

"**– جبناء لم تصمدوا**

وأراد أن يشرح له الموقف فاستجمع أفكاره وقال:

- لم نكن جبناء، ولكن كنا قلة وسلاحنا...

فنهره صاحب الصوت قائلاً:

- ولكنهم هم أيضاً قلة، قلة تفكر وتستخدم عقلها "[2]

المطلب الثالث: الخيانة العربية

كان الفلسطينيون يعقدون آمالاً كبيرة على العرب لتحرير فلسطين، وطرد الاستعمار منها، ولما عرض قرار التقسيم على الدول العربية، وأعدت العدة للحرب، " وزحفت جيوشها السبع على حدود فلسطين انتظاراً لدخولها، فور انسحاب بريطانيا منها مباشرة، وأقنعت الناس

[1] لوباني، عيسى، **أم الخير**، ص117.

[2] السابق، ص190.

بأنها ستسترد ما ذهب من أراضيهم ومدنهم قبل 1948/5/15. وفتحت أبواب بلادها، فشجعت بذلك النزوح عن البلاد، وحين مارست الحرب بعد التاريخ المذكور، لم تظهر جدية ولا حزماً، ومزقتها الأطماع والعداوات، واختلاف الأهداف، فكانت الهزائم المنكرة"[1]، وقد ترتب على هذه الهزائم أن " أصبح الوجود العربي مهدداً في كل لحظة، من الخطر الصهيوني الجاثم على صدره، ولكننا حينما نبحث في أسباب الهزيمة، سنجد أن السبب ليس قوة العدو، بمقدار ما هو ضعف العرب"[2]، هذا الضعف تولد من خلال مجموعة من الأسباب التي بدت تتكشف بعد الحرب، وكان من بينها " الارتجال وعدم الاستعداد، أو استغلال الطاقة الهائلة للأمة العربية – قبل عام 48 وبعد عام 1967م– كل هذه الأوضاع أدت إلى نتيجة طبيعية: الهزيمة ولا شيء غيرها"[3]، ولقد تمخض عن هذه الظروف والهزائم، اعتقاد لدى الفلسطينين أن العرب خانوهم، وضيعوا أرضهم، بل وصل الحد إلى القول: إن العرب قاموا بتسليم الفلسطينيين للصهاينة، فيظهر ذلك واضحاً لدى الروائيين الفلسطينيين في رواياتهم وأعمالهم الأدبية، ونجد أن عيسى لوباني في رواياته وجه كثيراً من الاتهامات بالخيانة إلى الدول العربية وجيوشها، فلقد وقف العرب متفرجين على ما يحدث للفلسطينيين، وتركوهم يواجهون مصيرهم وحدهم، فسحر اغتصبت أمام مرأى ومسمع من إخوانها العرب، ولكنهم لم يحركوا ساكناً، فتظهر حقدها على العرب، وتظهر خيانتهم، فتقول: " **الذي يؤخذ بلا ثمن يفرط به بلا ثمن، هذا ما حدث خرج البدوي وحمل رثيث ملابسه، ودخل أجنبي، بفاخر ثيابه من دبابات وطيارات، واغتصبني وأبناء العمومة والأخوال ينظرون من الكوى، وخصاص النوافذ، وهم يهللون ويكبرون ! وصحت، وصحت، وثبت لي أن العرض لا يساوي شبر أرض في حساباتهم، وصحت بهم وأنا أتوجع، أمجاد يا عرب أمجاد**"[4].

---

[1] الكيالي، عبد الرحمن: **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص290.

[2] أبو أصبع، صالح: **فلسطين في الرواية العربية**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، 1975م، ص13.

[3] السابق، ص13.

[4] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص41.

لقد جعل لوباني أمثال حسن الماعط، وهو شخص كانوا يتهمونه بالجنون يعرف خفايا السياسة، ويدرك أن العرب خانوا القضية الفلسطينية، " **فقال وهو يشد جرابه إلى كتفه، ويمتص شفتيه الجافتين: العرب ليسوا عرباً، كما تظنون إنهم جرب** "[1].

ويظهر لوباني مدى خيانة الجيوش العربية، فهم مجموعة من اللصوص، جاءوا للسرقة والاغتصاب، فقد اغتصبوا عائشة ذات ليلة، فتروي مدى انحطاط هذه الجيوش قائلة: " **طلع حرامي ابن حرامي، من حوران جاي ينهب وبس، وبارودته خربانة، والليلة الماضية جاء، وبعد ما عمل بي اللي بدوا إياه، ونام فقت الصبح، لقيته سرق كيس الطحين اللي حيلتي، وسرق ثيابي وثياب الأولاد وهرب** "[2].

تعالت أصوات الفلسطينيين عالياً، بعدما تكشفت الأمور بعد الحرب، فأصبحوا على قناعة تامة بأن العرب خانوا الفلسطينيين، وتركوهم يواجهون مصيرهم منفردين، فتتعالى الأصوات " **باعونا ببلاش، سلمونا لليهود بدون ثمن**"[3].

إن جيش الإنقاذ العربي، الذي جاء لينقذ الفلسطينين، بدأ ينسحب من القرى الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى، ليتسلمها الصهاينة دون قتال، فبدأ الناس يتناقلون الأحاديث عن انسحاب جيش الإنقاذ من هذه القرى والمدن، " **وصوت رجل يقول إلى آخر: يقولون جيش الإنقاذ انسحب من الناصرة امبارح في الليل. فقال له الرجل: مثل ما انسحب من صفد وغيرها وسلمها، وهمست إلى نفسي، وأنا أمضي: والدور على الناصرة وغيرها** "[4].

كان إسماعيل أبو الزغل يعلم تفاصيل المؤامرة، وكل العرب يشاركون في نسج خيوطها، وقد دفع هذا الوضع الراوي إلى الخوف على مستقبل القضية الفلسطينية، " **فقال وهو يتململ في مكانه: بدون شك لقد استحكمت المؤامرة، وخيوطها بانت واتضحت، وعدت وسألت**

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص154.

[2] السابق، ص41.

[3] السابق، ص 175.

[4] السابق، ص 195.

بلهفة: ومن هم أصحاب المؤامرة؟ فقال بإصرار غريب ونزق: كل الدنيا، والعرب أولهم، فقلت وأنا مندهش: كل العرب ! فقال وهو يحاول أن ينهض: هكذا يبدو، وأحسست ببوادر الكارثة تدب في جوارحي "[1].

إن الجيوش العربية لم تأت إلى فلسطين إلا لتسليم الأرض، وستكشف الأيام القادمة عن ذلك " **فقال ذلك الرجل الغامض بحزم وحسم: الجيوش العربية جاية لإتمام الصفقة، وتسليم ما تبقى من الأرض، والأيام القادمة ستكون حاسمة** "[2].

لم يعد تسليم الجيوش العربية للأرض مجرد شائعات يتداولها الناس، فقد أصبح حقيقة واقعة من خلال المدن التي تم تسلمها، " **فقلت بشراسة: لم تسمع ما يقولون عن جيش الإنقاذ، إنه جيش تسليم، وحيثما دخل يعود ويسلم مواقعه، كما حصل في صفد وضواحيها، فقال بنفاد صبر: إنها شائعات، هدفها تحطيم معنويات الناس، وقلت ملحاً: ولكنه حصل فأين الشائعات!**"[3].

كانت خيبة أهل فلسطين بالجيوش العربية لا توصف، فقد تهدمت كل الآمال التي بنيت عليها، فظهر أن أفراد هذه الجيوش جاءوا للسلب والنهب، وإرهاق الناس بمتطلباتهم، فيطلب أحد الجنود من السكان الطعام والشراب، فقال: " **أريد طعاماً، فجاءوه بالطعام، فرفضه، وطلب دجاجاً، فقالوا له بصوت واحد: لا نملك دجاجاً، فنهض من الفراش، وصاح بشراسة: الآن أريد دجاجاً، وأحضروا له دجاجة محمرة بعد ساعة، فالتهمها بشراهة، وذهلت وهمست بغيظ إلى نفسي: أهؤلاء جنودنا الذين بنينا عليهم كل آمالنا** "[4].

حصل اليهود على دولة لهم بموجب قرار التقسيم، وحصل الفلسطينيون على الجزء الباقي من الأرض، فرفض العرب قرار التقسيم، ولقد تبين فيما بعد أن اليهود حصلوا بعد حرب 1948م، على ضعف ما أعطاهم إياه قرار التقسيم، وبقي العرب متفرجين ينتظرون سقوط

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص 205.

[2] السابق، ص 227.

[3] السابق، ص246.

[4] السابق، ص255.

فلسطين يوماً بعد يوم،، فبعد أن دخلت الجيوش العربية فلسطين لم تحقق أي تقدم يذكر، " **قال الرجل الغامض وعيناه تلمعان: لقد جاءوا لمنع قيام دولة فلسطينية، وليس لمحاربة اليهود، اليهود أقاموا دولتهم بموجب قرار التقسيم، وقد ابتلعوا بالقوة وبالحيلة جزءاً مما خصص للدولة الفلسطينية** "[1].

إن من الغريب في خيانة الجيوش العربية، أن يكون جيش الإنقاذ سببا في قتل المناضلين الفلسطينيين، فبدل أن توجه القنابل لليهود، أصبحت تتساقط على رؤوس الفلسطينيين، " **وتوقفت شاحنة، قرب عين العذراء، وعلى متنها عشرات القتلى والجرحى، فصاح أحد الجرحى وقد نهض من بين الجثث: يا ناس قنابل جيش الإنقاذ كانت تتساقط على رؤوسنا، كيف يحدث ذلك؟!**"[2].

أن يهزم العرب في الحرب هذا أمر طبيعي، نتيجة التخاذل، وعدم التنظيم، ولكن أن يكون العرب طرفاً في هذه المؤامرة، فهذا أمر غريب وأبو محمود رجل مجرب، يعرف خيوط هذه المؤامرة، يقول " **وإن العرب لم يطردهم أحد، بل هربوا بدعوة من إخوانهم العرب، ليعودوا بعد ذلك على رؤوس الحراب، بعد النصر على اليهود! وراجت الكذبة، واختفت الحقيقة تحت الركام المتراكم، وانهزم الحق، وخرج من المعركة مجرحاً، مدمى ومتهماً أيضاً**"[3].

إن عيسى لوباني يوجه اتهاماً صريحاً للجيش الأردني بالمشاركة في خديعة الناس، وجعلهم طعماً سهلاً لعصابات الهاجناة في معركة اللد، فقبيل معركة اللد جاءت دبابة أردنية، فاعتقد الناس أن الجيش الأردني جاء ليحررهم، " **وفجأة عادت دبابة أردنية وحيدة، ووقفت على مقربة من الجامع، فاعتقد الناس أن الأردنيين عادوا بنجدة، للدفاع عن المدينة، فخرجوا من كل حدب وصوب، مهللين مكبرين، ومن كان معه سلاح شرع بإطلاق النار، فكانوا طعماً**

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص 262

[2] السابق، ص 330.

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص115.

سهلاً لرصاص الهاجاناة، وحدثت مجزرة الجامع في اللد، أما الدبابة الأردنية فأطلقت بضع صليات من الرصاص، واستدارات تاركة أهل اللد طعاماً لنيران الهاجاناة "[1].

ومما تكشف من خيانات في هذه الحرب، الاتفاقيات التي عقدت بين بعض القادة العرب والصهاينة، ومنهم الملك عبد الله، وكان هدفها القضاء على فكرة إقامة الدولة الفلسطينية، التي كان الفلسطينيون يتطلعون إليها، فيصف الراوي ذلك قائلاً:" **إن اتفاقاً ما، كان قد عقد بين الملك عبد الله واليهود، على القضاء على فكرة إقامة الدولة الفلسطينية، وتسليم كل السهل الساحلي لليهود، وتسليم الجبال والأراضي الوعرية للملك عبد الله، وتبين فيما بعد أن هذا الكلام صحيح. ففي مذكرات بن غوريون وغيره ما يثبت أقوالي "[2].**

إن ما يدعو إلى الاستغراب والاستهجان هو أن الفلسطيني يدافع باستماتة عن أرضه، وحينما يصل إلى تحقيق النصر، تنسحب الجيوش العربية، ولا أحد يعرف السبب، فصالح أبو نوار أحد سكان صفد، والذي شارك في معركة صفد يروي تفاصيل هذه الخيانة قائلاً: " **باختصار صفد وطبريا وضواحيها سلمتا تسليماً، فلا أحد يستطيع إقناعي بما حدث، وبالعكس فأنا ابن صفد، وأحد الذين دافعوا عنها دفاع المستميتين، وأوشكنا أن نصفي الجيب الأخير من مقاومة اليهود، وفجأة جاء من قال: إن قوات جيش الإنقاذ تنسحب من المدينة، فذهلنا ولم تصدق ما نسمع"[3].**

لقد أوهمت الجيوش العربية وقيادتها الفلسطينيين أن العودة إلى فلسطين ستكون قريبة جداً، بعد تطهير فلسطين من الصهاينة، ويثبت بعد ذلك عكس هذا الكلام تماماً، يقول أبو محمود: " **أخذنا مفاتيحنا معنا، قالوا لنا: جمعة جمعتين، وتعودوا إلى منازلكم معززين مكرمين، وها نحن معززين مكرمين، وعلى وجه كل واحد يافطة مكتوب عليها بالحبر الأسود لاجئ"[4].**

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص115.

[2] السابق، ص209.

[3] السابق، ص2.

[4] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص92.

المطلب الرابع: الحث على الثورة

ترك عام النكبة وضياع الأرض جرحاً نازفاً في قلوب الفلسطينيين، فقد شعر كل فلسطيني أنه وقع تحت مؤامرة رخيصة، تعددت أطرافها، وكان الطرف العربي بكل تأكيد جزءاً منها، فسقطت كل الآمال التي كانت معقودة عليهم، فبدأ التركيز على الداخل الفلسطيني، لتغيير الواقع الذي أصبحوا فيه، فبدأو يحثون الفلسطينيين على تغيير واقعهم، والثورة على الأوضاع التي يعيشون فيها.

وقد كان عيسى لوباني على قناعة تامة بأن هنالك مواطن قوة في هذا الشعب، ومن مهمته أن يبدأ بالبحث عنها وتنميتها، لتغيير الواقع، " والأدب الفلسطيني يكتب لأن الكتابة عندهم شكل خاص من أشكال القتال، وإذا كانت مقولة (لا بد لكل حركة ثورية من نظرية ثورية) صحيحة تماماً، فإن المقولة الفرعية المتممة صحيحة هي الأخرى أيضاً، لا بد لكل حركة ثورية من أدب ثوري، ومن هنا تكتسب الكلمة الفلسطينيية قيمتها الفنية والثورية معاً "[1]، فبدأ عيسى لوباني ينتقل من الرمزية شبه المطلقة في الشعر، إلى الوضوح في الحث على الثورة ونبذ المحتل.

لقد ملّ الفلسطينيون أساليب القمع والمجازر التي يتعرضون لها يومياً، دون أن يجدوا نصيراً أو معيناً، فها هي سحر تطلب حلاً لهذه الممارسات، وتدخل في حوار مع الراوي، " **فصاحت وهي تلهث: والعمل. قلت وأنا أنهض فبان الذعر في أجمل عينين رأتهما عينان في حياتي: أن نشهر سيوفنا في وجوههم، قالت بخوف: وطائراتهم وقنابلهم، وجيوشهم الجرارة، وأساطيلهم التي تملأ بحارنا وبحيراتنا، قلت وأنا أغلي: الموت أفضل من حياة التوسل والاستجداء، والأوطان لا تستجدى، بل تؤخذ عنوة وبالدم تماماً مثل الحرية** "[2].

وترى سحر وهي تحاور الراوي أن للثورة شروطاً لتحقيق أهدافها وانتصارها، " **فسألت بلهفة: وما هي الشروط يا حبيبتي المشتهاة؟ قالت وأعلامها ترفرف في الهواء الطلق:**

---

[1] البحرة، نصر الدين: **الأدب الفلسطيني المعاصر بين التعبير والتحريض**، منشورات الطلائع، د.ت، ص9.

[2] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص52.

التضحية وحب الموت، وإذا هانت الحياة إلى درجة الموت في سبيلها، نطـرد الخـوف مـن نفوسنا، وإذا طردنا الخوف من نفوسنا، تشرق شمس انتصاراتنا " [1].

ويدخل الراوي في حوار مع نفسه، ويصل إلى قناعة أن استعمال الرصاص هو الكفيل بتحرير فلسطين، فالقوة لا تواجه إلا بالقوة، والحق يحتاج إلى رجال أقوياء لإظهاره، يقـول: " **وهمست إلى نفسي: يبدو أن الشتم لايجدي أحياناً، فلماذا لا نخلع أحذيتنا ونهبطها على رؤوس الطغاة في كل مكان؟ وسمعت صوتاً كالحشرجة يسقط من السقف الملـون ويقـول: لمـاذا لا نستعمل الرصاص مثلما يستعملونه ضدنا "**[2].

ويدرك الراوي أن الشعب الفلسطيني لن يبقى على الحال الذي هو عليه، بل كل شـيء سيتغير ومصير النائم أن يصحو في يوم من الأيام، ويدافع عن حقه المسلوب، فيخاطب الراوي أم الخير قائلاً: " **أنا قلق عليك يا أم الخير، والقلق يأكلني، قالت وهي تتوجع: ليست مشـكلتك وحدك، ذاكرتي أيضاً تؤلمني، ولكن الناس نيام، قال وكفه تتحسس عنقها المشرئب، مثل عنق بجعة تهم بالطيران: الذين ينامون سوف يستيقظون يوماً "**[3].

إن كل العذابات التي يتعرض لها الفلسطيني ستزيده قوة، في مواجهة عدوه، ويحـاور الراوي أم الخير عن الحال الذي يعيشه الفلسطيني قائلاً:" **قلت وأنا جرح ينزف: هذا ما حصـل بمدينتي، لقد دارت الدوائر عليكم وعلينا، وسألت بنواح: وبعدين؟ قلت وأنا أخرج وأم الخيـر في أثري: سيخرجون من البحر أشد مضاء "**[4].

إن الفلسطيني يستطيع أن يبني كل ما هدمه الصهاينة، ويستطيع أن يعيد الحال إلى مـا كان عليه قبل الحرب، وتبدو ثقة الراوي بذلك عالية، يقول:" **حتى لو هدموه وأزالوا حجارتـه من الوجود، وابتلعه البحر كما ابتلع المئات والآلآف، فلن يضيع حق، سأبنيه من جديد يوماً**"[5].

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص54.

[2] السابق، ص54.

[3] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص27

[4] السابق، ص39.

[5] السابق، ص164.

المطلب الخامس: الغربة

كان من إفرازات الحرب عام 1948م تشرد عدد من الفلسطينيين خارج فلسطين، والبحث عن مكان جديد، بعد بشاعة المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية، وبعد شعور الفلسطيني بخيبة الأمل تجاه الجيوش العربية التي لم تقاتل من آجل تحرير فلسطين،" وتبع ذلك تشرد الآلاف من أبناء فلسطين، منهم حوالي مئتي ألف نزحوا إلى قطاع غزة، وحوالي نصف مليون إلى الضفة الغربية، وحوالي 20 ألفا إلى لبنان، ومثلهم إلى العراق "[1]، وأعداد لا بأس بها نزحت إلى دول عربية، وأخرى غير عربية.

وإن الظروف التي أحاطت بهؤلاء اللاجئيين، كانت ظروفاً صعبة، لا يستطيع آدمي أن يتحملها، حيث " كابد اللاجئون الفلسطينيون أهوالاً لا حد لها، في خيامهم المهلهلة، ولكنهم واصلوا الكفاح بكل ما يملكون، من أجل تحرير بلادهم ودحر المعتدين "[2].

لم تكن حياة الغربة أمرا سهلا، ففيها رأى الفلسطينيون شتى أنواع العذاب"ووجدوا أنفسهم في حالة حصار دائم في العمل والتعليم والتنقل، وممارسة حقهم في التعبيرعن ذاتهم، وقد كبر حجم المعاناة حينما توزع الفلسطينيون في المنافي، وتأثروا من خلال مواقع هجراتهم في البلدان العربية والأجنبية "[3]، وقد أحس الفلسطينيون بأنهم عالة على غيرهم من الشعوب، يزاحمونهم في العمل والرزق، فتولد لديهم إحساس بمرارة الغربة التي يعيشونها. وبعض الدول حاربت الفلسطينيين فعزلتهم، ومنعتهم من العمل والتوظيف، وفرضت قيوداً عليهم في التعليم، مما زاد في معاناتهم، وحرمانهم من الحياة التي يحلم بها كل إنسان. ولقد ولد هذا الحال ردة فعل غاضبة لدى الأدباء والروائيين، ومنهم عيسى لوباني، فبدأوا يصفون هذا الحال في رواياتهم، ويعبرون عن هموم اللاجئين، ووصف مآسي الغربة التي كان الفلسطيني ضحية لها.

---

[1] كلية الآداب:**الأدب الفلسطيني تاريخه وفنونة وأغراضه واتجاهاته**، مكتبة القادسية،جامعة الأقصى، 2010م، ص94.

[2] السابق، ص94.

[3] أبو أصبع، صالح: **فلسطين بين تحدي الوجود وثقافة التحدي**، ص140.

ولن يستطيع الفلسطيني نسيان آلام الغربة، فهذا الشيخ كبير السن الذي لقيه الراوي، يتذكر الغربة، ويعبر عن الويلات التي لحقت بالفلسطيني فيها، يقول: "**آه ما أفظع أن نبكي من أكل الغربة في المنفى زقوماً، وخلاياه نزيف لا يغسله إلا قنديل الزيت، وقنطرة في زاوية البيت، وأوراق نحضر عليها الشعر ! آه ما أفظع أن لا يبقى منا غير بقايا! حتى ولو كانت أبياتا من شعر** "[1]، وكان الفلسطينيون الذين هجروا من بيوتهم يعانون الأمرين، على أمل العودة إلى بيوتهم التي حملوا مفاتيحها معهم، فكانت الهزيمة المدوية للجيوش العربية، فاضطر الفلسطينيون إلى اللجوء إلى الدول العربية، ويروي سمعان جزءاً من معاناة الفلسطينيين المهجرين قائلاً:" **أما نحن فخيام مثقوبة للريح، وأولنا وصل إلى الصحراء، ومفاتيح البيوت في الزنانير، وقد بدأ الصدأ يأكل أطرافها فتذوب** "[2].

ويروي أحد الفلسطينين بعضاً من المعاناة التي لقيها في الغربة، بعدما عاد من الأردن، ويفضل الموت في أرضه على العيش خارجها، فاتهمه الناس بالكذب، يقول " **الموت هنا ولا حياة العجز هناك، وأشار إلى الشرق وإلى الشمال وأصوات تصيح بشراسة: إنك تكذب لماذا لماذا عدت؟ فقال ودموعه تسيل على خده: دخلت بيتاً في الشونة فطردت منه كما يطرد كلب، وجعت فلم أجد أحدا يطعمني، يا ناس حرام عليكم فتحوا عيونكم، المصيبة كبيرة، الموت هنا أرحم من عيشة الذل هناك اصحوا** "[3].

ويظهر السمهوري للراوي مدى قسوة الغربة، فالذي يعيش في الغربة ويترك وطنه، يموت دون أن يعلم به أحد، فيضيع قبره بين القبور هناك، فيخاطب الراوي قائلاً: " **صدقني يا بني غربة الميت مثل غربة الحي، فاهمني في الغربة قبري يضيع بين القبور، هون على الأقل قرب أهلي، بونسهم وبونسوني** "[4].

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص110.

[2] السابق، ص251.

[3] السابق، 252،251.

[4] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص11.

ويرى السمهوري أن البقاء في الأرض هو من الانتماء الذي ينبغي على الإنسان أن لا يتخلى عنه، فمن يترك وطنه يموت في بلاد الغربة، " **قال وهو يلوح بذراعيه: أيوه يا ابني هذا هو الانتماء، مثل الشجرة، لا تنبت ولا تعطي ثمراً إلا في تربتها، بس تربتها** "[1].

ويظهر النادل الذي يعيش في ألمانيا، تمزق عائلته في بلاد الغربة، فيذكر للراوي كيف عملت الحرب على تشتيت العائلة في بلاد مختلفة، يقول النادل: " **أجل إنه عصر التمزق والضياع، والموت في بلاد الغربة، هل تصدق أن لي أخاً يعيش في باريس، وأختاً في أمريكا وبقية أهل في بعلبك** "[2].

وتحاول أم الراوي بعد الحرب أن تقنع أخاها بعدم الهجرة، والبقاء في الأرض؛ لأن حياة الغربة في نظرها، هي حياة الذل والتشتت، فيرحل الأخ مع أمل في الرجوع إلى بيته يوماً ما، وهذا ما لم يحصل " **قال خالي بصوت حزين وهو يرحل ويقبل والدتي ويدس في عبها مفتاحاً:**

– خل المفتاح عندك، ديري بالك عليه، مش يمكن نرجع، وبكت أمي بكاء مراً وهي تنشج.

– بلاش تروح يا خوي، خليك هون معانا، الموت هون أهون من حياة الذل والشرمحة هناك"[3].

وفي الغربة كان الفلسطيني معزولاً، يحس بالألم،مع الاعتقاد بأنه باع أرضه لليهود، وجاء يسكن أرض غيره، فعاش غربتين: غربة الأهل والأحبة، وغربة توجيه السهام للفلسطينيين الذين هاجروا عن فلسطين، فعندما سألت أغصان الراوي عن اسمه لقيت توبيخاً من والدتها،لأنها اعتبرت الفلسطينيين من الأغراب الذين لا يجب الحديث معهم، يقول الراوي: " **واختفت كما ظهرت، وسمعت فيما بعد صوتاً آخر، كان صوت أمها يؤنبها بعنف، ويحذرها من النظر عبر النافذة؛ لأن أغراباً يسكنونها، وفدوا عليهم منذ فترة هاربين من قريتهم التي احتلها**

---

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص11.

[2] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، الناصرة، الحكيم للطباعة والنشر، 2007، ص16.

[3] السابق، ص55.

اليهود، وأحسست بنصل السكين يغوص في ثنايا اللحم "[1]. فكان الاعتقاد السائد عن الفلسطينيين الذين لجأوا إلى بلاد الغربة بأنهم خونة، باعوا أرضهم وأتوا إلى أرض غيرهم، دون أن يعلم أحد المعاناة التي كان الفلسطيني يعانيها في أرضه.

ويبين لوباني أن مصير الذين رحلوا إلى بلاد الغربة الموت المؤكد، أما الذين بقوا في فلسطين فمصيرهم الموت أو الحياة، وبما أن هنالك أملاً في الحياة لمن يبقى في أرضه، فيفضل الراوي البقاء في الأرض، فعندما تمنت عمته بهجة لو أنها رحلت، صرخ بها الراوي: " **الذين رحلوا سيموتون في الغربة، أما نحن فأفضل أن نموت هنا في بيوتنا، ثم أضفت بقلق مكتوم: من يدري فقد نعيش!!**"[2].

إن الرواية الفلسطينة وصفت مآسي المعذبين، الذين يعانون في بلاد الغربة، فوصفت جوانب دقيقة من معاناة الفلسطينيين، " وتبقى الرواية الفلسطينية عبارة عن مجرد سرد قصصي خيالي بعيد عن الواقع، إذا لم ترافق وتنقل نضالات وعذابات الفلسطينيين في الداخل، والمشردين في كل أنحاء العالم، لتكون بمثابة نداء متواصل، يحمل مآسي ومرارة الغربة عن الوطن، ومسقط الرأس"[3]، فكان هدف الروائيين التواصل مع هؤلاء المعذبين، ونقل معاناتهم لتصل إلى العالم أجمع، وهذا ماحرص عيسى لوباني على التركيز عليه في رواياته، إلا ان الظروف السياسية والقمع الصهيوني، جعل الأدباء يبتعدون عن هذه الموضوعات، إلا أن ذلك لا يعني تخليهم عن الدفاع عن أبناء شعبهم وقضيتهم إذا أتيح لهم ذلك.

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص 24.

[2] السابق، ص 301.

[3] صالح، فخري: **في الرواية الفلسطينية**، بيروت، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط1، 1985 م، ص 7.

المبحث الثاني

الموضوع الاجتماعي

في أوقات الحرب يصبح كل شيء مباحاً، وتنتهك القوانين والعادات الاجتماعية التي تكون قبلها، فتكثر الآفات الاجتماعية التي يعاني منها الناس، فبعد سقوط فلسطين عام 1948م، سقطت معها القيم الاجتماعية الإيجابية، التي كان يتمتع بها الناس، وأصبح المجتمع ضحية عادات اجتماعية طارئة، وقد " وصل التغييرإلى داخل تركيبة الأسرة الفلسطينية، تمثل في تراجع هيمنة الأب في بعض الأسر، بالإضافة إلى بعض حالات التفكك الأسري، وليس غريباً أن يكون الاحتلال معنياً بضرب البنية الاجتماعية للشعب الفلسطيني، والعمل على تدميره "[1].

لقد اهتم الروائيون بالآفات الاجتماعية وبدأوا بتعريتها، تمهيداً لمحوها من المجتمع، وتخليصه منها، فلا يستطيع الفلسطينيون التحرروتحقيق أهدافهم، إذا كان البناء الداخلي هشاً، ولا يستطيعون الصمود أمام عدوهم. وفي روايات عيسى لوباني نجد أن هذه المواضيع أخذت حيزاً واسعاً، فلم تكن الهزيمة في الحرب فقط بسبب الخيانة العربية، وإنما تحمل الفلسطينيون جزءاً من المسؤولية عن هذه الهزيمة، نتيجة للعادات السلبية التي مارسوها خلال الحرب وبعدها، ومن الطبيعي أن نجد الروائيين ومنهم عيسى لوباني يلتزمون الكشف عن هذه الآفات والمشكلات الاجتماعية.

لقد خلفت حرب العام 1948م طوابير من الجياع، الذين لا يجدون لقمة العيش، فترك ذلك جرحاً غائراً في نفس عيسى لوباني، فنقل معاناة الجياع الذين أصبحوا يبيعون حاجاتهم الخاصة من ملابس، وغيرها من أبسط الأمور، وكل ذلك فقط من أجل الحصول على كسرة الخبز، وإطفاء شعلة الجوع التي أحرقت أمعاءهم، وحين يبيع الراوي بارودته التي كان يحتفظ بها للدفاع عن أهله، ويشتري بثمنها خبزاً، هذا يعني أن الحال لم يعد يطاق، والجوع لا يمكن أن يرحم أحداً، فيعلق أحد الرجال على بيع الراوي لبارودته قائلاً: " **كنت لازم تنتظر قليلاً، فقلت**

[1] الشحادة، يوسف محمد ذياب: **الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة**، وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1،2009، ص73.

ثائراً: الجوع لا ينتظر يا أستاذ، ألم تر الناس أمام الكازونوفا ماذا يفعلون !؟ فقال بأسى: أمس رأيت وكدت أبكي امرأة تبيع بذلة زوجها، لتأكل بثمنها، وزوجها قتل حينما سقطت حيفا "[1].

إن الجوع كفيل بأن يأتي بالموبقات التي يشيب شعر الإنسان عند سماعها، فرغيف الخبز قد يجعل الأميرة عاهرة، والأمير شحاذا، وقد دفع الجوع إسماعيل أبو الزغل لأن يبيع العود والمنساس[2]، لأجل لقمة العيش فيصيح الراوي: " **حينما تكفهر السماء، وتوشك أن تمطر مصائب وموتاً، ويعز الرغيف ويصبح ثمنه ذهباً، ترخص النفوس، وترخص الأجساد، وتصبح الأميرة عاهرة، ويصبح الأمير شحاذا على أبواب الجوامع، وصاح إسماعيل أبو الزغل، وزوجته تزحف خلفه كسلحفاة، يا ناس نريد أن نأكل، فمن يشتري هذه السكة وهذا المنساس؟**"[3].

ولقد دفع الجوع الأم لترسل ابنها محمود ليأكل الأعشاب، لأنها ببساطة لا تملك قطعة الخبز لتطعمه إياها، فيتعجب الراوي ويسأله قائلاً:" **ماذا تعمل؟ فتلعثم وأخيراً قال ووجهه شاحب شحوب الموتى: آكل الأعشاب، ألا ترى؟ فغمغمت بحزن: الأعشاب وهل تشبع الأعشاب؟ فقال وهو يستدير إلي، ثم ينهض بجذعه الأعلى ويجلس القرفصاء: يملأ المعدة، لقد أرسلتني أمي إلى هنا وطلبت.... فقاطعته بنزق، أمك أرسلتك لتأكل الأعشاب، لماذا؟ فقال بعد تردد، وهو يبلع ريقه: لأننا لا نملك الخبز "[4].**

حقاً إن الجوع آفة لا يمكن تجاهلها، لأنها إذا حلت بدار قوم أهلكتهم، حتى ولو كانوا أمراء، فما بال الفلسطينيين الذين شردوا، وسفكت دماؤهم. وقد وصل الراوي إلى هذه الحقيقة "**وغمغمت بحزن وأسى، وأنا أدق الرصيف بقدمي الواهنة: حينما يجوع الصغار تختل كل الموازين، ويتشوه كل شيء؛ لأن التاريخ برمته هو تاريخ كسرة الخبز وكيف نوزعها !**"[5].

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص186

[2] أداة يستخدمها الحراث لتنظيف سكة الحراثة وإزالة الأعشاب العالقة فيها

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص256

[4] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص207.

[5] السابق، ص216.

لقد كان سعيد يعيش مع أسرة مكونة من عشرة أفراد، وهؤلاء يحتاجون في اليوم ثلاثين رغيفاً من الخبز لطرد الجوع من أفواههم، يقول للراوي:" **تصور أننا كنا عشرة أنفار في البيت ووالد مريض، وأم أشد مرضاً، الأطفال أكبرهم سبعة عشر عاماً وهو أنا، وأصغرهم سنتان، تصور عشرة أفواه، كلما طلعت الشمس يريدون ثلاثين رغيفاً من الخبز على الأقل، ناهيك عن المواد الغذائية الأخرى المصاحبة للخبز، كنت أجلس على عتبة البيت، وأفكر ماذا أصنع لأوفر لهؤلاء الخبز الحاف؟**"[1].

لقد تغيرت الأوضاع الاجتماعية التي كان يعيشها الناس، وأصبح التوفير يطال الطعام والشراب، مع وجود البطالة، وشح العمل، وأصبح الناس يبيعون أبسط الأشياء لتوفير لقمة الخبز، يقول الراوي:" **فقلت وأنا أداري قلقي: رأيت أناساً يبيعون ملابسهم وملاعقهم، فلطمت وجهها وصاحت بوجع: إلى هذا الحد؟ فقلت: وسترين أكثر ! اختصري، واقتصر طعامنا على الشاي والخبز الحاف، وقرصنا الجوع**"[2].

وعندما ضاعت الأرض واغتصبت، ضاعت أعراض النساء واغتصبت كذلك، ولقد ربط لوباني بين هذين الأمرين، حيث كثرت في رواياته حالات الاغتصاب للنساء، مع استغلال الأوضاع غير المستقرة، فانتهكت الأعراض، وتبدلت القيم، وجفت النخوة من نفوس بعض الرجال والنساء، فهذه سحر تصف للراوي كيف اغتصبها أستاذها، فتقول:" **وهل رحمني حينما اغتصبني أستاذي؟ وذهلت، كانت تلك أول مرة أعرف بها أنها اغتصبت، قبل أن أعرفها بسنوات!!**"[3].

أن يحصل الاغتصاب من أناس عاديين، قد يكون هذا مقبولاً في ظل حالة السقوط التي يعيشها المجتمع الفلسطيني بعد الحرب، ولكن أن يكون الانحطاط الخلقي قد وصل إلى رجال الدين فهذا مستغرب تماماً، فجاءت امرأة تشكو لرجل الدين المسيحي قائلة: "**جاري يغتصبني كل**

---

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص219.

[2] لوباني، **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، الناصرة، الحكيم للطباعة والنشر، ط1، 1994، ص19.

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق (السقوط)**، ص117

ليلة يا أبونا، فسألها وماذا تريدين مني؟ فقالت باكية: أن تمنعه، أنت أبونا، وراعى طائفتنا، فقال ضاحكاً: لو كنت قادراً لجئت إليك واغتصبتك أنا أيضاً يا فاجرة "[1].

ومن الملاحظ في روايات عيسى لوباني أن حالات الاغتصاب كانت فقط في القسم الأول من رواياته، وهي رسائل في العشق والعشاق (السقوط)؛ ليبين أن سقوط الوطن تسقط معه كل القيم الاجتماعية، بينما اختفت هذه الظاهرة في الروايات الأخرى وهي (أم الخير) و(القلق) و(شمس وقمر)، واقتصرت على علاقات غير شرعية بين الشخصيات في هذه الروايات.

لقد وصل الحال في الانحطاط الاجتماعي في المجتمع، أن يقدم الرجل زوجته للدعارة للحصول على المال، ولعل الحاجة هي ما يدفعه إلى ذلك، فقد باع الفلسطيني كل ما يملك من حاجيات، فلما انتهت وصل به الحد إلى بيع عرضه بثمن بخس، يقول الراوي مخاطبا إحدى النساء: " **ماذا تريدين؟ فسألت بدهشة: ألم يقل لك؟ فألحت بالسؤال ألم يقل لك؟ فألححت بالسؤال زوجك؟ وتلفتت يمينا وشمالاً وقالت ماذا يعنيك؟! "[2].**

كان الوضع الاجتماعي قبل النكبة يفرض قيوداً على الروائيين والكتاب فيما يتعلق بموضوع الجنس، فلم يكن مسموحاً للكاتب والروائي أن يخوض في هذه المواضيع؛ لأنه سيلاقى بالرفض من جموع الناس، وقد أثرت النكبة على الوضع الاجتماعي فيما يخص القيود التي كانت مفروضة على الروائيين والكتاب، " فقد خفت القيود المفروضة على السلوك الجنسي على الأقل بين المفكرين والكتاب والمبدعين، كما أخذ الناس ينشغلون بقضايا السياسة والمصير القومي، وهي أمور أثرت على الأدب تأثيرا مباشرا "[3].

فليس من الغريب إذاً أن نجد عيسى لوباني يخوض في مواضيع جنسية كانت ممنوعة قبل النكبة، وغير مقبولة، ومنها مثلاً: اللواط، والعلاقات الجنسية غير المشروعة في المجتمع،

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق (السقوط)**، ص 131.

[2] السابق، ص 266.

[3] الجيوسي، سلمى الخضراء: **موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1997 م،ص45.

فالرجل المتزوج يلوط بطفل في الخامسة عشرة من العمر، مع أن قريتهم سقطت حديثاً بأيدي الصهاينة، فيصف الراوي هذه الحادثة، قائلا: " **كانوا يجرون رجلاً في منتصف العمر، حاسر الرأس، واتهمه أنه قبض عليه وهو يلوط بغلام في الخامسة عشرة من العمر، كلاهما لاجئ، من قرية سقطت للتو في ضواحي طبريا، والرجل متزوج وله أولاد** "[1].

ونجد الراوي في رواية (السقوط)، يتغزل بشاب فرنسي، ويسأل عنه صاحب الملهى، الذي كان يضاجع زوجته مرة من الأمام، ومرة من الخلف، فيثبت من خلال الحوار الذي دار بينهما مدى السقوط الأخلاقي، والحرص على الإتيان بأفظع الموبقات، في هذا المجتمع، يقول الراوي: " **وكان في الملهى شاب فرنسي يغني أغنية حزينة، حسبته امرأة فتشهيته، وسألت صاحب الملهى وكان طبرانياً لوطياً، أقسم أغلظ الأيمان بأنه يضاجع زوجته الصفدية مرة من الأمام، ومرة من الخلف، وسألته: وهل توافق؟! فقال هكذا كان الشرط من البداية** "[2].

إن الفقر بعد السقوط هو العدو الشرس الذي ينبغي الحذر منه، وبقي الإنسان الفلسطيني في حالة اشتباك دائم معه، فلقد اتخذت القضية الفلسطينية مساراً آخر يتجسد في الصراع من أجل لقمة العيش، فأصبح الفلسطينيون متسولين يطلبون لقمة العيش، من أجل البقاء على أرضهم، يقول الراوي:" **الفقر مباءة تقود إلى الفسق، فصاح بها والدي وقد حزم أمره، لوضع حد لهذا النقاش العقيم، أو الأقرع كما قال، ماذا تريدين أن تعرفي أكثر؟ الناس باعوا أجسادهم مقابل كسرة الخبز أفهمت؟** "[3].

ومع أن الرواية وصفت كثيراً من الأحوال التي يكابدها الناس، وأظهرت مواضيع كانت سبباً في الهزيمة، إلا أن الكاتب لم يستطع إعطاء المأساة الفلسطينية بعدها الاجتماعي الحقيقي، فقد أغفلت جوانب مهمة متعلقة بوضع الإنسان الفلسطيني، خارج فلسطين في الساحات العربية.

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص319.

[2] السابق، ص 118.

[3] السابق، ص 180.

المبحث الثالث

الحزب الشيوعي

بعدما تخاذلت الدول العربية وجيوشها في الدفاع عن الفلسطينيين، وحماية حقوقهم " رأى كثير من الأدباء في الحزب الشيوعي سنداً لهم، آزرهم في صعابهم ومحنتهم، لا سيما في الفترة الممتدة من 48 – 73، فكان بمثابة المخلص لكل فلسطينيي 48، فعلقوا عليه آمالهم وأحلامهم؛ هرباً من خيباتهم "[1]، من هنا نجد أن الأيدولوجية السياسية والانتماء الحزبي، طغى على كتابات الروائيين، ومنهم عيسى لوباني، فقد أظهر مبادئ هذا الحزب، وقدرته على انتشال الناس من الضعف واليأس الذي يعيشونه، فبين أن المبادئ التي كان ينادي بها الحزب الشيوعي هي المبادئ الصحيحة، التي ينبغي على الناس اتباعها، وعدم الحياد عنها.

ويرى سميح سمارة" أن الهدف المركزي والاستراتيجي القائم على الدعوة إلى النضال من أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، ظل واستمر قاسماً مشتركاً بين مجموع الأطر الشيوعية الفلسطينية بعد الكارثة"[2]، وفي روايات لوباني نرى الراوي يدافع على لسان شخصياته عن هذا الهدف، فيرسم الحكمة التي كان يتمتع بها الشيوعيون في التعامل مع الأحداث الكبرى التي مرت بها فلسطين.

لقد كان قرار التقسيم في العام 1947م حدثاً مهماً بالنسبة للفلسطينيين والعرب، ولقد انقسم الفلسطينيون والعرب حول هذا القرار إلى قسمين: القسم الأول المتمثل في الحزب الشيوعي الذي وافق على قرار التقسيم، وكان مبدؤه في ذلك دولتين لشعبين، أما العرب فرفضوا هذا القرار رفضاً قاطعاً واعتبروه تنازلاً عن فلسطين، وقرروا خوض الحرب لإلغائه، " حيث دخلت الجيوش العربية فلسطين سنة 1948م، وانتهت حرب فلسطين بالكارثة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، إذ اغتصبت العصابات الصهيونية فلسطين، وشردت أبناءها عن أرضهم

---

[1] الخطيب، جهينة عمر: **تطور الرواية العربية في فلسطين 48**، ص64.

[2] سمارة، سميح: **العمل الشيوعي في فلسطين الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية**، بيروت، دار الفارابي، ط1، 1979م، ص304.

وديارهم، وأقامت دولة إسرائيل"[1]، ولقد أخذ الصهاينة في الحرب ضعف ما خصهم بـــه قـــرار التقسيم.

يظهر لوباني في رواياته على لسان أبطاله عدم حكمة العرب حينذاك، وأنه كـــان مـــن الأفضل أن يقبلوا بقرار التقسيم، ويظهر مدى حكمة الشيوعيين، وينعتهم بالأوصاف الإيجابيـــة، التي تبين مدى إعجابه بهذا الحزب، " **فقال أحدهم، وعرفت فيما بعد أنه شيوعي: كـــان مـــن الأفضل لوحكمنا العقل، وقبلنا بقرار التقسيم، فقال آخر وكان نزقاً حاد المزاج، وبندقيته تلمع على ركبتيه، تحت شعاع الشمس الغاربة: لا أحد يقبل بالظلم، فقال الرجل الذي كان شـــيوعياً عريقاً: وأنا لا أقبله، ولكننا قتلنا نصف العدل الذي أعطونا إياه، فصاح به: أي عـــدل؟ فقـــال الرجل وكان واثقاً من نفسه، فهزني من الأعماق؛ لأنه يقول الصدق والحق في التقسيم، ثم ألا ترى أننا نخسر كل شيء، ولا نكسب شيئاً، فقال ذلك الرجل ويبدو أن إيمانه قد اهتز قليلاً: بعد الخامس عشر من أيار سنرى، فقال ذلك الشيوعي وهو ينهض: هذا إذا بقـــي شـــيء حتـــى الخامس عشر من أيار**"[2].

ويدور حوار بين الراوي وسمعان حول موقف الحزب الشيوعي مـــن قـــرار التقســـيم، ليفضي هذا الحوار، إلى أن القبول بقرار التقسيم كان أفضل من رفضه، ويجعل الراوي سمعان يقر بهذا الموقف، يقول الراوي:" **مش لو قبلنا بالتقسيم كنا ربحنا كثير، فاستشاط غضباً وثار، وصاح بي: إنت كمان شيوعي؟! فصحت وأنا أتلفت حولي خوفاً: أنا شيوعي، والله العظيم مـــا بعرف حدا بهذا الاسم، فتراخت عضلات وجهه وقال باستسلام: بتعرف بيني وبينك إللي بتقوله صحيح، واللي بقوله هذول اللي اسمهم عصبة التحرر الوطني، والشيوعيون صحيح** "[3].

إن الحزب الشيوعي هو حزب العمال والكادحين كما يرى أسعد، فهـــو يجمـــع بيـــنهم جميعاً، ويظهر الراوي مدى ارتياحه؛ لأن هذه الأرض فيها شيوعيون مثله، وأنه ليس وحيـــدا،

---

[1] السوافيري، كامل: **الأدب العربي المعاصر في فلسطين**، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص76.

[2] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص200.

[3] السابق، ص 215.

وكل بقاع الأرض فيها شيوعيون كما يرى " **قال أسعد ليلتها ونحن نستعد للسفر: كلنا رفاق يا رفيق، فسألت لماذا؟ فقال: وهو يشمخ بوجهه الممتلئ، وقامته القصيرة، لأننا عمال كادحون، فقلت متسائلاً: الكل عمال وكادحون، فقال بغضب وضيق خلق مصطنعين: إذن نحن رفاق، فألححت مشاكساً: يعني نحن رفاق لستالين؟ فقال وعيناه تلمعان: بالضبط، نحن والرفيق ستالين، وكل الشيوعين رفاق، وارتحت وهمست إلى نفسي وأنا أطأ عتبة البيت لأستريح وأنام، حتى الصباح الموعود: لست وحيداً، فلي رفاق مثلي في شتى بقاع الأرض** "[1].

ويظهر الرواي على لسان أسعد أن الحزب الشيوعي عدو الجشع والطمع، اللذين رسخهما النظام الرأسمالي، وأصبح الإنسان ضحيتهما، ويجعل أسعد في النظام الاشتراكي نظاماً عالمياً، له الكثير من الأتباع في العالم، ولو لم يكن هذا النظام نصير الضعفاء، لما وجدت هذه العالمية فيه، يقول أسعد:" **الجشع والطمع هما طبيعة الإنسان الرأسمالي، صاحب المال والعمل، واستوعبت الفكرة، واتضح لي جانب كبير من الواقع الملتبس الذي نحن فيه، وقلت وقد أشرق جانب عظيم من الصورة: إننا ضحايا استغلال فظيع قديم إذن؟ فقال أسعد وهو يتنهد: قديم جداً، وسوف نضع حداً له، فالنظام الاشتراكي أصبح عالمياً، الآن ثلث الكرة الأرضية، فارتعشت وقلت بدهشة: ثلث الكرة الأرضية اشتراكية ! فقال بصوت شبه حالم: أجل ثلث الكرة الأرضية** "[2].

ولا يتوقف الراوي عن التنظير للحزب الشيوعي، فهو حزب الفقراء والعمال، الذي سينتشلهم من فقرهم، وليس حزب الأغنياء الذين لا يلقون بالاً للطبقة الكادحة المسحوقة، يقول أسعد: "**الاشتراكية هي دولة العمال والفلاحين، مش دولة الأغنياء وإللي معهم مصاري بالقناطير**"[3].

إن الاشتراكية هي الحل السحري لكل المشاكل التي يمكن أن تواجه المجتمع، وليس مشاكل المجتمع الفلسطيني فحسب، وإنما المشاكل القومية أيضاً، ويدعو أسعد الى النضال من

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص76.

[2] السابق، ص102.

[3] السابق، ص 103.

أجل قيام الاشتراكية؛ لتحل المشاكل سريعاً، يقول:" **الاشتراكية تحل كل المشاكل حتى القومية منها يجب أن نناضل من أجل قيام الاشتراكية هنا؛ لأنها ستحل لنا مشكلتنا، مش هيك؟ فقال: نعم، الاشتراكية هي الحل، ولا شيء سواها** "[1].

ويبدو أن الناس كانت تجهل الفكر الشيوعي وأفكاره، فيتطوع أسعد ليظهر مبادئ هذا الحزب للعمال والفلاحين، ليبين لهم أن هذا الحزب هو المخلص من الشقاء الذي يعيشونه، فيخطب أسعد بالعمال قائلاً: " **الشيوعية يا رفاق معناها أن تعمل قدر طاقتك، وتأخذ حاجتك، فصاح به الجميع بصوت واحد: كيف مش فاهمين؟، اشرحها لنا**"[2].

لم تكن فكرة أن تكون شيوعياً مقبولة بين الناس؛ لاعتقادهم أن الحزب الشيوعي قبل بقرار التقسيم، وقبل بدولة للصهاينة على أرض فلسطين، فكان الذعر من إظهار هذه الفكرة منتشراً بين الناس، فلا يستطيع أحد أن يظهر الانتماء له؛ لأنه سيلاقي الكثير من العداوة، فهذا رجل يخطب في الناس، ويحرض، ضد الحكام فيتهمونه بالشيوعية، وعندما يكون شيوعياً يستحق بذلك أن يرجم " **فصاحوا به جميعاً: صار شيوعياً فأرجموه ورجموه بما طالت الأيدي، كان يبكي ويصيح: أيها الناس إنكم ضحايا أبشع جريمة إنسانية، إنكم ضحايا شريعة الغاب، عدوكم أذكى منكم بكثير، صحيح أنا شيوعي، ولكنني مثلكم** "[3].

أن تكون شيوعياً هذا سبب كاف لمعاداتك، وإنزال أشد العقوبة بك، فعندما اقتاد الناس جندياً عراقياً إلى قائده وضبطوه يسرق فلاحاً فقيراً، شتمهم وتوعدهم بالحرق، واتهمهم بأنهم شيوعيون، فعندما اقتيد ذلك الجندي العراقي إلى قائده " **قيل له بصوت واحد: جندك يسرقون الناس بدلاً من الدفاع عنهم، فصاح بهم ذلك القائد وكان عراقيا أيضاً: اخرس يا ابن القحبة، وأضاف وهو يسحب مسدسه الطويل من حزامه: كلكم شيوعيون حمر، والله لأحرقنكم في هذه الساحة** "[4].

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص 107.

[2] السابق، ص 133

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص86

[4] السابق، ص161.

لم تخفت تلك الأصوات التي تنادي بخيانة الحزب الشيوعي للقضية، ويصنع الراوي حواراً بين شخصياته، أحدهم يتهم الشيوعيين بالخيانة، والآخر يدافع عنهم ويقول: إنهم خلاصة الوطنية، وبدونهم ستكون الأمور أكثر سوءا من الوضع الذي هو عليه الشعب الفلسطيني، فعندما سجنت مجموعة من الشبان طالب رئيس اللجنة القومية بإطلاق سراحهم، حيث يقول " **يا ابن الرافدين، هؤلاء أناس طيبون، ومن خيرة هذا الشعب، وهذه بلد عنوان الأخوة والوطنية والقومية الصادقة الحقة، أطلق سراحهم بالحال، فقال ابن الرافدين، وكان يجلس على منصته بلباس قاض: إنهم شيوعيون خونة، فقال الرجل وهو يوشك أن يخرج غاضبا: ليسوا خونة إنهم خلاصة الوطنية** "[1].

لم يكن الشيوعيون في فلسطين طائفة قوية وكبيرة، بل كانوا ضعفاء ومضطهدين، وعندما أبدوا رأيهم في قرار التقسيم، اتهموا بالخيانة ولم يستمع إليهم أحد، فيرى الرجل الغامض أن الحقيقة لا تروق لكثير من الناس، وخصوصاً إذا كانت من فئة قليلة ومضطهدة، يقول الرجل الغامض: "**طائفتنا قليلة ومضطهدة، ولم يسمعوا لنا حين قلنا كذا وكذا، فقلت بجد: كلام قديم ولا يجدي، ابحث عن كلام جديد يروي عطشنا، فقال باستسلام عجيب: أجل الحقيقة مثل الدواء المر، لا نستسيغه دائماً، ولو كان فيه الشفاء العاجل** "[2].

ويظهر لوباني من خلال شخصياته أن الشيوعي إنسان مثقف، يملك مكتبة غنية، ويتقن لغات متعددة، فيظهر الراوي من خلال (مونيكا) أن زوجها الشيوعي كان يملك مكتبة غنية، و يتقن لغات متعددة، ومنها: الألمانية، والروسية، والفرنسية، والإنجليزية، بالإضافة إلى إتقانه الرسم والفلسفة، تقول (مونيكا):" **كان زوجي يسارياً، ويصل إلى حد الفوضوية، كان صوتها يتساقط كالصواعق، فنهضت بجذعي الأعلى وقلت:**

- يعني شيوعيا إلى حد ما؟

فقالت بصوت لم يكن خاملاً:

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص165.

[2] السابق، ص307.

- تستطيع أن تقول ذلك.

وأضافت وهي تدعوني إلى النهوض لأتبعها إلى غرفة في الطابق الثاني من المنزل.

- إنه يملك مكتبة غنية، ويتكلم بلغات أربع، الألمانية بالطبع ثم الروسية، ثم الفرنسية، ثم الإنجليزية، كان رساماً بارعاً وفيلسوفاً "[1].

وهكذا أظهر عيسى لوباني من خلال أبطال شخصياته، دور الحزب الشيوعي في المسيرة الوطنية الفلسطينية، وإبداء موقفه من الأحداث الكبرى التي مرت بها فلسطين، فأظهر الحكمة التي يتمتع بها، و بين العداء غير المبرر لأفراده ومبادئه، وقد اشتد في الفترة التي سبقت حرب عام 48، وموقفهم من قرار التقسيم، وبعد الحرب كذلك.

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص 70.

المبحث الرابع

الجنس

يعد الجنس من الموضوعات التي طرقت بعد الحرب؛ لأن الأوضاع الاجتماعية قبل الحرب لم تكن تسمح للراوي الخوض في هذه المواضيع، وأصبحت الحرية المعطاة للروائي والأديب أكثر مما كانت عليه قبل ذلك، فلم يكن قبل النكبة مسموحاً للأدباء أن يخوضوا في هذا الموضوع، أما بعد النكبة فلا نكاد نجد رواية إلا وطرقت هذا الباب " وليس الحديث عن الجنس والسفاح في الرواية، إلا إشارة رمزية دالة على اغتصاب فلسطين من العدو الصهيوني "[1]، فلقد اغتصبت فلسطين، وشرد أهلها، وسقطت كل القوانين الاجتماعية التي كانت تحكم حياة الناس، فأراد الروائيون من خلال الجنس أن يبينوا أنه لم تعد هنالك محرمات، فبسقوط الأرض يسقط معها العرض، وتسقط كل الأعراف.

ويرى محمد رجب البارودي" أن المثقف العربي لا ينظر إلى الجنس باعتباره قضية مرتبطة بحرية المرأة، بل يعطيه دلالات أخرى مرتبطة ارتباطاً وثيقا بالقضية الاجتماعية أو السياسية المطروحة على المثقف ذاته، وهكذا كان الجنس تعبيراً عن الحرمان الاجتماعي، والتعسف السياسي، وأداة التجسيم لفكرة العنف "[2]، ولقد ولدت القسوة التي استخدمها العدو الصهيوني في قمع الإنسان الفلسطيني ردة فعل غاضبة لدى الأدباء والروائيين، فوجدوا في الجنس ملاذاً للتعبير عن نفوسهم المكبوتة، واستخدموه للتعويض عن خيبة الأمل التي أصابت نفوسهم بعد الحرب، ولإظهار مدى الضعف الاجتماعي داخل المجتمع الفلسطيني، وبيان سبب الهزيمة التي لحقت بالفلسطينيين، فالمواضيع الاجتماعية ومنها الجنس، أظهرت سبب الهزيمة وبينت أنها تبدأ من الداخل قبل الخارج. ويرى شكري عزيز الماضي " أن التجربة الجنسية تحتل مكاناً رئيسياً في هذه الروايات، وتعتبر الجنس ملاذاً أخيراً معوضاً لخيبة لخيبة الآمال "[3].

---

[1] مناصرة، حسين: **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002م، ص 436.

[2] البارودي، محمد رجب: **شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة**، تونس، الدار التونسية للنشر، ط1993،1م، ص252.

[3] ماضي، شكري عزيز: **انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية**، بيروت، المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،ط1، 1978، ص81.

ولم يأت الروائيون بهذه القصص الجنسية في رواياتهم للتسلية، فالسقوط عام 1948م، لم يترك مكاناً لقصص الحب والجنس في الرواية العربية، بل جاءت لتبين الترابط بين القضية والإنسان الفلسطيني، وخصوبة العلاقة بينهما، وإن الروايات الفلسطينية مليئة بإشكاليات الحب والجنس المتعددة الدلالات والجماليات، ويرى حسين المناصرة أن القصد " من حشد هذه العناوين هو التدليل على خصوبة هذه العلاقة في الرواية الفلسطينية، التي تعامل معها دارسون كثيرون على أنها وثائق وطنية، لا قضايا اجتماعية إشكالية تكشف الهزيمة الاجتماعية من الداخل، بوصفها السبب المهم في الهزيمة العسكرية والسياسية "[1].

فجاءت روايات لوباني مليئة بالمواقف الجنسية، والعلاقات غير المألوفة بين رجال ونساء، بل إنه حطم كل القواعد التي تحكم المجتمع، فالجنس يمارس في القرية، والنساء يراودن الراوي عن نفسه، بل تعدى ذلك في موضوعاته، فجعل الرجل يتاجر بعرض زوجته، ويقدمها للرجال من أجل الطعام، مع العلم أن الفلسطيني كان يفضل الموت ألف مرة على أن يبيع عرضه بثمن بخس، ويرى حبيب بولس أن لوباني يحاول " في رسائله أن يعطينا المبرر، فهو يرى في تهافت النساء على الراوي/ البطل، وتهافته عليهن مسألة نفسية في وقت الشدائد والمحن – النكبة – أي المقصود أن الإنسان يهرب من شدائده، وحاضره المأساوي، إلى حضن المرأة / الملذة الجنسية؛ كي ينسى همومه "[2].

ففي الفترة التي تلت عام 1948م، تعرف الراوي على فاطمة واختفت فاطمة مع سقوط الوطن، ثم تعرف على جوهرة وكانت الملجأ الذي يأتي إليه عند اشتداد أزماته، فيقذف فيها حممه الجنسية؛ لينسى همومه اليومية التي يمر بها، ثم تأتي سحر جارته لتنسيه ما حصل معه، وتتبعها صابرين ثم رحمة، ومن خلال هذه الشخصيات يقيم علاقات غير مشروعة، ويصف طبيعة هذه العلاقات بصورة مكشوفة، ولا شك في أن لهذه العلاقات الجنسية فائدة، ويظهر الراوي أن لها تأثيراً عجيباً على النفوس، فهي تمتص التوتر، وتهدئ الجسد، يقول الراوي:"

---

[1] مناصرة، حسين: **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، ص439.

[2] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص125.

اكتشفت أن البكاء ضروري للإنسان؛ لأنه يغسل النفس، ويمتص التوتر في الأعصاب والجسد، ويهدؤهما تماماً كما يفعل الجنس "[1].

إن القسوة والحرمان اللذين يعيشهما الراوي، دفعته لممارسة الجنس، فعلاقته مع صابرين كانت ثمرة هذه القسوة، وذلك الحرمان، يقول الراوي:" **ضحكنا ضحكة ترن، بما كنا نقاسي من حرمان، وأشرت إلى البيت المهجور، فقلت وأنا أخطو في اتجاهه متعثراً: تعالي هون**"[2]. فيقيم الراوي علاقة جنسية مع صابرين، وكأن هذه العلاقة تفرغ ما في النفس من هموم يعيشها، وهي سقوط فلسطين، وسقوط كل القيم التي كانت تحكم المجتمع.

لقد هزم العرب هزيمة مدوية، وخذل الفلسطينيون جراء هذه الهزيمة، وتعويضاً عنها كان لا بد من البحث عن وسائل جديدة للمقاومة، وبما أن المواجهة العسكرية فشلت فشلاً ذريعاً، لجأ الراوي إلى وسيلة جديدة للمقاومة، فرأى في الجنس أنسب وسيلة، يقول الراوي:" **وضروب المقاومة متنوعة، ويبدو أن الجنس ضرب من ضروب المقاومة، إننا نقاوم الموت بمضاجعة من نحب، ومن لا نحب، إنها مناجزة يمارسها الجسد أمام دبيب خطوات الموت المحتمل** "[3]. ويبدو أن المقاومة التي يقصدها الراوي هنا، مقاومة الهموم والمصائب التي يمر بها، فالجنس باب من التنفيس، يستطيع من خلاله نسيان واقعه الصعب، والصمود أمام الموت.

وبالجنس يرى الراوي أنه يتعرف الإنسان على غيره، فهو أول شروط المعرفة، يقول: "**وتذكرت قولاً قرأته منذ زمن بعيد، يقول: الجنس أول شروط المعرفة ومادتها** "[4]، ومن الغريب في رواياته أن المرأة الريفية تفهم بالجنس وترويه، وهذا ما لم يكن سائدا في تلك الفترة، فكان المعروف عن الريف والقرية المحافظة، والبعد عن هذه المواضيع الخارجة عن المألوف، فلم تكن المرأة الريفية تعلم عن هذه المواضيع كثيرا، بل كانت تعيش في عزلة فرضتها القوانين الاجتماعية الصارمة، يقول حبيب بولس: " ما يثير الدهشة والغرابة في الرسائل، أن المرأة تفهم

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص242.

[2] لوباني، عيسى:**رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص49.

[3] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (السقوط)**، ص302.

[4] السابق، ص30.

في الجنس، وفي مراحل العملية الجنسية المؤدية للذة الخالصة أكثر من الرجل، فهي المجربة ذات الخبرة الواسعة، التي تقود الراوي / البطل لاكتشاف أقصى المجاهل والخبايا الجسدية، التي تمتص الرجل، وتوصله إلى ذروة الرعشة والمتعة والنشوة، فحتى المرأة / الفتاة الفلاحة البكر تفهم بالجنس، وتجوع وتطلب ممارسته بطلاقة وبحرية، والكاتب يصور الراوي / البطل على أنه فحل جنسي نهم لا يشبع، ولا تشبع منه النساء"[1]، فسوزانا لا تتورع عن دعوة البطل إلى بيتها لممارسة الجنس، و تحث البطل / الراوي على الإتيان إلى منزلها؛ لأن والديها مسافران لقضاء شهر العسل، يقول الراوي:" **قالت سوزانا وهكذا كانت تحب أن أدعوها تحببا وتوددا: والداي مسافران، والبيت خال، سألت إلى أين سافرا بالسلامة؟ قالت وهي تفرك كفيها: ليقضيا شهر العسل من جديد، سألت وأنا أتوتر: ألم ينتهيا منه بعد؟ قالت وقد اقتربت أكثر حتى تنشقت عطرها المثير: إنهما ولا أكشف لك سرا، يمارسان الجنس تقريبا كل ليلة أليس غريبا؟**"[2]، الغريب أن تكون المرأة هي المبادرة في زمن سيطرت عليه الحرب، و تروي ما يدور في بيتها بين والديها، وهذا ما جعل حبيب بولس يتساءل حول ذلك:" هل يعقل أن المرأة في أكثر الأعوام مرارة وشدة 1947–1948م وما بعدها، كانت تملك مثل هذه الحرية الجنسية، فتاة أو متزوجة؟! أوأن ليس لها ما يشغلها سوى التفتيش عن المتعة والملذة الجنسية هروبا من واقعها، أين نجد مثل هذه الإباحية في مجتمعنا سابقا واليوم "[3].

إن عادات القرية القاسية لم تكن تسمح للمرأة بالتعليم، وكانت تفرض قيودا على خروجها من المنزل، أما فاطمة حب الراوي الأول، تلك الفتاة القروية البسيطة، تطلب من الراوي المضاجعة، وأن يستحم معها في البيت نفسه، ويبدو أن الراوي قد بالغ في ذلك؛ لأن عادات القرية – حتى مع السقوط – لم تكن تسمح بذلك، وإن المرأة تخجل من أن تتكلم مع رجل. إن الجنس الذي وظفه الراوي في رواياته أبعد الروايات عن الواقع الذي كان يعيشه الفلسطينيون، فالواقع مغاير لما طرح في هذه الروايات، وإن الراوي حتى ولو أراد من توظيفه

---

[1] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص119.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص17.

[3] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص120.

للجنس أن يقول: إن سقوط فلسطين هو سقوط للأخلاق، فهذا لا يعني توظيف كل تلك الفتيات للعملية الجنسية، وقد بالغ في ذلك كثيرا، وأظهر من خلال الروايات بعض الأمور الجنسية التي تحصل بين الرجل والمرأة بوصف صريح، وهذا أمر لا مبرر له.

وبالرغم من ذلك استطاع أن يصور من خلال الجنس أزمة كانت تعيشها فلسطين بعد النكبة، تمثلت هذه الأزمة في سقوط كل شيء، فأراد من خلال الجنس أن يقول: إن الفلسطيني فقد عرضه، وأصبحت نساؤه ملهاة يعبث بها الرجال، بمجرد أن تخلى عن أرضه، فهذا يعني أنه تخلى عن أغلى ما يملك وهو العرض، وإن الرجال انشغلوا عن مقاومة العدو بالمرأة لضعفهم وقلة حيلتهم.

وفي رواية (شمس وقمر) وظف الراوي الجنس بطريقة ناضجة أكثر من الرسائل، فلم يكن الجنس هدفا كما كان في الرسائل، بل وظفه الراوي للتعبير عن المعاناة التي كان يعانيها، فقد كان الجنس متاحا للراوي في ألمانيا، ولكنه لم يكن يسعى وراءه، بل كان الجنس في الرواية تعويضا عن آلام الغربة.

وفي ألمانيا لا حواجز بين الإنسان والجنس، وكل شيء فيها مباح، فيتحدث صديق الراوي عن الجنس في ألمانيا التي عرفها وخبرها فيقول:" **الجنس فيها مباح إلى حد الفوضى، والعودة إلى عهد الأمومة، الجنس هنا كالماء والهواء، أحيانا هو الذي يبحث عنك ولا تبحث عنه**"[1].

ويقيم مضيف الراوي اللبناني أسعد خير الله علاقة مع جارته الألمانية، يظهر من خلالها الكبت الذي يعانيه المغتربون في بلاد الغربة، فيحاول المغترب أن ينتقم لنفسه ووطنه وأمته من الظلم الذي وقع عليهم، فعندما يسأل الراوي مضيفه عن العلاقة بينه وبين الفتاة الألمانية، يقول:" **لقد قمت بالواجب يا أخي، وانتقمت للعرب منذ بغداد الرشيد، وحتى صبرا وشاتيلا، لا تخف علي**"[2].

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص17.

[2] السابق، ص28.

إن ممارسة الجنس في ألمانيا هي فقط لإشباع الجسد، فالطبيبة الألمانية (روكسان) لـم تتعد علاقتها مع الراوي سوى إشباع الجسد المتعطش، ويظهر الراوي في هذه العلاقة سـيطرة الرأسمالية على هذه المجتمعات، وعدم اهتمامها بالآخرين، فاهتمامها في الدرجة الأولـى هـو إشباع غرائزها، دون الإحساس بمشاعر الآخرين، وأراد الراوي من هذا التوظيف أن يقول: إن المغتربين في ألمانيا وغيرها من الدول لا أحد يهتم لمشاعرهم، فالكل ينظر إلى إشباع حاجاتـه فقط. ويصف المضيف اللبناني العلاقة التي أقامها مع (روكسان) قائلا:" **وبعد إلحـاح أذعنـت، وضاجعتها على عجل، ولما انتهيت ارتدت ملابسها وعادت إلى طاولتهـا، وانشـغلت عنـي بهواتفها، وكأن شيئا لم يحدث، وخرجت من عندها دون كلام أو وداع، لم تلتفت، وخيل إلـي أنها حصلت على وجبة الغذاء وشبعت** "[1].

والجنس عند (روجينا) أعلى درجات الموسيقى، به ترتاح النفس، وتعبر عـن مكنـون مشاعرها، فالحياة دون الجنس حياة عبثية لا قيمة لها، فتدخل روجينا في حوار مـع مضـيف الراوي قائلة:" **كل شيء يخلو من الموسيقى والغناء يصبح عبثا ولهوا، فانتعش صاحبي وهو يعب النبيذ كما يعب ثور وقال:**

- **حتى الجنس**

فقالت:

- **الجنس أعلى درجات الموسيقى؛ لأنه إيقاع الوجود** "[2].

لقد وظف عيسى لوباني عددا كبيرا من النساء اللواتي كان لهن الدور الأكبر في صـنع الأحداث، وكشف الجوانب الاجتماعية المختلفة، فنجد أن المرأة في رواياته هي المبـادرة إلـى الجنس والشذوذ، فتتعرى أمام الراوي، وتنام معه في الفراش،وقد رأى حبيب بولس أنه " علـى الرغم من اختلاف الواحدة عن الأخرى منهن، حالة وسنا وثقافة وبيئة، نجد أنهن جميعا عبيدات

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص45.

[2] السابق، ص85.

لغرائزهن الجنسية، لدرجة أن الواحدة منهن تتعرى أمام الراوي بسهولة وحرية، وتطلب منه ممارسة الجنس ببساطة، تنام في الفنادق بكل حرية، تشرب النبيذ، تضاجعه بلهفة وجوع، وتطلب أحيانا الشذوذ أو تمارسه في أحيان أخرى "[1].

إن الحرية التي أعطيت للمرأة الفلسطينية بعد العام 1948م أصبحت أكثر بكثير مما كانت عليه قبل الحرب، فلقد قلبت الحرب كل التقاليد التي كان يتمسك بها الإنسان الفلسطيني، فأدى ذلك إلى إعطاء حرية أكبر للمرأة، فبدأت تحتك مع الرجال في العمل، وقد استغلت بعض النساء هذا الواقع، من خلال الخروج عن كثير من العادات والتقاليد، وقد صور عيسى لوباني في رواياته بعض النساء اللواتي يبادرن في طلب العلاقة الجنسية مع الراوي، بل ويلاحقنه أيضا.

فأغصان الفتاة الريفية التي لم تعرف شيئا عن الحياة، تطلب الراوي وتنتظره في بيتها، بل وتبدي عدم ممانعة من الاستحمام أمامه، مكسرة بذلك كل العادات التي عرفت عن الفتاة الريفية، " **قالت ببساطة وذهول: انتظرك وأطرقت بدهشة، كانت كمن يعاني ألما، تكابد من أجل أن تكتمه، قالت وهي عابسة، ووجهها ينضج بعرق الفرن، وعرق المكابدة: رأيتك من خصاص النافذة، قلت وأنا أمشط شعري الطويل على غير العادة: عيب ألا تعلمين، قالت وهي أشد مكابدة؛ لأنها كانت ترتعش ارتعاشات غريبة، وماذا في ذلك؟ وأضافت بجرأة غريبة لا تلائم سنها: أتريد أن تراني أستحم؟ لا مانع لدي**"[2]، وتمر الأيام على أغصان، وتفقد زوجها، وتلتقي ثانية بالراوي، ولا تظهر خجلا في طلب الزواج منه، فهي ترى فيه من الرجولة ما يكفيها، ولا ترى أي تحرج في الحديث معه، وطلب الزواج منه " **قالت وقد نضجت أكثر، واستوى نضوجها، حتى أخجل كل الثمار في الحقول: الغنى في الرجولة، وقد رأيت كل شيء، قلت متجاهلا ملاحظتها الفظة: الرجولة لا تطعم خبزا، قالت بنزق: لا تغلق الأبواب في وجهي، وإلا انتقمت، وضحكت أحست أنها تخطت كل الحدود، فقالت معتذرة: لا أقصد والله** "[3].

---

[1] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص119.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص26.

[3] السابق، ص 28.

إن الصورة غير المألوفة للمرأة الفلسطينية، أن نجد من جرأتها ما يجعلها تروي القصص الجنسية للراوي، فهذه القصص تصل إلى حد الابتذال، والجرأة على كل العادات والتقاليد، فتروي سوزان حكاية جنسية للراوي، يقول الراوي:" **وروت لي إحدى حكاياتها، التي لا أعرف من أين تجمعها وكلها لاذعة، وذات صبغة جنسية، مفرطة في الجنس، وأحيانا تصل إلى حد الإقذاع، فترويها لي ووجهها محتقن، وأنفاسها تتلاحق، وكأنها ركضت الماراثون** "[1].

لقد بلغت الجرأة بفاطمة الفتاة الريفية البسيطة، أن تستعرض جسدها أمام الراوي، وأن تنزل ملابسها، وتبول أمامه، فيريد الكاتب من خلال هذه المشاهد ان يقول: إن الحرب قلبت أوضاع الفلسطينيين رأسا على عقب، فلم يعد هناك محرمات تحكم المجتمع وتصرفاته، " **فسألت وهي ترفع فستانها حتى الحوقين، وتعبث بسروالها الملون، ها انظر، وأنزلت السروال بضربة كف واحدة، وأقعت على الأرض، وبالت بلذة وهناءة** "[2].

أما صبيحة الفتاة الصغيرة فتبادر إلى الراوي، وتطالبه أن يأخذها معه، فهي تلميذته كما تقول، وكأنها تقول للراوي أن يفعل بها الذي يريده، فهي لن تمانع في ذلك، وتبلغ الجرأة فيها إلى الإشارة لصدرها، وتقاطيع جسمها لإغراء الراوي،" **وقالت عيناها ما عجزت عنه شفتاها المتورمتان بالكلام: خذني يا أستاذ أنا تلميذتك، و...، وأشارت بجرأة أكبر إلى صدرها، وتقاطيع جسدها الذي نضج فجأة، نضوج حقل زاخر بالسنابل** "[3]، ولم يقف الحد في مبادرة المرأة وجرأتها فقط على المرأة العزباء، فهذه جوهرة المرأة المتزوجة، تتعمد إغراء الراوي، ليقع في شباكها، فترف ملابسها فوقه، ويشتم عطرها، يقول الراوي:" **وتسللت باتجاه المرحاض، وبدا لي حينذاك، أنها قصدت ألا تسير في خط مستقيم إليه، بل صنعت من خط سيرها نصف دائرة، بحيث ترف ملابسها على وجهي وجسدي، وهي ذاهبة** "[4].

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص116.

[2] السابق، ص 148.

[3] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص88.

[4] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص192.

وبعد أن يضاجع الراوي جوهرة، تطلب منه أن يبقى فترة أطول من الزمن، فلا يهمها أحد، لا يهمها زوجها، ولا أهل الراوي الذين ينامون في نفس المكان، وهذه الجرأة لم تعهد على المرأة الفلسطينية في المراحل المختلفة من القضية الفلسطينية، يصف الراوي هذا المشهد الجريء قائلا: " **خلعت قميصي، والتصقت بها التصاقا لم يحصل لي من قبل، سوى مع فاطمة، وجسد فاطمة، وانتهى كل شيء بسرعة مذهلة، حتى همست وهي تتشظى: خليك كمان شويه، فهمست في وجهها: خايف حد يفيق، فقالت بجرأة هزتني: ما يهمنيش. وعادت ولفت ساقيها على خاصرتي، وجعلت تعلو وتهبط، خبط عشواء** "[1].

ولا تتورع المرأة المتزوجة جوهرة أن تنام مع الراوي في فراش واحد، غير مكترثة بمن حولها، فتمارس الجنس مع الراوي بطلاقة، وتطلب منه أن يعتليها، متجاوزة كل الحياء الذي تتحلى به المرأة الفلسطينية، يقول الراوي:" **فوضعت يدي على فمها؛ لأخفف من لهاثها، فهمست ووجهي في عنقها، وشذاها عباب يبتلع عبابي المتنامي بناره وشبقه: وأنا كمان** "[2].

أما صابرين بنت القرية، فيرسم لها الراوي صورة جريئة، تتنافى مع عادات الفتاة القروية، فتتوجه للعمل منفردة مع الرجال، وهذا ما لم يكن للمرأة القروية في فلسطين، فالعادات كانت تحكم الفتاة القروية أكثر من أي شيء آخر، فأي جرأة وأي قانون ذلك الذي يسمح لصابرين أن تعود من العمل منفردة مع الراوي، بل وأكثر من ذلك أن تطلب منه أن لا يطيل الغيبة عنها؛ لشدة شوقها إليه، يقول الراوي: " **أنت صابرين، فاصبري، سوف أسقيك حتى تشرقي، فأشرق وجهها إشراقة قمر في سماء لازوردية صافية، من ليالي الصيف الدافئة، وهمست: حاضر، وأضافت بعد قليل وهي تلهث: بس اطولش علي** "[3].

وتظهر النساء مظهر المبادرات كما صورها الراوي، فهن اللواتي يلاحقنه، ويتمنين أن يكون ملكا لهن، ويدور حوار بين هؤلاء النساء، تظهر فيه جرأة المرأة، وملاحقتها للراوي،

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص193.

[2] السابق، ص212.

[3] لوباني، عيسى: **القلق**، ص50.

"**وانحنيت على حذائي أعيد ربطه، هكذا لأستمع إلى ذلك الحوار الشيق؛ لأن حب الاستطلاع طبيعة إنسانية كنت أتمتع بقسط وافر منها في ذلك السن الطري، فقالت الأولى ولعلها أكبر سنا، وأكثر تجربة: تحسديه فلو كان لك فماذا كنت تقولين؟ ونمت إلى سمعي ضحكة خجولة، تحولت بسرعة إلى ضحكة فاجرة، أرعشتني في تلك الأمسية الهادئة، وأجابتها صاحبتها دون تردد، وبلهفة تفلق الحجر: يا ريت من فمك لباب السما، بس أنا وين وهوه وين** "[1]. وتترجى إحدى هذه النساء الراوي أن يعطيها يده لفترة قصيرة، وتظهر لهفة واضحة في الجرأة والمبادرة لطلبه، والغريب في ذلك أن يحدث في النهار، وتتفاوت هؤلاء النساء في أعمارهن، فبدل أن تكون الكبيرة أكثر حشمة، إلا أنها تطلب من المرأة الأصغر سنا أن تنتظر حتى يحل المساء " **وقالت إحداهن بصوت مشروخ متصدع مثل النحيب: الله يخليك هات إيدك شويه، فنهرتها الأخرى، ويبدو أنها كانت الأكبر سنا، بصوت هجرته الحشمة، فحل فيه فجور شبق: يا بنت الدنيا فضا، استني شويه** "[2].

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص 101،100.

[2] السابق، ص102.

المبحث الخامس

صورة المرأة

لقد كانت حرب العام 1948م سقطة مدوية للشعب الفلسطيني، بكل أبعاده السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، فلقد أدت الحرب إلى تدمير البنى الاجتماعية التي كانت سائدة، فقبل الحرب كانت التقاليد تفرض قيودا على تحركات المرأة في التعليم أو العمل، أما بعد الحرب فقد شرد الفلسطينيون، وكانت المرأة ضحية هذا التشريد، وقد وجدت نفسها في مواجهة أوضاع الفقر واليتم والضياع، وغياب رب الأسرة، فكان عليها أن تتحمل هذه المسؤوليات حتى تستطيع مواصلة حياتها بشكل طبيعي. ولقد أدرك الروائيون أهمية المرأة داخل الرواية، فلم تخل رواية من الروايات الفلسطينية من الحديث عنها؛ وهذا نابع من أهميتها في المجتمع، ودورها في الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، " وإذا كانت الرواية تمتزج أحداثها من خلال علاقات عنصري الوجود البشري الرجل والمرأة، فالذي لا شك فيه أن صورة المرأة أكثر استقطابا لحركة الواقع، وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه "[1]، وإن هذه الأهمية لدور المرأة جعلت الروائيين يعبرون عن المواقف المختلفة من خلالها، فعبروا عن سقوط الأرض وضياعها، وعن الضياع الذي ألم بالمجتمع الفلسطيني، وعن التشرد والضياع في بقاع الأرض المختلفة، ويبدو أن عيسى لوباني كان يدرك هذه الأهمية للمرأة، فغصت رواياته بأسماء كثيرة للنساء، سواء أكانت عربية أم يهودية ام ألمانية، ومنها: فاطمة وجوهرة وصابرين ورحمة وروجينا ومونيكا وسحر وسوزانا وغيرهن من النساء، وكانت كل واحدة منهن في روايات لوباني تمثل مرحلة من مراحل القضية الفلسطينية التي عاشها الأديب، وتمثلت هذه المراحل في النكبة وما قبلها وفي خضمها وما بعدها، وقد كانت فاطمة تمثل هذه المرحلة، أما جوهرة فكانت تمثل مرحلة الرحيل الأول، وهو اللجوء إلى الناصرة، ومن خلالها كشف الراوي عن جوانب الحياة التي عاشها الفلسطينيون، ثم تعمق في الأسباب التي أوصلت الفلسطيني إلى هذا الحال، وكانت صابرين تمثل فترة عمل الراوي في صفورية، والمعاناة التي كان يلاقيها العامل الفلسطيني خلال العمل في أرضه، فكشف من خلالها عن الجوانب النفسية للإنسان الفلسطيني، والمتمثلة في فقدان الأرض

[1] وادي، طه: **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**، مركز كتب الشرق الأوسط، (د.ت)، ص55، 56.

والتحسر عليها، ومثلت رحمة فترة عمله في اللد، وروجينا ومونيكا فترة عمله في الرملة، أما سوزانا وأغصان والفتاة الأرمنية وغيرهن فيمثلن الماضي القريب وهو بعد العام 1967م.

ولقد ظهرت المرأة في روايات عيسى لوباني على عدة نماذج ومنها: المرأة الضحية، والمرأة المبادرة، والمرأة الرمز، ولعب كل نموذج من هذه النماذج دورا في تشكيل الأحداث وكشف الجوانب النفسية والاجتماعية المختلفة.

وجاء توظيف المرأة عند لوباني إما بصورتها الحقيقية وإظهار معاناتها تحت الاحتلال، أو بصورتها الرمزية للتعبير عن المواضيع المختلفة السياسية والاجتماعية.

المطلب الأول: المرأة الضحية

لا ينكر أحد ما تفعله الحرب بالشعوب، فلا بد لكل حرب من ضحايا يعانون ويلاتها وآلامها، ولقد تحملت المرأة جزءا كبيرا من هذا الواقع، وهذه المعاناة، فاضطرت إلى تحمل تبعات الحياة وحدها، وناضلت لتظل وأبناءها على قيد الحياة، ولقد حرص عيسى لوباني على كشف جوانب المعاناة التي عاشتها المرأة الفلسطينية، فكشف التشتت والاستغلال والاغتصاب، وسوء المعاملة الذي لقيته المرأة، فلا نجد رواية من رواياته إلا ورسمت صورة للمرأة، تعبر عن المرحلة التي كانت تعيش فيها، وأظهر الدور الكبير الذي كانت تلعبه في مراحل القضية الفلسطينية المختلفة، ولقد كانت عائشة ضحية جيش الإنقاذ العربي، الذي بدل أن يحرر فلسطين، جاء ليسرق ويغتصب، فتقع عائشة ضحية لأحد أفراد هذا الجيش، فتروي لحسن الماعط ما حصل معها، تقول: " **طلع حرامي ابن حرامي من حوران، جاء ينهب وبس، وبارودته خربانة، والليلة الماضية، وبعد ما عمل بيه إلي بدو إياه ونام، فقت الصبح القيته سرق كيس الطحين اللي حيلتي، وسرق ثيابي وثياب الأولاد وهرب** "[1].

وعندما تعم الفوضى وتنتشر الإشاعات، يصبح الناس ضحايا لهما، ولقد كانت المرأة الضحية الأولى، فهذه جوهرة يغيب عنها زوجها من أجل العمل، فيتركها تصارع الجوع والفقر

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص157.

وتربية الأولاد وحدها، ولقد كلفها رأس بصل أن تتعرض للضرب والإهانة، فقد سرقته لتطعم طفلها، ولكنها وجدت نفسها أمام أناس لا ترحم، وأوضاع أشد قساوة عليها وعلى طفلها، يقول الراوي: "**وفجأة انهال رجل على رأس امرأة بعصا وهو يصيح: تسرقين أيضا، وصرخت المرأة، وصرخ طفلها، واستغاثت فلم يغثها أحد** "[1].

لقد جعلت الظروف الصعبة الزوج يقدم زوجته لممارسة الجنس، فهو يروج لذلك، ويدعو الرجال إلى زوجته، فكانت المرأة هي الضحية الأولى التي يتاجر بها، وخصوصا مع فقدان الزوج لعمله، وانتشار البطالة في أوساط المجتمع الفلسطيني، فيسأل الراوي إحدى النساء عن سبب تقديم زوجها لها لممارسة الجنس، " **لماذا؟ فقالت: وهي تضم ساقيها، وتلف جسدها بالعباءة الرجالية من جديد: الحاجة، وأضافت بعد قليل بجهد فصد العرق قطرات غزيرة على وجهها وأعلى صدرها: خرجنا من حيفا قبل أشهر، ونفدت نقودنا، ولم نعد نجد ثمن الخبز** "[2].

وكان لغياب زوج جوهرة، والظروف الصعبة التي عاشتها، الأثر الأكبر في تغير هذه المرأة، فعندما لا تجد من يعيلها، ويسد رمقها ورمق أبنائها، تصبح كل المحظورات مباحة، يقول الراوي عن جوهرة: " **المرأة ليست سيئة، ولكن الظروف هي السيئة، التي جعلتني ألتقي بها بمثل هذا الحال** "[3]. ومع انتشار الفقر والبطالة في المجتمع الفلسطيني بعد الحرب، قل إقبال الشباب على الزواج، وأصبح الواحد منهم يبحث عن لقمة الخبز، فأصبحت المرأة ضحية للعنوسة، وعدم الزواج، والاغتصاب واستغلال الرجال للأوضاع التي كانت بعد الحرب، ومع انتشار هذا الوضع في المجتمع الفلسطيني، بدأ الخوف يدب بين أوساط الأهل، الذين بدأوا يبحثون لبناتهم عن الزوج المناسب، فهذا والد سحر لا يخفي للراوي أنه يريد تزويجه ابنته، يقول:" **بناتي يسألنني عنك كثيرا، وأمهم تقول إنك غامض، وغريب الأطوار، فسألته باهتمام:**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص195.

[2] السابق، ص266.

[3] السابق، ص273.

وأنت ماذا تقول؟ فقال وملامحه يفترشها الدهش: وأنا أعتبرك مثل ابني، وأكثر إذا أمكن، وسألت نفسي بهمس: هل يبحث عن زوج لبناته في هذا الزمن الذي يبدو كالصحراء "[1].

ونجد صبيحة تعرض نفسها على الراوي لتقنعه أنها عروسه المناسبة، ولا تجد حرجا في الحديث عن زواجها منه، تقول:" **بيقولوا إنك لقطة، مش فاهمة ليش؟ فقلت: أما أنا فأقول هنيئا لي فاهمة، وضحكت، وضحكت، وقالت وهي تضحك ضحكتها الآسرة: إحنا الاثنين لايقين لبعضنا، مش هيك؟ فقلت وأنا أضغط على أطراف أصابعها: أيوه هيك أنا "[2].**

وتقع سحر ضحية اغتصاب من صديق زوجها، فبعد أن اغتصبها ذهب إلى زوجها، وروى له أن سحر منحلة أخلاقيا، وغير مخلصة، فيقرر زوجها أن يطلقها بوساطة من صديقه، فتصبح سحر مطلقة، والسبب في ذلك صديق زوجها الذي اغتصبها، ويدخل الراوي في حوار مع سحر متسائلا: " **ألم يعلم زوجك السابق بما حصل مع صديقه في بيته؟ فقالت وهي تضحك بسخرية: لم أقل له، ولكن يخيل لي أنها كانت مؤامرة من الصديق، اغتصبني ثم ذهب إليه، وروى له ما حدث، من منطلق أنني امرأة منحلة لا أخلاق لها "[3].**

وهذه جوهرة تقع ضحية اغتصاب في ليلة عرسها، ويولد ذلك الحزن والأسى في نفسها، وهي لا تعلم من اغتصبها، في بلاد عمت فيها الفوضى، وكثر الذين يعتدون على أعراض النساء، وقد مثل اغتصاب النساء في روايات لوباني، اغتصاب الأرض وانتهاك حرمتها، فكثرت ضحايا الاغتصاب في القسم الأول من رسائله (السقوط)، وذلك تزامنا مع اغتصاب الأرض، وانتهاك حرمتها، يقول الراوي عن جوهرة:" **وبكت بصوت عال أيقظ الجيران لأنها اغتصبت في ليلة عرسها، وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وسألتها من كان؟ فقالت وهي تنشج بصوت عال: ليتني عرفت، لثأرت لبنات جنسي منذ آدم وحواء "[4].**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص303.

[2] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص112.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص78.

[4] السابق، ص121.

وأحست المرأة بعد الحرب أنها ضحية الاغتصاب، فهي تغتصب كل يوم دون أن يساعدها أحد، أو ينقذها من مغتصبها، فهذه امرأة تشكو إلى راعي طائفتها، أن جارها يغتصبها كل يوم، لتجد أن الراهب نفسه أكثر وضاعة من جارها المغتصِب، فتعيش حالة من الأسى والضعف أمام هذا الموقف، " **فقالت له واحدة من رعاياه: جاري يغتصبني كل ليلة يا أبونا، فسألها: وماذا تريدينمني؟ فقالت له باكية: أن تمنعه، أنت أبونا وراعي طائفتنا، فقال ضاحكا: لو كنت قادرا لجئت إليك واغتصبتك أنا أيضا يا فاجرة** "[1].

ولم يكن اغتصاب المرأة من ذوي القربى فقط، بل اقترف الصهاينة جرائم اغتصاب ضد النساء الفلسطينيات، وراجت الإشاعات بين أوساط الفلسطينيين، وبدأت المرأة الأم تخاف على بناتها، " **وجاء من يروي أنهم اغتصبوا امرأة عجوزا في عكا أمام زوجها العجوز وبناتها العذارى، ثم اغتصبوا البنات أمامها واحدة بعد الأخرى، وبعد خروجهم، قام الرجل العجوز وصب الكاز في أنحاء البيت، وأحرقه بما فيه** "[2].

وهكذا وجدت المرأة نفسها ضحية أمام مجتمع لا يرحم، انتشرت فيه كل أسباب السقوط، ضحية لعدو حلل لنفسه كل الموبقات، التي حرمت، لذلك تحملت المرأة الفلسطينية جزءا كبيرا من المسؤولية، وكافحت وناضلت لتظل محافظة على وجودها في المجتمع، ولم تكن تضحية المرأة أقل شأنا من تضحية الرجل، فقد شاركت الرجل في كل المحن التي مرت على فلسطين، وكان عرضها وهو أغلى ما تملك منتهكا، ومع ذلك صبرت حتى وصلت بنفسها إلى بر الأمان. ويريد عيسى لوباني في توظيفه لتضحية المرأة أن يقول: إن المرأة التي كانت ضحية مجتمعها، كان وضعها سببا من أسباب الهزيمة، فعندما أصبحت مستغلة ومغتصبة، جاء من يغتصب الأرض ويشرد أهلها، فيكشف لوباني سببا من أسباب الهزيمة التى ألمت بالفلسطينيين.

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص131.

[2] السابق، ص341.

المطلب الثاني: المرأة الرمز

لقد وجد بعض الروائيين في المرأة رمزا للوطن، فلم يفصلوا بين الوطن والمرأة، فلجأوا إلى الرمز في التعبير عن قضايا الوطن، وقد رأى زكي العيلة هذا فكتب أن السبب " ليس إحساسا من الروائيين الفلسطينيين بعدم قدرة اللغة على التعبير عما في نفوسهم، أو هربا من الواقع إلى عالم غيبي، مليء بالأوهام والأحلام، ولكن لأنهم عالجوا موضوعات واقعية حساسة، لم يكن بإمكانهم التعبير عنها بوضوح ومباشرة، دون التعرض للاضطهاد والأذى "[1]، ولقد فرضت طبيعة الواقع الذي يعيشه الروائيون والأدباء تحت الاحتلال من ظلم وقهر وملاحقة، اللجوء إلى الرمز؛ لأنه أكثر الوسائل قدرة على التعبير دون التعرض للأذى والملاحقة، ولقد عانى عيسى لوباني من ملاحقة السلطات الصهيونية، فبسبب قصيدة شعرية تم فصله من سلك التعليم، فعندما كتب الرواية لجأ إلى الرمز في التعبير عن الوطن، ففي أكثر من موضع من رواياته، يلمح إلى أن المرأة هي الوطن، والعكس صحيح، بل يصل في بعض المواضع إلى التصريح بذلك.

إن فاطمة حب الراوي الأول، نجد أنها اختفت مع سقوط فلسطين بأيدي الصهاينة، وظل الراوي يبحث عنها في مراحل النكبة وما بعدها، فيرمز لوباني لفاطمة بالوطن، فهو مستعد لأن يدفع أغلى ثمن لأجلها؛ لأنه يحبها كثيرا، يقول:" **وأخرجت من العلبة الكرتون شالا أزرق، ونقدته ثمنه، ومضيت، فصاح: يا هذا؟ الثمن أقل مما دفعت بكثير، فعدت وهمست بصوت لا يمكن أن تسمعه سوى نملة: إنني أحبها، وأحبها حتى العبادة، ادع لي يا سيدي الشيخ** "[2].

إن فاطمة هي الوطن الذي انتظر الراوي عودته طويلا، هي الشباك الذي أغلق، ليحل محله عنكبوت لئيم بنى خيوطه فيه، ولا يخفي انتظاره لفاطمة، حتى وهو في بلاد الغربة، فبعودة فاطمة يعود الوطن، يقول: " **فوجدت شباكا مغلقا وخيوط عنكبوت لئيم، قد بنى عليه**

---

[1] العيلة، زكي: **المرأة في الرواية الفلسطينية**، فلسطين، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، ط1، 2003، ص 133،134.

[2] لوباني،عيسى: **السقوط**، ص59.

بيته فصرخت، فقالت أمي بأسى: رحلت يا ابني، فسألت بوجع مهاجر عاد إلى وطنه فلم يجد وطنا: لماذا؟ انتظرتها في غربتي، قالت: وانتظرتك كثيرا حتى يئست، قلت وأنا أتلوى: لو كان الحب صادقا لما كان اليأس "[1]. ويجعل لوباني فاطمة محبوبة الكل، فهم يحبونها كثيرا، ففاطمة التي ضاعت هي الوطن الذي فقده الفلسطينيون في غفلة من الزمن، الكل يحبها، والكل يبحث عنها، لعلهم يجدونها في يوم من الأيام فلا عجب أن تكون محبوبة قاسم هي محبوبة الراوي، وتحمل الاسم نفسه، " **فسأل: ما اسمها؟ فقلت بخجل: فاطمة، فثار ثورة عصماء وصرخ: مش ممكن إنه اسم حبيبتي ! إنك تسرقه، فقلت: هون عليك، إذا كتفي على كتفك ولنبحث عنها معا، لعلي أكون أفضل حظا منك يا قاسم** "[2]. ولقد أصبحت فاطمة عشيقة الراوي التي أحبها دائما، فهي الوطن الذي يعيش فيه، وهي السماء التي ينظر إليها، وهي أغلى ما يملك في حياته، إلا أن فاطمة جاء من يلتهمها بحقده، ويهتك عرضها الذي هو أغلى ما تملك، فعندما يسأل الراوي عن عشيقته، يقول بأن الغول – ويقصد المحتل الإسرائيلي– قد التهمها منذ زمن بعيد، يقول:" **وألحت في السؤال: وأين عشيقتك؟ فقلت والعاشق يجب أن يفضفض: رحلت، رحلت، فاشرأب وجهها وعنقها، وكل ذرة في جسدها الشهي، وسألت إلى أين؟ فقلت بنفاد صبر: لا أعرف، وألحت، وأصرت فقلت لهفها الغول إلى سراياه، وافتض بكارتها، وأنجب منها بنات وبنين** "[3].

ووظف لوباني في رواياته عددا كبيرا من النساء وهن: فاطمة، وسمر، وصابرين، ورحمة، وجوهرة، وغيرهن، ونجد أن الراوي فقد هؤلاء النسوة جميعا، وإن ضياع هؤلاء النسوة يمثل ضياع فلسطين، جزءا جزءا، فكما خسر هؤلاء النسوة، خسر الفلسطينيون فلسطين وأضاعوها مدينة تلو الأخرى، يقول:" **جبران أحب واحدة اسمها سلمى كرامة، فلماذا لا تكون رمزا لشيء أكبر من كونها امرأة ذات لحم ودم وجسد؟ لماذا لا تكون رمزا لوطن مسحوق تحت الاحتلال؟ وفطنت إلى أن لبنان في ذلك الحين كان يرزح تحت نير الاحتلال التركي،**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص 60.

[2] السابق، ص67.

[3] السابق، ص 91،92.

ويموت جوعا، واستمرت الفكرة، وهمست: وبلدي يرزح تحت الاحتلال منذ حين، وقد فقدت فاطمة، وضاعت جوهرة، وها هي سحر توشك أن تضيع من يدي، وصابرين أيضا "[1].

ويرمز عيسى لوباني إلى أم الخير بالوطن الذي بقي مكانه وغادره سكانه إلى بلاد لم يألفوها، وأرض لم يعرفوها، يقول السمهوري: " **شايف يا ابني أم الخير وأبو الخير بقيوا هون، عارف ليش؟ لأنهم لم يستطيعوا الهرب، المقتدر هرب، والي مش مقتدر بقي هون** "[2]، إن ما يجعل أم الخير رمزا للوطن، هو عمرها الذي يقدر بآلاف السنين، وكذلك تواجدها في كل معلم من معالم فلسطين، يقول السمهوري:" **أم الخير عمرها آلاف السنين، وعمرها عشرين سنة في نفس الوقت، أم الخير ختيارة وعقل كبير، أم الخير صبية، وقلب يفيض عشقا وصبابة، أم الخير حكمة، أم الخير الرعونة، فاهم يا ابني، ابحث عنها تجدها في كل مكان، عند دوار الساعة، وفي الميناء، وفي حي العجمي، وعلى الشاطئ تغازل الصيادين**"[3]، ويدخل الراوي في حوار مع أم الخير، وقد رآها عارية تماما، وهذا ما حصل مع فلسطين بعد النكبة، فيسألها الراوي عن سبب عدم سترها لعورتها، فتقول: التي تغتصب مرة لا تخشى الاغتصاب مرات ومرات، فتلاحقت الهزائم بعد النكبة، فيسأل الراوي أم الخير:" **لماذا لا تسترين عورتك في هذا الليل المضيء؟ قالت ووجهها إلى البحر الصاخب: التي تغتصب مرة لا تخشى الاغتصاب مرات**"[4].

وفي رواية (شمس وقمر) تمثل " شمس فلسطين الواقع الذي ضاع، وقمر فلسطين الظل عبر المرآة السوداء، والذي لا خيار لنا في حبه؛ لأنه هو فقط ما تبقى لنا، وهل كان للكاتب / الراوي خيار في حب قمر بعد فقدانه لشمس"[5]، وعندما يتحدث الراوي عن روجينا وبولين، وشمس وقمر، إنما يتحدث عن الوطن الضائع، ولقد فهم مضيف الراوي ذلك، فقال له:" **أنا**

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص53.

[2] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص10.

[3] السابق، ص 12.

[4] السابق، ص16.

[5] هيبي، محمد: مقال بعنوان "شمس وقمر وعيسى لوباتي الطائر القلق والعاشق المأزوم"، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة www.aljabha.org

فهمتك منذ اللحظة الأولى، وحديثك عن روجينا وبولين لم يكن إلا حديثا عن شـــمس وقمـــر، وعن حيفا ويافا والقدس وغزة، وتنهد طويلا ثم شرع يدندن بصوت متهدج حزين: ســـنرجع يوما إلى حينا"[1].

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص65.

المبحث السادس

صورة الآخر

بعد الكارثة التي حلت بفلسطين في العام 1948 كان لزاما على الفلسطيني أن يحتك بشعوب مختلفة، فالفلسطيني الذي شرد من أرضه أصبح في احتكاك مع الدول التي لجأ إليها، والذي بقي في فلسطين أصبح عليه أن يتعايش مع عنصر جديد فيها وهم اليهود، فبدأ الأدباء يصفون الجوانب الإيجابية والسلبية خلال هذا الاحتكاك، مما جعل الصورة واضحة من خلال المعايشة اليومية.

المطلب الأول: صورة اليهود

أنتجت حرب العام 1948م على فلسطين جسما جديدا لم يكن من قبل، فالكيان الصهيوني بعد الحرب، أصبح أمرا واقعا ومفروضا، وأصبح على الفلسطيني أن يحتك في حياته اليومية مع الشخصيات اليهودية، وبما أن الرواية الفلسطينية تصف الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون، فقد وصفت احتكاكهم بالشخصيات اليهودية، وأظهرت الجوانب السلبية والإيجابية في هذا الاحتكاك، ويرى عادل الأسطة:" أن الكتابة عن اليهود عموما أخذت تنحو منحى آخر، تمثل في الكتابة عن شخصيات تمثل السلطة ولا تمثل اليهود قاطبة. وليس غريبا والحال هذه أن نعثر على شخصيات يهودية طيبة كانت في بعض مواقفها ضحية كذب السلطة وخداعها"[1]، وإن ما يميز روايات عيسى لوباني وصفه لصورة اليهود فيها، فهو يميز بين يهودي السلطة العنصري، واليهود العاديين الذين كانوا ضحايا للحركة الصهيونية، لذلك يلعب كشف الشخصية اليهودية في رواياته دورا مهما، فهو يميط اللثام عن الصراع الحقيقي الذي يعيشه الفلسطينيون، وغلبت صورة اليهودي العنصري، والحاكم المستبد على رواياته، ولذلك ليس من الغريب " أن تظهر في الروايات الفلسطينية، قسوة يهودي السلطة واستبداده، فهو يتشرب منذ نعومة أظفاره كراهيته للعرب، وأحقيته بامتلاك أرض ليست له، وإذلال العرب"[2]، ولقد قدمت رواية الأرض المحتلة

---

[1] الأسطة، عادل: **اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط1، 1992، ص73.

[2] الخطيب، جهينة عمر: **تطور الرواية العربية في فلسطين 48**، ص114،115.

صورة واضحة لليهود، فالروائيون الفلسطينيون هم الأقرب من هذه الشخصيات، فمن الطبيعي أن يكونوا الأقدر على وصفها، من خلال ممارساتها على أرض الواقع، " وإن رواية الأرض المحتلة تنفرد بجدارة في تقديم الشخصيات اليهودية، متجاوزة بذلك الرواية العربية، بل شقيقتها الرواية الفلسطينية في المنفى"[1].

لقد ظلت العدائية التي يتمتع بها اليهود بالنسبة للفلسطيني، مجرد أخبار يتناقلها العالم، إلى أن احتل الصهاينة فلسطين، حين ذلك تبين للفلسطينيين مدى هذه العدائية وقسوتها، فأصبح التعبير عنها من الروائيين الفلسطينيين أسهل بكثير؛ لأن الواقع الذي يعيشونه في احتكاك دائم مع الصهاينة، " وهنا نود أن نسجل أن تصوير الشخصية اليهودية في الرواية الفلسطينية، كان منسجما مع الدراسات التاريخية حول هذه الشخصيات، ومع بعض صورها في الآداب الأوروبية، وأيضا كما عرفها الواقع الفلسطيني، فلقد أتيحت للمواطن العربي الفلسطيني فرصة طويلة زمنيا، لمعرفة هذه الشخصيات عن قرب، وعلى أرض الواقع"[2].

لم يرسم عيسى لوباني في القسم الأول من الرسائل (السقوط) صورة اليهود من الخارج، بل كان التركيز من الروائيين على معاناة الإنسان الفلسطيني ومأساته، أما في القسم الثاني من الرسائل (القلق) فقد كانت الصورة أوضح، فقدم صورة مقنعة للقارئ قي هذا القسم، وقد طغت السلبية على معظم الشخصيات اليهودية، باستثناء بعض الشخصيات التي قدم لها لوباني صورة إيجابية، من خلال موقفها من الحرب على فلسطين، فبعض الشخصيات اليهودية كانت ترفض الحرب على فلسطين، والسيطرة عليها، ولكن هذا الصوت في روايات لوباني كان خافتا إلى حد ما.

لقد حرص الصهاينة بعد الحرب عام 1948م على فرض السيطرة على الأرض بالقوة، فلزم ذلك أساليب ترهيبية لإرهاب الفلسطينيين، وإحكام السيطرة على الأرض التي كسبوها في الحرب، فكان السجن، والقتل والتعذيب، والملاحقة الأمنية للمواطنين الفلسطينيين، ومن خلال

---

[1] عودة، علي محمد: **دراسات في الرواية الفلسطينية**، ص75.

[2] أبو مطر، أحمد: **الرواية في الأدب الفلسطيني**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980 م، ص 362.

هذه الأعمال كشفت الشخصية الحقيقية للصهاينة، وأصبحت أكثر اتضاحا من ذي قبل، فلقي الفلسطينيون أهوالا لا يتحملها بشر، فهب الروائيون لتقديم العون للمقهورين والمضطهدين، فبدأوا بكشف جوانب العدائية في هذه الشخصيات، وتقديمها للعالم؛ لفضح ممارسات الاحتلال، ونلحظ في روايات الأرض المحتلة وصف الشخصيات اليهودية من الخارج، دون التعمق في نفسيتها، ويبدو أن الهدف الرئيس للروائي الفلسطيني في تلك الفترة هو الكشف عن مأساة الفلسطيني التي خلفتها الحرب، أكثر من التعمق في الشخصيات اليهودية، وهذا ما جعل عيسى لوباني في القسم الأول من الرسائل يهتم بالفلسطيني ومأساته، أكثر من اليهودي وعدائه، وقد انقسمت الشخصية اليهودية في روايات لوباني إلي قسمين أساسيين هما:

المطلب الثاني: اليهودي السلبي

لقد كان القتل وسيلة الإرهاب المتميزة للصهاينة، فمن خلاله يحققون وجودهم، ويسيطرون على الأرض التي كسبوها في الحرب، فأصبح القتل سلعة متداولة يبيعها الصهاينة في تعاملهم مع الفلسطينيين، فأن يشك في أمرك فهذا مبرر لقتلك، فهذا مستوطن صهيوني يقتل صبيا فلسطينيا، لمجرد أنه يشك في نيته أنه يريد قتله، من هنا نجد أن " الشخصية اليهودية الإسرائيلية تعبر عن طاقات الحقد والشر، والرغبة في الإيذاء البدني؛ لتفريغ شحنات مكبوتة، أيقظها الصراع العربي الإسرائيلي"[1]، " **فقد جاء من قال: إن صبيا عمره خمسة عشر عاما قتل في حارة الأرمن، قتله مستوطن هناك، شك في أمره فاستل مسدسه، وأطلق النار عليه، وبقي واقفا فوق رأسه حتى لفظ أنفاسه، وحينما سألته الشرطة: لماذا فعلت ما فعلت؟ قال: كان في نيته قتلي، وألحوا بالسؤال، فقال: كل عربي مرشح لأن يقتل فقتلته**"[2]. فلمجرد أن هذا الصبي عربي فلسطيني، فهذا مبرر لقتله؛ لأن اليهودي يحمل فكرة داخل عقله أن هذا الفلسطيني يمكن أن يقتله في يوم من الأيام، فولد هذا الحقد الصهيوني، حالة من الفزع داخل المجتمع الفلسطيني، مما دفع سوزان إلى التفكير في تغيير لغة الفلسطيني، لتفادي هذا الإجرام، " **قال الشيخ صاحب**

---

[1] زعرب، صبحيه عودة: **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني**، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2006م، ص191.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص90.

الفندق وقد ارتعدت فرائضه: كلنا مرشحون للقتل، فقالت سوزانا: فلنغير لغتنا، فصحت بها مستنكرا: وكيف نغير ملامحنا؟!"[1].

إن جرائم القتل والاغتصاب التي ارتكبها الصهاينة خلال وبعد الحرب، ولدت حالة من الهلع في قلوب الفلسطينيين، فالصهيوني المحتل لا يتورع عن قتل طفل بدم بارد، أو اغتصاب امرأة، أو قتل شيخ كبير في السن، فبدأ بعض الفلسطينيين يبحثون عن النجاة لنفسهم ولعيالهم، فدفعت هذه الجرائم عددا لا بأس به إلى الهجرة للدول المجاورة، " **قال شيخ كهل طاعن في السن في ساحة البلدية، وهو يلوح بعصاه: النساء والأطفال أولا يا ناس، وقال آخر وعرقه يتصبب، وفرائضه ترتعد: إنهم يغتصبون النساء، ويقتلون الأطفال، فما العمل؟ "[2].**

حرص الصهاينة خلال الحرب على اقتراف كل الموبقات،فنشروا الشائعات عن ارتكاب المجازر، وقتل الأطفال، واغتصاب النساء، وكان الهدف من ذلك ترحيل الفلسطينيين، وإفراغ الأرض من ساكنيها، فالغاية عند الصهاينة تبرر الوسيلة، فلا ضير في القتل والاغتصاب والمجازر، إذا كان الهدف السيطرة على أرض فلسطين، وترحيل أهلها، فدفعت هذه الشائعات أعدادا كبيرة من الفلسطينيين إلى ترك الأرض؛ خوفا على الأطفال والنساء، والشائعات زمن الحرب كالنار في الهشيم، يتناقلها الناس كلمح البصر، وكان هذا بالطبع هو الهدف من ارتكاب المجازر، وهو إرهاب الفلسطينيين، ودفعهم إلى الرحيل، وعندما يكون الفلسطيني مهزوما من الداخل، فكل خبر ينقل يدفعه إلى الهلع والخوف، " **والمدهش والمثير حقا أنك حيثما نظرت لا ترى سوى علامات الهزيمة، وحيثما أصغيت لا تسمع سوى أصوات الانهيار، والرغبة في الرحيل؛ لأن اليهود يذبحون ويقتلون، ويغتصبون النساء، والخوف مثل تيار الهواء لا يمكن إيقافه، ويتسرب بلطف إلى مسام الجلد"[3].**

وفي زمن الحرب يصبح الحقد متبادلا، حقد الفلسطيني على من اغتصب أرضه وشرد أهله، وحقد الصهاينة على الفلسطيني الذي يدافع عن أهله، وحقه في العيش داخل أرضه، وقد

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص90.

[2] السابق، ص 153.

[3] السابق، ص187.

ولد ذلك حالات من القتل المتبادل، فقد اختطف بعض المسلحين الفلسطينيين مستوطنا وقتلوه أثناء عودته من عمله ليلا، وهذا دفع المستوطنين إلى اختطاف فلاحين بالقرب من إحدى المستوطنات، ليعودا جثتين هامدتين بعد ذلك، يقول الراوي:" **وجرت مفاوضات حقيقية لإعادتهما سالمين، وعادوا ولكن جثتين، في كيسين ملطخين بالدماء، وقد مثل بهما كما مثل بجثة ذلك اليهودي المسكين، فقلت حينذاك بصوت عال: العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم** "[1].

وأصبح الفلسطيني خلال الحرب في حيرة من أمره، أيرحل إلى مكان أكثر أمنا؟ أم يظل متمسكا بأرضه؟ فالمجازر التي يرتكبها الصهاينة في فلسطين يصل صداها إلى أسماع الفلسطينيين، فلم يكن الفلسطينيون في مثل الحيرة التي كانت في عام 1948، كما يقول والد الراوي، أما والدة الراوي فتفضل الرحيل قبل أن ينالهم نصيب من هذه المجازر، التي يرتكبها الصهاينة. يقول الراوي:" **والشائعات على كل لسان عن مجازر ترتكب هنا وهناك، كانت الصورة قاتمة قتامه الليل، ومبهظة كحجر رحى يجثم على الصدر والكتفين، فتئن القلوب والصدور، قالت والدتي بنواح: مش كان أفضل لو رحلنا مثل الآخرين؟ فقال والدي بانفعال: والله ما أنا عارف الصح من الغلط، عمري ما كنت بمثل هذه الحالة** "[2].

كان الا حتلال حريصا على بث الرعب في نفوس الفلسطينيين، من خلال الشائعات عن القتل والاغتصاب، فولد ذلك ذعرا في نفوس الناس على بناتهم، وبدأ الآباء يبحثون لبناتهم عن زوج، خوفا من شائعات الاغتصاب، وانتهاك العرض " **العصر عندي أربع بنات في سن الزواج، فمن يريد الزواج على سنة الله ورسوله فليأت إلي قبل أن يغتصبهن التنين** "[3].

وبعد سيطرة اليهود على فلسطين سرقوا كل شيء يخص الفلسطينيين، فالفلسطيني الذي تعب في أرضه، وسهر عليها الليالي، وجد نفسه أجيرا عند هؤلاء السارقين، فكل ما يملكه

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص276.

[2] السابق، ص312.

[3] السابق، ص327.

أصبح للصهاينة، وقد كسبوه بقوة سلاحهم، وجرائمهم التي ارتكبوها، يقول الراوي لصابرين:" **أحيانا أحس أني أسرق يا صابرين؟ فقالت: مش فاهمة بتسرق مين؟ فقلت: أهل هذه البلد تعبوا وشقيوا، وبعدين جينا إحنا وأخذنا تعبهم، فقالت بلا مبالاة: إحنا بنسرقش، اليهود سرقوا كل شيء، وإحنا بنشتغل عندهم بقروش** "[1].

وبالرغم من عمل الراوي لدى الصهاينة، بسبب البطالة والفقر، إلا أنه لم يخف حقده عليهم؛ لأنهم حرموا الفلسطينيين من أرضهم وخيراتها، وسرقوها بقوة عسكرهم، فالراوي يجد في تبوله طريقا للانتقام من الصهاينة، فذلك أضعف ما يملك، وخصوصا مع فقدان الفلسطيني كل مقومات القوة التي يمكن أن يدافع من خلالها عن أرضه، " **وبلت بغزارة أدهشتها فهمست: مالك من جمعة لم تبل، فقلت لا بس أردت أن أبول كثيرا على اليهود، وعلى عساكرهم، إللي سرقوا هاي البلاد بخيراتها، فحرموا أبناءها من تعبهم، فقالت بحقد: والله صحيح** "[2].

لقد وصلت الفظاعة في مجازر الصهاينة خلال الحرب إلى قتل الزوج والأولاد أمام أمهم، فتتوسل للجنود بأن يقتلوها قبل زوجها وأولادها، فيرفض الجنود ذلك، لتعيش المرأة قمة المأساة، أمام وحوش نزعت لباس إنسانيتها، وباعته بثمن بخس، ليظهر الراوي مدى انحطاط الصهاينة، وتلذذهم في تعذيب الفلسطينيين، والانتقام منهم، يقول الراوي:" **قيل لي في ما بعد أن امرأة في اللد توسلت إلى الجنود أن يقتلوها أولا، قبل أن يقتلوا زوجها وأولادها، ولكنهم أصروا على غير ذلك، لتموت مرتين، الموت شنيع وفظيع، ولكن الأشنع منه والأفظع أن تراه بعينيك، يرتكب ضد أقرب الناس إليك كالابن والابنة، وخصوصا إذا كانوا أطفالا** "[3].

وتبلغ الدناءة في المحتل الإسرائيلي حد عدم السماح للفلسطينيين بدفن ضحايا المجازر التي ارتكبت، فتظل هذه الجثث في البيوت، حتى بعد أشهر من الجريمة، في مشهد لا يمكن لبشر أن يسمح به أن يحصل، ولكن حينما تكون الحرب تضيع الإنسانية على فوهات البنادق،

---

[1] لوباني، عيسى،**القلق**، ص46.

[2] السابق، ص48.

[3] السابق، ص114.

فلقد علم الراوي بوجود بعض الجثث داخل البيوت فلم يصدق ذلك، ويقول:" **ولما تأكدت مما قيل، ذهلت وتساءلت بدهشة: معقول بعد أشهر يوجد أموات في البيوت، لا سيما وقد مضى على سقوط المدينة المنكوبة أشهر؟ وخرجت وبحثت عن بعض السكان الأصليين، ذوي الحيثية والمكانة فلم أجد أحدا، وبالرغم من ذلك صرخت في بعض الوجوه المذهولة: تتركون موتاكم يتعفنون ماذا جرى لكم؟ فهمس لي أحدهم، وكان طاعنا في السن: وهل كانوا يسمحون لنا للخروج من بيوتنا لندفنهم؟! "**[1].

ويبدو أن ما لاقاه اليهودي في أوروبا من الجيتو والعزلة، أراد تطبيقه على الفلسطينيين، فوضعوا الفلسطينيين في اللد داخل جيتو، ومنعوهم من الخروج منه، ومن التواصل مع الآخرين، يقول راضي أبو دقة للراوي:" **جئت إلى هنا في بداية الستينات من محطة سكة الحديد، حيث كنت أسكن، والمحطة هي المجمع الثاني للعرب هنا، بعد السكنة العربية،الجيتو للعرب الذي أقاموه في عام 1948**"[2]، وبقي من بقي من الفلسطينيين داخل هذا الجيتو، ومنعوا من التواصل مع الآخرين، وقسم منهم لجأ إلى الضفة الغربية، والبعض الآخر لجأ إلى دول مختلفة، ولقد شكل حرس من الصهاينة لحراسة هذه المدينة من الفلسطينيين الذين لجأوا إلى مدينة رام الله، لئلا يعودوا إليها مجددا، فتعود فتاتان من رام الله إلى اللد، لتبحثا عن لباس يقيهما برد الشتاء، ليكون مصيرهما القتل والاغتصاب، يقول الراوي:" **فاغتصبتا أولا شر اغتصاب، ثم قتلتا، وقد أحضرت جثتاهما إلى اللد ودفنتا سرا "**[3].

أما الصورة الأخرى التي يرسمها لوباني لليهودي، ذلك اليهودي الذي لا يغار على عرضه وعلى زوجته، فهو يقبل لزوجته أن تضاجع الآخرين، لمجرد أنها لا تتمتع معه في حياتها الزوجية، فعندما أحست (مونيكا) أن زوجها (سوما) قد عرف بعلاقتها مع الراوي، قال كنت انتظر ذلك، ولا يهم هذا اليهودي سوى المحافظة على مركز زوجته ومركزه، وأن لا ينفضح الموضوع للآخرين، تقول مونيكا:" **إلى أن كان ذات ليلة وقد انقشعت غمامة حيرتي**

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص 122.

[2] السابق، ص198.

[3] السابق، ص230.

وقلت له: يبدو أنني، فقاطعني وهو يلاطف رقبتي بأنامله الخشنة: تحبينه؟! فأجفلت وانفجرت بالبكاء، فمسح دموعي وقال مضيفا: كنت أنتظر ذلك، وحكيت له كيف حدث ولماذا؟ فقال وكأنه يتحدث عن موضوع غريب عليه وعلى نفسه: لا بأس، ولكن حافظي على نفسك وعلى مركزك "[1].

ومن السياسات الإجرامية التي اتبعها اليهود في تعذيب الفلسطينيين، سياسة الاعتقال والتعذيب، فأحيانا يسجن الإنسان الفلسطيني ويعذب دونما ذنب اقترفه، ولمجرد الشك، يكون الفلسطيني عرضة للتعذيب والاعتقال، وهذا تماما ما حصل مع سعيد، فقد تعرض للاعتقال والتعذيب، لمجرد أن وشى به أحد العملاء، فذاق داخل السجن مرارة المعاناة وقسوتها، يقول الضابط: " **خذوه واجعلوا أعضاءه تتكلم**"[2]، ولقد كان الذين يخرجون من السجن يروون تفاصيل عن اعتقالهم، تقشعر لها الأبدان، فالمهم في السجن أن تظل على قيد الحياة، وأن تبقى صامدا. يقول الراوي:" **سمع الأستاذ سعيد ممن خرجوا من السجون والمعتقلات، أن المهم البقاء حيا، والمحافظة على نبض الإرادة مستمرا؛ لمقاومة لحظات الضعف، وخصوصا في غرف التعذيب الغامضة**"[3]. ولم يراع الصهاينة حرمة للإنسان، فالإنسان الفلسطيني عرضة لشتى أنواع التعذيب، التي لا تخطر على قلب بشر، وفي ظل الحرب تنتهك كرامة الإنسان، ولا رقيب ولا حسيب على تصرفات الصهاينة، فلقد عذب الأستاذ سعيد في المعتقل بصورة وحشية، فيجرد من ملابسه، ويصعق بالكهرباء في أكثر المناطق حساسية من جسمه، إلى إن يبول بين قدميه، يقول الراوي:" **ولف على عضوه التناسلي سلكا أحس ببرودة السلك على مسام عضوه فارتعش، وبعد لحظات أحس برعدة تنتابه، وخصوصا في الجزء الأسفل من جذعه، وأحس فجأة باحتقان ما في عضوه التناسلي، فبال بين قدميه بدون إرادة، وتوالت الرعدات واشتدت،وازدادت وتيرتها** "[4]، وفي السجن كذلك يتعرض سعيد للضرب بالعصي، دون أن يعلم عدد هذه العصي، والسبب في ذلك عصا وقعت على رأسه من معذبه، يقول سعيد:" **عصا نازلة**

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص200.

[2] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص60.

[3] السابق، ص62.

[4] السابق، ص64.

وعصا طالعة، واحدة على الكتف، وواحدة على الظهر، صدقني مرة حاولت أعد حتى أنسى الوجع بس تهت وضيعت العد، والسبب واحدة سقطت على نافوخي، شيء لمع في رأسي، وغبت عن الوعي"[1].

ويبلغ التعذيب للإنسان الفلسطيني ذروته، حينما يحس أنه ملاحق في كل شيء، فيما يقرأ، وفيما يكتب، في حركاته، وفي سكناته، حتى كراسات التحضير التي كان الراوي يحضرها للطلاب، والكتب التي يقرأها لهم، ومن الذي اختارها؟ فيتحدث الراوي عن أساليب المطاردة قائلا: " **مثل حضور دروسي باستمرار، ومراقبة كراس التحضير باستمرار، ومناقشتي في مضمون بعض الكتب التي يقرأها الطلاب، ومن الذي اختارها؟ ولماذا؟ الإحساس بأنك مراقب، وتدور في حلقة من التوتر، بأنك لا تتنفس بحرية، حتى الكتب التي تقرأها، فقد تكون من الممنوعات، وفي تلك الأيام كان كل شيء ممنوعا، وكل شيء أقضنا حتى الأنفاس** "[2].

ولم يكتف الصهاينة بالعدوان الجسدي في تعاملهم مع الفلسطينيين، بل لجأوا إلى العدوان اللفظي، فتوجه الشتائم للفلسطينيين، وتنتهك كرامتهم الإنسانية، ويتعرضون للإهانة، فسعيد الذي تعرض لشتى أنواع التعذيب، يتعرض كذلك للشتائم من الضابط الصهيوني، لمجرد أن تكلم بكلمة واحدة، " **فقال الأستاذ سعيد بصلابة، وبهمس لا يكاد يسمع: إنكم تحرثون في بحر يا كلاب، واستغرب المحقق كلامه، فصرخ به بصوت شبيه برصاص الدمدم: سنزرعك في البحر، يا كلب يا ابن الكلب** "[3]، فسعيد الذي يقرر بيع البيض في المدينة، يتعرض لمؤامرة خطيرة من امرأة يهودية، ركلت سلة البيض، واتهمته بشتمها، ثم تشتمه، فيسألها سعيد: " **ليش هيك يا ست؟ قالت لي وعيناها تقدح شررا: لأنك وسخ، عربي وسخ، روح من هون، ورحت من هون، فلم أشتمها، ولم أقل لها شيئا، وبقيت تسبني بلغة غربية لا أفهمها** "[4]، وعندما يعتقل سعيد يجد ضابطا أسوأ من المرأة التي شتمته وأهانته، فيبدأ بالسخرية منه، وشتم والدته بأسوأ الألفاظ،

---

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص113.

[2] السابق، ص187.

[3] السابق، ص60.

[4] السابق، ص227.

يقول الضابط:" **سيبوه، نريده حيا لنصنع منه صابونا على كيفنا، وأضاف بسخرية، وهو يركلني في خاصرتي، وأنا ملقى على الأرض: كنت تبيع البيض ولا الصابون يا ابن القحبة، وبكيت لأنه شتم والدتي، وقلت: والله إني بريء** "[1].

أما حينما يطلب سعيد طعاما ليطفئ جوعه، يلاقى بشتائم أكبر، ويظهرالضابط عداوة للفلسطينيين، تتبع من معاملة هتلر لليهود، فاليهودي يريد أن يفعل بالفلسطيني كما فعل هتلر، وكأن الفلسطينيين شاركوا مع هتلر في تعذيب اليهود، " **فقال الضابط الموكل بالتحقيق معي إلى آخر كان يجلس على طاولة قريبة: شوف ابن الشرموطة بطلب أكل، وأضاف بعد قليل متسائلا: هل كان هتلر يطعم اليهود؟ رد مالك مبلم مثل بغل أطرش** "[2].

المطلب الثالث: اليهودي الإيجابي

لم تكن الصورة السابقة السلبية هي الصورة الوحيدة في أعمال لوباني، فقد أبرز صورة أخرى إيجابية لليهود تتمثل في بعض الشخصيات التي رفضت ممارسات قادتها وأوامرهم، وتبرز إمكانية التعايش مع الفلسطينيين، إلا أن هذه الشخصيات اليهودية الإيجابية جاءت قليلة في الروايات، وكان صوتها خافتا مقارنة بالشخصيات العدوانية، التي علا صوتها، وسيطرت أفعالها على صورة اليهودي بشكل عام، ويبرز لوباني من خلال هذه الشخصيات الإيجابية إمكانية التعايش مع اليهود كأناس عاديين؛ لأنهم وقعوا ضحية لقادتهم، ولا يستطيعون تغيير سياستهم.

ومن الملاحظ في القسم الأول من رسائل لوباني **(السقوط)** خلو هذه الرسائل تماما من الحديث عن إيجابية اليهود، بل لم يعط هذا القسم صورة واضحة لليهودي؛ لأن التركيز كان على الإنسان الفلسطيني ومعاناته من الحرب، أما القسم الثاني وهو **(القلق)** وهو في المرحلة التي تلت الحرب، يظهر فيها لوباني صورة واضحة لليهودي بسلبياتها وإيجابياتها، وبكل تأكيد طغت السلبية على ممارسات هذه الشخصيات، ومع ذلك لم تخل من الحديث عن إيجابية بعض اليهود، فيروي الراوي قصة أحد المسنين الذين يسكنون مدينة اللد، وكيف قتل أبناؤه أمام عينيه بصلية

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص232

[2] السابق، ص234.

رصاص واحدة، فحدث ذلك لأحد الرجال اليهود يدعى (موشي) وكان يعمل صاحب بيارة، ويعمل الراوي عنده، ويرى فيه إنسانا يرفض ذلك، يقول الراوي:" **فرفضها في البداية رفضا قاطعا، قائلا: مش ممكن إحنا ما بنعمل هيك؛ لأننا ذقنا هذه الفظائع، وحينما ألححت عليه، وتبرعت أن أخذه إلى ذلك الرجل ليسمع بأذنيه، قال متخاذلا وعيناه تترقرق منهما بوادر دمع: يمكن ويجوز، ولكن إذا كان صحيحا، فلا بد إن يكون ما حصل عملا فرديا يجب أن يحاكم مرتكبه** "[1]، ويتمنى هذا اليهودي أن ينتصر الخير، ويعم السلام بين الطرفين، ويظهر تجربته في العيش مع العرب، والعلاقة الودية التي جمعته بهم، ويعترف أنه من خلال عيشه مع العرب لم ير منهم إلا كل خير، ويبدو أن لوباني من خلال هذا المشهد أراد أن يطرح فكرة إمكانية العيش مع اليهود بسلام، يقول اليهودي (موشي) صاحب البيارة:" **آمل أن ينتصر الخير أخيرا، ويسود السلام بيننا وبينكم،ولا يبقى أحد مظلوما، إنه أمل والأمل لا يموت، أنا عشت مع العرب سنين طويلة، ولم أر منهم سوى كل خير، ولي زوجة كانوا ينادونها (نايفة)، بدلا من اسمها الحقيقي (نيفا)، سامعني كانوا ينادونها نايفة، وأنا يا عمي موسى** " [2].

ولم يبخل صاحب العمل اليهودي الذي كان يعمل عنده حسين والراوي من تقديم المساعدة لحسين، فقد كان حسين يعاني من آلام في معدته، كانت تحرمه النوم، فلما أخبر الراوي صاحب العمل قدم المساعدة لحسين، يقول الراوي:" **وروينا لصاحب العمل، وكان يهوديا مسنا، قاسي الملامح والطباع، ولكنه إنسان، حينما كنا نقع في مأزق شبيه بمأزق حسين، كان يقول: لا حاجة لطبيب، ويعود في اليوم التالي، وفي جيبه ورقة وبها مسحوق أبيض، فهمنا فيما بعد أنه مادة كربونية تساعد على الهضم** "[3]. فلم ينزع لوباني عن هذه الشخصية صفة الإنسانية بالرغم من العداوة مع الفلسطينيين.

أما روجينا تلك الفتاة اليهودية من أصول تركية، فتظهر للراوي محبتها للعرب في تركيا، وكيف كان جدها يتاجر معهم، وتربطهم بهم علاقة ودية، فكان بيتهم مفتوح للعرب، ولكل

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص116.

[2] السابق، ص117.

[3] السابق، ص 135،136..

الناس، تقول: "**أنا بحب العرب، وجدي في اسطنبول كان يتاجر مع العرب، والله العظيم وبيتنا كان دائما مفتوح للعرب والأتراك وكل الناس** "[1]. وأراد لوباني أن يثبت أن الصراع ليس مع اليهود، وإنما مع الحركة الصهيونية التي خدعتهم، واستهزأت بعقولهم.

ويبين الراوي أن اليهود كانوا ضحايا للصهيونية التي خدعتهم، وقالت لهم إن هذه الأرض بدون شعب لشعب بلا أرض، فصدقوا ذلك، وبدأوا القدوم إلى فلسطين، فروجينا تستغرب تشريد الفلسطينيين، وهربهم من أرضهم، تقول للراوي:" **ولماذا هربوا؟ كنا نستطيع أن نعيش معا كالجيران، كالأخوة، فقلت وأنا أعض على ألمي ووجعي: كباركم أرادوا غير ذلك، أخذوا الجمل بما حمل، ولم تفهم؛ لأنهم قالوا لهم: إن هذه البلاد بدون شعب، لشعب بدون أرض فصدقوا**"[2].

إن قسوة الصهاينة وإرهابهم للفلسطينيين دفعت (مونيكا) اليهودية زوجة (سوما) إلى الإحجام عن الإنجاب، حتى لو كانت قادرة على ذلك؛ لأنها تعلم أن هذا الطفل الذي ستنجبه سيكون قاتلا في يوم من الأيام، " **فقالت وعيناها قنديلان مطفئان: رأيت من المآسي ما يكفي ليجعلني أمقت الإنجاب، كما أمقت الموت، فألححت عليها، فقالت بحزن وأسى يهدان جبالا: أن تنجب أطفالا يعني أن تربي جنودا ليقتلوا، ويقتلوا في نفس الوقت، وأنا لا أريد أن أنجب قتلة أو مقتولين**"[3].

المطلب الرابع: صورة الألمان

إن وصف الشخصيات الألمانية وبعض مواقفها في رواية (شمس وقمر) لعيسى لوباني جاء من خلال السارد، وهو كاتب فلسطيني زار ألمانيا لفترة وجيزة، ومن خلال صديقه الأستاذ الجامعي الذي عاش فيها ما يزيد عن العشرين عاما، ويعرف تفاصيل هذه الشخصيات وأحوالها، ومن خلال بعض الشخصيات التي تعرف إليها الراوي وصديقه اللبناني.

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص192.

[2] السابق، ص182.

[3] السابق، ص227.

إن ما يستدعي الانتباه في رواية (شمس وقمر) حول المجتمع الألماني كثرة الجنس فيه، فلا ضوابط تحكم الإنسان، وظهرت النساء في هذا المجتمع لا تحمل أدنى حياء، بل على العكس من ذلك لا تجد حرجا في الجلوس مع الرجال وحتى الذهاب معهم إلى البيت، والمضيف اللبناني الذي قضى فترة طويلة في ألمانيا يحاول توضيح الصورة للراوي بقوله:" **هذه بلاد الجنس فيها مباح إلى حد الفوضى، والعودة إلى عهد الأمومة، الجنس هنا مباح كالماء والهواء، أحيانا هو الذي يبحث عنك ولا تبحث عنه**"[1]، ويرى المضيف اللبناني في النساء الألمانيات ما يبيح لـــه أن يفعل بهن ما يريد، فيصفهن بأنهن "**غضاريف تؤكل شرعا**"[2].

وما يلاحظ في صورة الألمان هو جمال النساء عندهم، فنرى المضيف اللبناني في أكثر من موضع في الرواية معجبا بهذا الجمال، ويقف مصدوما منه، فنراه يقول:" **آه هذه الألمانيـــة تغريني بارتكاب أفظع الموبقات**"[3]. وينقل الراوي إعجاب المضيف اللبناني بهن حيـــث يصـــف الجمال الذي تتمتع به تلك النسوة، يقول:" **ثم أضاف وكتفه تحتك بكتف تلك المرأة الألمانية التي كان صدرها يرف كالأعلام المنتصرة، أما الساقان، أضاف وعيناه تشـــتعلان بنـــار الشـــهوة المقدسة، كما قال**"[4].

يعترف المضيف اللبناني بذكاء الألمان وتقدمهم الصناعي الذي يحاربون الإنسان فيـــه، فهذه الصفة من بين صفات أخرى يتمتعون بها، " فالألمان متقدمون صناعيا والصـــناعة تـــدر عليهم ذهبا"[5]، يقول المضيف اللبناني: " **إنهم يحاربوننا بتقنيات حضـــارتهم الراقيـــة، ونحـــن نحاربهم بأجسادنا!! يقتلوننا بالنبالم، والصواريخ الحارقة، ونقتلهم بأ...**"[6]، والألمان " مغرمون بالموسيقى، وقراء من الدرجة الأولى، ويعشقون الفن التشكيلي، ولا تخلو بيوتهم من المكتبات"[7]،

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص17.

[2] السابق، ص17.

[3] السابق، ص27.

[4] السابق، ص18.

[5] الأسطة، عادل: مقال بعنوان: "**صورة الألمان في أدب العربان شـــمس وقمـــر لعيســـى لوبـــاني**"، صـــحيفة الأيـــام، الأحد2014/1/12، ع6468.

[6] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص28.

المكتبات"[1]، وهذه الصفات اجتمعت في زوج (مونيكا)، تقول في وصف زوجها:" **إنه يملك مكتبة غنية بلغات أربع، الألمنية بالطبع، ثم الروسية ثم الفرنسية ثم الإنجليزية، كان رساما بارعا وفيلسوفا**"[2]. وعند حديث (باتريشا) عن زوجها الذي توفي في حادث سيرتذكر أنه كان رساما،"**فقالت وهي تنتعل حذاء من الفرو: زوجي رسام**"[3]. وعند دخول الراوي لبيت (باتريشا) يصف اهتمام الألمان بالفن والقراءة فيصف بيتها قائلا:" **ووجدت نفسي في منزل قريب من غابة، منزل أنيق، ينز دفئا، وبه ثلاث حجرات، ومكتبة ضخمة ورسومات لأشهر الرسامين**"[4]، وهذا يدلل عل الثقافة العالية التي يتمتع بها الألمان، وظهور النزعة الفنية لديهم.

أما (روكسان) فتقيم علاقة مع أسعد ويظهر من خلال هذه العلاقة انعدام عاطفتها في التعامل معه، فهي تريد فقط اشباع غرائزها دون الالتفات لمشاعر أسعد مما يولد ردة فعل غاضبة لدى أسعد، ونقمته على هذه الحضارة التي نزعت من الإنسان إنسانيته، فيصفها قائلا:" **إنها جسد جميل ومعطر، إنهن هنا كوجبة طعام، وزجاجة كوكا كولا، ولا يردن سوى ذلك، مثل الهامبورغر إذا جعت، والكولا إذا ظمئت...!!**"[5]، فهي ترى في أسعد حيوانا ينزو عليها متى أرادت دون أدنى شعور بالعاطفة، فبمجرد أن ينتهي من مضاجعتها تعود إلى عملها وكأن شيئا لم يحدث، مما يولد الغضب في نفس أسعد فيدفعه ذلك إلى القول عنها:" **طلعت قحبة لا تعرف سوى لغة الجسد، حاولت أن ألقنها لغة الروح والقلب والعواطف فأبت؛ لأنها مثل الكهف، يكره الشمس ويمقت القمر، ولا يستمرئ إلا النقر على جدران الجسد، حتى ثج صوته**"[6]. وترى (مونيكا) في الراوي مجرد كلب ينزو على النساء،**تقول:**" **ما الفرق بين الرجل والكلب؟ إنكم تأكلون وتشربون، وتنزون على النساء وتنجبون أطفالا**"[7]، فعلاقتها مع الراوي تخلو من العاطفة حيث ترى فيه الانبساط والترويح عن النفس فقط، تقول: " **وكنت مستعدة أن أضاجعك**

---

[1] الأسطة، عادل: مقال بعنوان: " **صورة الألمان في أدب العربان شمس وقمر لعيسى لوباني**"

[2] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص70.

[3] السابق، ص49.

[4] السابق، ص49

[5] السابق، ص45.

[6] السابق، ص67.

[7] السابق، ص72.

في الحافلة، لا أدري لماذا؟ مبسوط"[1]. ولا يختلف حال (باتريشيا) عن روكسان كثيرا فهي الأخرى تبحث عن إشباع رغبات جسدها الجائع وخصوصا بعد فقدان زوجها، فتتعرف على الرواي التي ترى فيه فقط الونيس في الليالي الباردة دون أي إحساس بالعاطفة في علاقتها معه، تقول:"**والرجل أفضل ونيس في هذه الليلة الباردة**"[2].

لقد أظهر الراوي من خلال الرواية طبيعة الحياة في ألمانيا، وبين أن تلك البلاد مليئة بالجواسيس الذين يتابعون تحركات الوافدين إليها، فمصباح النادل الفلسطيني الذي يعمل في ألمانيا يعرف أن كل كلمة أو حركة مراقبة من الجواسيس الألمان فأظهر للراوي خوفه على أسعد، فيخاطب الراوي قائلا:" **وقال مصباح بصوت قلق: أخاف على صاحبك!! فاستفزني صوته، وشحوب لونه، وسألت ملهوفا: لماذا؟ وممن؟ فقال وهو يتلفت يمينا وشمالا: هذه البلاد ملأى بالجواسيس!! وأخاف عليه!! "**[3].

المطلب الخامس: صورة الأتراك

برزت صورة الأتراك في أعمال عيسى لوباني من خلال رواية (شمس وقمر)، حيث رسم ملامح هذه الصورة من خلال الفتاتين التركيتين (روجينا) و(بولين)، فقد كانت هاتان الفتاتان تعملان نادلتين في إحدى مقاهي (فرايبورغ) في ألمانيا، وبدأت علاقة الراوي بداية مع (روجينا)، ثم يتعرف إلى أختها (بولين)، ولقد كانت هاتان الفتاتان حلقة الوصل مع ماضيه القريب، فقد تذكر من خلالهما ابنتي عمه شمس وقمر وبدأ يسترجع ذكرياته الماضية.

لقد كان لظروف هاتين الفتاتين الأثر في ترك تركيا والهجرة إلى المانيا مع أخيهما إسماعيل، فقد تقدم أحد الشباب لخطبة (روجينا) فترفضه وتتعرض للمضايقات هي وأختها (بولين) فدفعها ذلك إلى الهجرة مع أختها وأخيها إسماعيل.

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص72.

[2] السابق، ص49.

[3] السابق، ص33.

إن مايميز هاتين الفتاتين كما صورهما الراوي الجمال الذي تتمتعان به فبدا الراوي معجبا بهما إلى حد الذهول، فدفعه ذلك إلى رسم ملامح هذا الجمال، يقول:" **فتاتان جميلتان جمالا تركيا، اجتمع الشرق والغرب في لون الوجه العينين، وتلك الخضرة فيهما ذكرتني بالحبق ولون الحبق، ولون البحر في المساء**"[1]، ثم يأتي على صفات (روجينا) بالتحديد التي بدا جمالها فوق كل جمال، وذكرته بشمس وقمر وجمالهما أيضا، يقول في وصف (روجينا):" **وأطل وجهها، كان أبيض مستديرا، وشعر أسود طويل يسبل على كتفيها العاريين باهمال مغو لذيذ، وعيناها الخضراوان تبسمان ابتسامة غامضة**"[2].

لقد بدت هاتان الفتاتان كما أظهر الراوي في قمة التحرر، فلا حرج أن تدعوا الغرباء إلى منزلهما، فمعرفة الراوي بهاتين الفتاتين في بدايتها، ولكنه يذهب إلى منزلما ويقيم علاقة مع الفتاتين مجتمعتين يقول:" **شبعت بعد جوع، فرفعت رأسي ونظرت حولي، كان كل شيء واضحا، إلى جانبي يتمدد جسدا (روجينا) و (بولين) وكلتهما عاريتان، عري طفل خرج للتو من بطن أمه**"[3].

ولقد أظهرالراوي (رجينا) مهتمة بالموسيقى إلى حد الإدمان، فهي تستمع إلى الموسيقى الشرقية والغربية،وتظهر للرواي أهمية الموسيقى فلا يمكن الاستغناء عنها في أي عمل من الأعمال، تقول للراوي:"**كل شيء يخلو من الموسيقى والغناء يصبح عبثا ولغوا**"[4]، ثم تتابع حديثها عن أهمية الموسيقى بقولها:" **الحب والموسيقى جناح الروح**"[5]، وهذا الاهتمام بالموسيقى جعل الراوي يقف متعجبا من الأمور التي تتقنها هذه الفتاة مما دفعه إلى القول:" **خبيرة بالموسيقى وأشيا الجسد وماذا أيضا**"[6].

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص18،19.

[2] السابق، ص20.

[3] السابق، ص25.

[4] السابق، ص85.

[5] السابق، ص86.

[6] السابق، ص87.

المبحث السابع

التشكيل الفني

المطلب الأول: سيمياء العناوين

يشكل العنوان الحلقة الأولى من حلقات إبداع الأديب، فليس من الغريب أن نرى ذلك الاهتمام الواضح به في كثير من الدراسات، التي بينت تعريفه وأهميته في العمل الأدبي،ويعرف (ليو ه هوك) العنوان بأنه " مجموعة من العلامات اللسانية التي تدرج على رأس نص لتحدده وتدل على محتواه، وتغري الجمهور المقصود بقراءته"[1].

ويجمع كثير من الأدباء والنقاد على أهمية العنوان في العمل الأدبي، فهو يحمل دلالات خفية تحمل المتلقي إلى إمعان النظر في العمل الأدبي ومحاولة تحليل المضمون،وتتبع؟أهمية سيميائية العنوان من كونه" يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن ليفرض أعلى فعالية تلق ممكنة، مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل. كما يشكل أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي "[2].

وعندما يختار الأديب عنوان عمله الأدبي فإنه يختاره بعناية فائقة ودقة متناهية؛ لأنه يعلم أن الوظيفة التي يحملها العنوان هي عبارة عن رسالة بين المرسل والمتلقي، تحمل كثيرا من المعاني الرامزة التي تدفع المتلقي لتحليلها،" ووظيفة العنوان في الأدب لا يمكن أن تكون مرجعية أو إحالية فحسب، بل إن من واجب العنوان أن يخفي أكثر مما يظهر، وأن يسكت أكثر مما يصرح، ليعمل أفق المتلقي على استحضار الغائب أو المسكوت عنه، أو الثاوي تحت العنوان"[3].

إن العنوان هو طريق المتلقي لفهم العمل الأدبي، فالدلالات التي يحملها يمكن أن تجعل النص أوضح، ودلالته أظهر مم يجعل صلة القارئ بالنص أوثق؛" لأن العنوان بمفرده يمكن من

---

[1] المطوي، الهادي: **شعرية العنوان في كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق**، مجلة عالم الفكر، مج28،ع1، 1999، ص456.

[2] قطوس، بسام: **سيمياء العنوان**، عمان، د.ن، 2001، ص36.

[3] السابق، ص50.

خلاله تفكيك النص إلى بنياته الصغرى والكبرى قصد إعادة تركيبه من جديد نحوا ودلالة وتداولا، من الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأسفل، من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إل الداخل "[1].

وعند تدقيق المتلقي في العنوان فإنه يستطيع أن يحصل على كثير من المعلومات التي تكمل النص، وتكشف الجوانب الخفية فيه،وتجعله يحكم عليه بدقة أكبر، فيقوم العنوان بتعيين جنس النص وهويته، ويساهم في إبراز انتمائه، ويجعل القارئ يعتقد أنه أمام رواية وليس مذكرات، أو سيرة ذاتية[2].

وعندما كتب عيسى لوباني أعماله الروائية والقصصية والشعرية فإنه كان حريصا على اختيار العناوين التي تعبر عن المرحلة التي يعيشها، أو الفكرة التي يريد إيصالها، فالفلسطيني بعد النكبة أحس بمرارة الظلم، وعنف المحتل، فبعد حرب العام 1948 سقطت كل القيم والمبادئ التي كانت تميز المجتمع الفلسطيني، وسقطت المدن الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى، فأصبح الفلسطيني تائها في بلاد الغربة، يعاني الجوع والقهر والحرمان، وعيسى لوباني عند كتابته لرواياته حرص على وصف الحال الذي يعيشه الفلسطينيون، من السقوط والانهيار، فاختار عنوانا للقسم الأول من الرسائل (السقوط)، وعند القراءة الأولى لهذا القسم من الرسائل، نجد أن الأديب يبين نواحي السقوط المختلفة في المجتمع، والتي أدت إلى سقوط فلسطين ومدنها الواحدة تلو الأخرى، فبين أسباب هذا السقوط ومبرراته، فأظهر أن ضعف الداخل الفلسطيني والعربي كان هو السبب الرئيس في سقوط فلسطين، وليس قوة المحتل التي طالما كانت هاجسا للفلسطينيين، فالقيادة العربية كانت تملؤها الأطماع والأحقاد، وكل واحد منهم يقاتل لنفسه، لا لأمته ووطنه، يقول الراوي:" **هذا التاريخ لا ينصفنا، حتى ننصف تاريخنا وننقيه من الشوائب، وما علق به من مخاز**"[3]، فسقوط الإنسان الفلسطيني هو سقوط لأمته ووطنه، وضياع الأرض كان سببه أصحابها الذين كانت مشاعرهم متنافرة، ومصالحهم مختلفة، وعندما نتحدث عن سقوط

---

[1] حمداوي، جميل: **السيموطيقيا والعنونة**، مجلة عالم الفكر،مج25، ع3، 1997، ص106.

[2] ينظر: حليفي، شعيب: **استراتيجية العنوان في الرواية العربية**، مجلة الكرمل،ع46، 1992، ص82-102.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص33.

المجتمع من الداخل، نتحدث عن سقوط كل القيم والمبادئ والأخلاق التي يتحلى بهـا الإنسـان الفلسطيني قبل الحرب، فنجد الفلسطيني مخبرا، يخبر عن أهله وشعبه، والمرأة تخون زوجهـا دون أدنى ذنب، أو جلد لذاتها، وكل إنسان فلسطيني يهتم بمصـلحته دون أن يهـتم بمصـالح الآخرين، و تغيب النخوة من رؤوس الرجال، فنجد الرجل يوظف زوجته لممارسة الجنس، بـل ويبحث عن الرجال لإيصالهم إليها، فكان العنوان (السقوط) يحمل مضمون الرسائل، ويكشـف عن أسباب السقوط، ومقدماته التي قادت إليه.

وعند التدقيق في العنوان (رسائل في العشق والعشاق) نجد أن لوباني تـأثر بالجـاحظ وبأبي العلاء المعري في رسالة الغفران، وابن شهيد في الزوابع والتوابع، يقول الدكتور محمود عباسي:" تكمن انطلاقة عيسى لوباني في هذه الرسائل بتجديد مدرسة الرسائل التـي ابتـدعها وابتكرها الجاحظ، وتلاه المعري في رسالة الغفران، وتبعهما ابن شهيد الأندلسي فـي التوابـع والزوابع "[1]، ولقد أشار لوباني إلى تأثره بالأدب الأندلسي، ومتابعته القراءة فـي هـذا الأدب، وكذلك الأدب العباسي.

ثم يكتب عيسى لوباني القسم الثاني من الرسائل في العام 1994، ويطلق عليـه اسـم (القلق)، وفي هذا القسم يعبر عن قلقه من المسار الذي تتخذه القضية الفلسطينية، من قلق علـى المشردين والمغتربين الفلسطينيين، الذين لا يجدون ما يسد رمقهم في بلاد الغربة، ثم يتناول في هذا القسم ممارسات الصهاينة العنصرية، التي تدعو كل فلسطيني لأن يخاف على أهله وأرضه ووطنه، فجاء العنوان (القلق) معبرا عن مضمون الرسائل، ومنبها الفلسطينيين بأن لا يركنـوا لممارسات عدوهم، كما أظهر لوباني قلقه من الفوضى التي تعم المجتمع الفلسطيني، فنراه يطرح قضايا لم تكن في القسم الأول من الرسائل ومنها: الاغتصاب والسجن والتعذيب، وهـذه أمـور تدعو كل فلسطيني لأن يقلق على أهله، ووطنه، ولقد بين تمادي العدو الصهيوني في ممارساته ضد الفلسطينيين، فبدأت مصادرة الأراضي، وأصبحت قوانين الصهاينة تطبق عليهم، وكان كل

[1] عباسي، محمود: **(كلمة لابد منها)، جاءت في تقديمه للقسم الأول من الرسائل (السقوط)**، شفا عمـرو،1993/8/15، ص3.

مخالف لهذه القوانين يلاحق ويعذب ويسجن، وبدأ القلق في هذا القسم من الرسائل يملأ نفوس الفلسطينيين، خوفا من المحاسبة على الماضي، فالراوي الذي كان يملك بارودة أصبح يخاف أن يحاسب عليها، فيسأل الجار الراوي عن بارودته " **فقال بهمس يكاد لا يفهم: مش كان معك بارودة؟ فقلت ووجهي يمتقع: كان، فقال الأفضل أن تنكر بتاتا** "[1]. وعندما يحاسب الإنسان عن أمور كانت في الماضي، فهذا أمر يستوجب القلق مما سيكون في المستقبل، فالمستقبل أصبح مخيفا بالنسبة للفلسطيني، خوف من الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد كان الفلسطيني يعتقد أن أثار النكبة ستزول سريعا بتدخل الجيوش العربية، واسترجاع ما سلب منه، ليجد أن العرب تخاذلوا في نصرته ومساعدته، فتسوء أحوال الفلسطينيين، ليكون الفلسطيني في حال أصعب من الحال الذي كان عليه، " **قال أسعد: من الدلف لتحت المزراب، المصايب قدامنا ووراانا، أليس كذلك؟** "[2].

ولو نظرنا في العناوين الفرعية لكل رسالة من رسائل هذا القسم، لوجدنا أنها تبين هذا القلق وتفسره، فكان عنوان الرسالة الأولى (النزيف) ليدلل أن ما تعرض له الفلسطينيون، وما سيلاقونه هو نزيف لا يمكن إيقافه، وعندما يحصل النزيف مع الإنسان، فهذا مبعث لأن يقلق على حياته، فهو لا يتوقف، وقد لا يتوقف أبدا، والصهاينة عندما احتلوا فلسطين أحدثوا للفلسطينيين جرحا سبب نزيفا قد لا يستطيع أحد إيقافه، وحملت الرسالة الثالثة عنوان (الواقع الذي بدا ملتبسا)، فقد بدأت الأمور تتعقد بالنسبة للفلسطيني، والمستقبل أكثر قتامة من ذي قبل، ولم يعد الفلسطيني يعرف الصديق من العدو، فإذا كان الصديق قد تخاذل، فما بال البعيد الذي لا يرتبط مع الفلسطيني بشيء؟

فكانت الحيرة التي أنهكت عقول الناس، ولا يدري الفلسطيني أيرحل أم يبقى في وطنه؟ فالغربة صعبة، وكذلك العيش داخل الوطن أصعب، أما الرسالة الرابعة فكان عنوانها (الليل طويل والعذاب أطول) ليبين عزلة الفلسطيني وممارسات المحتل ضده، فبينت هذه الرسالة

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص13.

[2] السابق، ص90.

جرائم الصهاينة من القتل والتعذيب والاغتصاب، وعزل الفلسطيني داخل (جيتو)، دون أن يسمح لهم بالخروج منه، فلاقى الفلسطينيون من هذه الممارسات شتى صنوف العذاب، لتكون لياليهم طويلة، وعذابهم فيها أطول.

ويختار لوباني عنوان (الصورة) للرسالة الخامسة؛ ليبين عدم وضوحها، وتشوشها عبر الزمن، فلم تعد الصورة واضحة كما كانت من قبل، يقول الراوي:" **كانت تنتابني حالات من القلق والتوتر، حينما أحدق في مرآة الذاكرة تختلط الصور وتتماهى، حتى يصعب التمييز بين أصحابها وصاحباتها** "[1]، **ويقول كذلك:" فالصورة في الذاكرة تتعرض للصدأ، فتميل إلى البلى على مر الأيام، أما غبار الزمان فيعلوها ويكسوها، فتتشوش، وتبدو مهمشة مشوهة** "[2]، فيبدو أن صورة البهاء والصفو اللذين كانا في الماضي، أصبحا صورتين لا يمكن إعادتهما، فغبار الحرب قد غطى القسم الأكبر منهما، وعذابات المظلومين غطت ما تبقى، يقول الراوي:" **اهمسوا بقلق يصل إلى حد البكاء: إننا نفقد أحبائنا، فلماذا نفقد صورهم أيضا؟ وأشعر بخوف ورعب شديدين، فأغمض عيني محاولا اعتصار الذهن والذاكرة؛ لإعادة الصور إلى ما كانت عليه من بهاء وصفاء** "[3]، أما الرسالة السادسة والأخيرة من الرسائل فكانت بعنوان (عود على بدء)، ليجد الفلسطيني نفسه في حلقة مفرغة، ويعود إلى المعاناة التي بدأ منها مجددا، فتكررت مجازر الصهاينة ضد الفلسطينيين، وتنوعت أساليبهم الإجرامية، ليصل الفلسطيني إلى قناعة تامة، أن المعاناة الأولى لم تكن الأخيرة بالنسبة إليه، فالقادم قد يكون أعظم من السابق.

وفي العام 1994 أصدر لوباني (أم الخير...و...)، فيترك بعد عنوانه نقاطا ثم حرف الواو، ليترك نقاطا أخرى، حيث كانت أم الخير في روايته ترمز إلى فلسطين، وقد ترك علامات الحذف ليبين هذا، فيترك علامة الحذف بعد العنوان مباشرة، وفي هذا العمل الأدبي يرسم مجموعة من اللوحات التي أطلق عليها أسماء تعبر عن مكنونها، وتبين الصراع مع المحتل الإسرائيلي فكان العنوان الأول: (أم الخير) التي رمز لها بالوطن، وبين أهم ما يميزها، وأهم

---

[1] لوباني، عيسى: **رسائل في العشق والعشاق (القلق)**، ص151.

[2] السابق، ص151.

[3] السابق، ص151.

شيء يحبه فيها، فهي الحكيمة، وهي القوية، وهي التي فضلت البقاء؛ لأنها لا تستطيع الرحيل. أما العنوان الثاني من الرواية فكان (جسور التعب) فتعب الفلسطيني متواصل منذ زمن بعيد، وفي هذه اللوحة يركز على اعتقال سعيد، وعلى المعاناة التي لحقت بزوجته جراء اعتقاله، فيتكون العنوان من كلمتين هما: جسور والتعب؛ ليبين الراوي أن معاناة الفلسطيني متواصلة وغير منقطعة، فالاعتقال هو مرحلة من مراحل العذاب التي يتعرض لها الفلسطينيون، فمنذ النكبة وحتى الآن ما زال التعب يلاحقهم، وينال منهم في كل مرة. أما اللوحة الثالثة فكانت بعنوان: (البصمة) وفي هذه اللوحة يبين الراوي سياسة الصهاينة في الاستيلاء على الأرض، وتبصيم الفلسطينيين على ما تبقى من أرضهم، فيطالب الضابط الصهيوني أبا محمود أن يبصم ولكنه يرفض،" **فيقول الضابط: ابصم وأنا أقول لأ ببصمش** "[1]، فكان الفلسطيني يخسر أرضه بمجرد أن يبصم على أوراق لا يفهم محتواها، أما العنوان الفرعي الآخر فكان (زمن الخوف والمطاردة)، ومن خلاله وضح لوباني ملاحقة الصهاينة للفلسطينيين ومطاردتهم، فالخوف سيطر على مشاعر الناس وقلوبهم، وأصبحوا ملاحقين بتهمة وبدون تهمة أيضا.

أما الراوية الأخيرة من روايات لوباني فحملت عنوان (شمس وقمر)، وهنا يحمل العنوان دلالة واضحة، فشمس هي فلسطين قبل النكبة حيث كانت مشرقة بهية بطلعتها، يفرح الناس لرؤيتها، أما قمر فهي فلسطين بعد النكبة، والتي أصبحت كالقمر في ليل الاحتلال، تعاني ما تعاني لتظهر ويبدو مظهرها غير واضح، فدلالة الشمس تحمل الإشراق والبهاء، أما قمر فتحمل دلالة الظل والخفوت، فالقمر يتآكل تدريجيا حتى يختفي، فهذا ما حصل مع فلسطين حيث أصبحت كالقمر الذي يتآكل يوما بعد يوم حتى يختفي.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن العناوين الروائية لعيسى لوباني لم تكن عشوائية، بل اختارها بدقة، وعبر عن مراحل المعاناة التي مر بها الفلسطينيون، وبين من خلالها ممارسات المحتل وقسوته في التعامل معهم، فالقارئ يستطيع أن يتبين الذكاء الذي مارسه عيسى لوباني في اختياره لعناوين رواياته من خلال مضمونها.

---

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص107.

المطلب الثاني: اللغة الروائية

تعد اللغة ركيزة أساسية في العمل الإبداعي، فهي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره، وينقل من خلاله رؤيته للأشياء من حوله، فاللغة تكشف عن أحوال الشخصيات ونفسياتها، وطريقة تعاملها مع الآخرين، ولغة الرواية هي التي تجعل منها فنا متميزا، يحمل في ثناياه الإبداع الروائي، وقدرة الراوي على التحكم بالأحداث والشخصيات، ولقد اختلف النقاد " حول قضية اللغة التي يجب أن يكتب بها الراوي روايته، ويجعل شخصياته تتحاور بها: ففريق يناصر اللغة الفصحى ويتشبث برأيه، معللا سبب ذلك اللهجة المحلية وتباينها، والذي قد يجعلها غير مفهومة حتى في إقليمها الواحد، وفريق آخر يناصر اللغة العامية، ويرى أن ذلك من الصدق الواقعي الذي يجب على الراوي أن يلتزم به"[1]. ويرى الدكتور محمد يوسف نجم أنه " ليس ثمة مبررفني يمنع من استعمال اللهجة العامية في الحوار، بل إن طبيعة رسم الشخصية في القصة تتطلب ذلك وتعتمد عليه اعتمادا كبيرا"[2]. ولكن اللجوء إلى اللهجة العامية قد يكون هداما وخطيرا، لما له من آثار سلبية على اللغة العربية في المدى البعيد، فقد تكون بديلا عن اللغة الفصحى، وهذا أمر غير مقبول بكل تأكيد.

إن استخدام اللهجة العامية في الرواية والقصة ينبغي أن تكون في الحوار دون السرد،فلا حاجة للأديب في استخدام هذه اللهجة في السرد، " فالكاتب الذي يلجأ إلى طريقة السرد المباشر، أو الطرق الفنية الأخرى، لا يحتاج إلى أن يحدث قراءه بلهجة عامية ولا إلى أن يعرض قصته، وأن يصف حوادثه بمثل هذه اللهجة. ولكن أكثر الكتاب يلجأون إليها في الحوار، لتضفي عليه صدقا وحيوية وواقعية"[3].

وإن عيسى لوباني عندما كتب رواياته نوع في لغته، فتارة يستخدم اللغة الفصحى، وهذا ما نلحظه في سرده للأحداث؛ ليبرز مقدرته اللغوية، وقدرته على انتقاء الألفاظ الفصيحة، ولم

---

[1] يوسف، آمنة: **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص119.

[2] نجم، محمد يوسف: **فن القصة**، بيروت، دار الثقافة، ط7، 1997، ص122.

[3] السابق، ص121.

يستخدم في لغة السرد غير اللغة الفصيحة، وتارة أخرى يستخدم اللغة العامية، وخصوصا في حواره مع الشخصيات العادية، ليضفي مزيدا من الواقعية على العمل الروائي، ويقرب الناس في رواياته من الحياة اليومية التي تعيشونها، " فلقد استعمل كثيرا من الأمثال العامية، كأنه أراد تخليدها، وأحيانا يمزج بين العامية والفصحى، مما يعطيها ويضفي عليها بهاء ورونقا خاصا ممتعا للفهم، والظاهر أنه اراد الكتابة للجميع وليس لفئة معينة، وهذا ليس غريبا عنه فهو رجل وطني شعبي محبوب، وإنساني مرح أحبه كل من عرفه"[1]، فنجد أن لغة لوباني تباينت في مستوياتها، في السرد وفي الحوار، ففي السرد وهذا ما يثير الانتباه لم يستخدم لوباني اللهجة العامية مطلقا، بل كانت اللغة الفصيحة هي المسيطرة من أول الروايات الى آخرها، أما في لغة الحوار والحديث مع الشخصيات، فقد لجأ لوباني إلى اللهجة العامية، ولغة الحياة اليومية التي يتداولها الناس، مما أظهر بساطة الناس في تعاملهم مع الأحداث، وكشف عن نفسية الشخصيات، وطبيعة حياتها، ومن الملاحظ أيضا في لغة لوباني " أنه يستعمل الكلمة العامية مع الفصحى، حتى يخيل أحيانا للقارئ أن الكلمة العامية هي نفسها فصحى وليست عامية؛ لأن كاتبنا فنان يسبك اللغة، ويتمكن منها "[2].

ونجد أن لوباني في لغته يستخدم تشبيهات وصورا فنية، ينسجها بدقة وعناية، وخصوصا عند حديثه عن المرأة، يقول حبيب بولس:" نجد الكاتب يبدع تعابير وتشبيهات موحية، يغلب عليها التكثيف والإيحائية"[3]، فمن الصور التي استخدمها قوله:" **سألتها مرة وشيطاني نام طويلا واستيقظ**"[4]، ومن الصور كذلك قوله:" **فقلت وكنت كالإسفنجة التي عصرتها أكف الأيام فكادت تجف**"[5]، وصورة أخرى يرسمها قائلا:" **كلانا يتشبث بالوهم ولا مفر**"[6]، وهذه الأمثلة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، فروايات لوباني مليئة بالصور، وهذه الصور

---

[1] جبارين، رفيق: مقال بعنوان: رواية شمس وقمر للأديب عيسى لوباني، www.aljabha.org

[2] السابق.

[3] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص132.

[4] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص15.

[5] السابق، ص21.

[6] لوباني، عيسى: **القلق**، ص177.

تدل على المقدرة اللغوية الواسعة، والقدرة على التحكم بها." وكلما أوغلنا في قراءة الروايات وخاصة عن المراة /العشيقة /الجنس أو عن العائلة، صادفتنا تشبيهات رائعة، وتعابير مكثفة موحية، تنم عن شاعرية الكاتب، وعلى معرفته بأسرار اللغة وتركيبها "[1].

ولقد وظف لوباني في لغته عددا كبيرا من الأمثال العامية والفصيحة، ووظف أبياتا من الشعر العربي القديم والحديث، ثم نراه يستخدم الأغنية للتعبير عن الحالات والمواقف المختلفة، بالإضافة إلى توظيف لغة القرآن الكريم بنصها الصريح، أو باستخدام بعض مفرداتها، أضف إلى ذلك معرفة الراوي بالقصص الشعبية، والشخصيات التاريخية والأدبية، واطلاعه على الآداب في العصور المختلفة، مما يدلل على غنى ثروته اللغوية، وقدرته على التحكم بها، وتوظيفها في أحداث الروايات.

وتعكس لغة لوباني نفسية الإنسان، الذي يعاني القهر والظلم والتشرد، في زمن أصبح موحلا بالمصائب، فأن يبكي الرجل، فهذا يعني أن المجتمع يعيش ذروة المأساة وقمتها، يقول الراوي: " **في زمن الانهيار يكون كل شيء محتملا حتى بكاء الرجال**"[2]، وتعلو نبرة الحزن والأسى على لغة لوباني، " **فقال بحزن: إننا لا نذهب إليهم مخيرين**"[3].

ومن يقرأ روايات عيسى لوباني، يجد أنه لم يستخدم اللغة العبرية مطلقا، مع أنه يعيش في احتكاك دائم مع اليهود، ويوظف شخصيات يهودية في رواياته، ويبدو ذلك لأنه لا يعترف بوجود هذا الكيان، وبما أنه لا يعترف به، فمن الطبيعي أن لا يوظف أيا من المفردات العبرية في لغته.

ولقد نوع في لغة الحوار، فعندما يكون المخاطب إنسانا بسيطا من عامة الناس، فإنه يستخدم اللهجة العامية البسيطة، أما إذا كان المخاطب شخصا مثقفا فإنه يلجأ إلى اللغة الفصيحة، وهذا أعطى رواياته مزيدا من الواقعية، فعندما يتحدث عن الفكر الشيوعي نجد أنه يلتزم باللغة

---

[1] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**،ص133.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص139.

[3] السابق، ص141.

الفصيحة، وهذا ليظهر أن الإنسان الشيوعي إنسان مثقف ولغته متينة، فالرجل الغامض الذي وظفه الراوي لطرح الفكر الشيوعي والدفاع عنه، إنسان مثقف ولغته متماسكة، ويتكلم بلغة فصيحة:" **فقال بصراحة: طائفتنا قليلة ومضطهدة، ولم يسمعوا لنا حينما قلنا كذا وكذا، فقلت بحدة: كلام قديم، ولا يجدي، ابحث عن كلام جديد يروي عطشنا، فقال باستسلام عجيب: أجل الحقيقة مثل الدواء المر، المر لا نستسيغه دائما، ولو كان فيه الشفاء العاجل**"[1]. فلغة لوباني مع الرجل الغامض وهو الرجل الذي أبرزه في أكثر من موضع في روايته (السقوط) متوافقة تماما مع ثقافته، فبما أن الرجل الغامض إنسان شيوعي مثقف، فهذا يستدعي من لوباني أن يخاطبه بنفس اللغة التي يتكلم بها، وهي اللغة الفصيحة.

أما عندما يخاطب فاطمة وهي الفتاة الريفية غير المتعلمة، فنجد أنه يخاطبها بلغتها، فيستخدم العامية في الحديث معها، ولو استخدم غير ذلك لأبعد الرواية عن الواقعية التي ينبغي أن تكون عليها، يقول: " **كل شيء منك وفيك مليح يا حبيبتي، فأنّت قائلة: وأنت كمان مليح، فصحت بها: بس مليح، فقالت بغنج ودلال: يوه بعرفش أحكي زيك، إنت بتقرأ كتب ومجلات**"[2]، وعند حديث والدة الراوي، وهي المرأة غير المتعلمة، ومخاطبتها لزوجها نجد أن الراوي يلتزم اللغة العامية، فهي اللغة الأقرب إلى قلوب الناس، وحياتهم اليومية، فتخاطب والدة الراوي زوجها قائلة: " **فاهم يا خوي خليك قاعد مثل الوقف، بدل أن تخرج، وتتلقط لنا الأخبار عما يحدث أو يجري بره، فقال لها والدي وقد اطمأن قليلا: وليش الأخبار إلي ما بتسر خاطر، ما هو المكتوب من عنوانه**"[3].

ومما يلحظ في لغته الروائية تكراره لبعض المفردات والجمل، وهذا ليؤكد المعنى، ويوضح الفكرة التي يريد أن يوصلها للمتلقي، فنجده يكرر جملة:"**آه يا زمن الخصيان مالك لا تورق كأنك تحزن على ابن طريف**"[4]، وجاء هذا التكرار ليبين أن الزمن الذي يعيش فيه

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص 307.

[2] السابق، ص145.

[3] السابق، ص181.

[4] السابق، ص10.

الفلسطيني، هو زمن المصائب التي حلت عليه، ولم يعد قادرا على تحملها. ثم يكرر جملة " **فقد الأحبة غربة**"[1]، فبعد الحرب فقد الفلسطينيون أحبتهم، فأصبحوا غرباء عن وطنهم بفقدهم، وجاء من يسكن الأرض بالقوة، ليجد الفلسطيني نفسه غريبا في وطنه، وبعيدا عن أهله، فبعضهم قتل، وبعضهم شرد، وبقي الفلسطيني وحيدا يواجه قدره.

ونجد في رواياته استخدام ألفاظ الشارع المبتذلة، مثل: (قحبة، وعاهرة، وشرموطة، وابن الزانية)، وكلها جاءت في القسم الأول من رسائله (السقوط)؛ ليبين الحالة النفسية التي كان عليها الفلسطيني بعد سقوط فلسطين، وهي حالة الضجر وسقوط الأخلاق، وتغير حياة الناس، وليكشف من خلالها حقارة المحتل وسقوطه، ويخاطب الراوي إحدى النساء وقد استخدم في لغته كلمة عاهرة، فيقول: " **تصلح للتفريغ عن الكرب في ساعات لا يحسن فيها الهرب يا عاهرة، قالت باشمئزاز: أنت بذيء اللسان، قلت وشيطاني حصان جامح: لأنني خلقت في لحظة بذاءة، في زمن بذيء وفي مدينة بذيئة، قد أفرزتك قطرة بذاءة**"[2]، فلقد أظهر اللفظ البذيء صورة الراوي، والكبت النفسي الذي يعيشه، فأراد أن يفرج عن نفسه باستخدامه للألفاظ المبتذلة، ويظهر الراوي عدم رضاه عن الزمن الذي يعيش فيه، فالمرأة التي حاولت إغراء الراوي، دفعته لأن يقول عنها:" **قحبة ذات حسب ونسب، ولا بد أن لها تاريخا في العهر والفسق**"[3]، ومما يدلل على قمة السقوط أن تعترف المرأة أنها قحبة، فهذه سوزان تعترف للراوي بأنها كذلك، يقول الراوي:" **فقالت وهي تتحسس فخذ خريجة بيروت: لا نحن قحبات فقط**"[4]، ويشتم الراوي الضابط الذي بدأ التحقيق معه بابن الزانية، فهذا الضابط يعرف عن الراوي أكثر مما يعرف هو عن نفسه، يقول: " **ابن الزانية يعرف عني أكثر مما أعرف عن نفسي**"[5]، ومن خلال اللفظ المبتذل يظهر الراوي على لسان سوزان نقمته على الناس، فعندما قاومت المرأة رفضوها، وعندما استسلمت رفضوها، تقول سوزان:" **لأنهم حقا أوغاد ثرت فرفضوني واستسلمت**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص39.

[2] السابق، ص15.

[3] السابق، ص11.

[4] السابق، ص18.

[5] السابق، ص58.

فرفضوني أيضا فماذا يريدون مني؟ فقلت بجرأة: أن تكـــوني عـــاهرة، حينـــذاك يحترمونـــك كزوجاتهم المحترمات"[1]، فكشفت هذه الألفاظ عن حالة الضعف والضجر التي يعانيها الإنســـان الفلسطيني، وعن نقمته على المحتل الإسرائيلي وجيشه، ثم أظهر لوباني من خلالهـــا رفضـــه للناس، الذين ساهموا في تعميق المأساة ورسم معالمها.

المطلب الثالث: السرد

يعد السرد من الموضوعات المهمة التي أصبحت تشغل الروائيين، وتلفت انتباههم؛ لمـــا له من أهمية في العمل الروائي، ونسجه لأحداث الرواية المختلفة، " فهو عماد الخطاب الروائي، وهو صيغة الخطاب التي يختلف بها عن غيره من الخطابات من جهة، وهو من جهـــة أخـــرى المكون الأساس الذي ينظم بقية المكونات الأخرى التي يتضافر معها لتشكيل العالم الروائـــي[2]"، "وهكذا نلحظ أن الالتفات إلى السرد أخذ منذ بداية التسعينات يزداد ازديادا لافتا للنظـــر، حتـــى يمكن القول: إن النتائج التي يحصل عليها المرء من وراء دراسته، تتطلب مـــن دارســـي فـــن الرواية العربية أن يعيدوا النظر في كثير من الدراسات العربية الســـابقة، التـــي عالجـــت فـــن الرواية، وبخاصة أنها لم تكن تلتفت إلى السارد، وتحديد موقعه"[3]. ومن هنا نجد أن الدراســـات الحديثة حول الرواية، ركزت على موضوع السرد وطريقته، لما له من أهمية لا يستهان بها في نجاح العمل الروائي أو فشله، ومن خلال السارد يستطيع الراوي أن ينقل أحداثا لا بـــأس بهـــا، ويصف ملامح الشخصيات، ويعرض أفكارها، فيعد السرد " العنصر الأكثر أهميـــة فـــي نقـــل الخطاب، وإذا كان الموقع الذي يحيله السارد قد مر بمراحل في السرد الروائي العربي آخذ في التطور، متأثرا بدرجات النضج الفني، فمن صورة السارد العليم الذي يتحول إلى بـــوق ينقـــل الخطاب بصورة سافرة، ومن ثم تتحول الشخصيات معه إلى دمى يتحكم هو في رسم ملامحهـــا وأفكارها، إلى راو مشارك في بنية الحكاية، تجمعه علاقة قربى بالشخصيات "[4].

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص108.

[2] يقطين، سعيد: **قضايا الرواية العربية الجديدة**، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010م، ص 140.

[3] الأسطة، عادل: **قضايا وظواهر نقدية في الرواية الفلسطينية**، عكا، مؤسسة الأسوار، ط1، 2002م، ص11.

[4] القاضي، عبد المنعم زكريا: **البنية السردية في الرواية**، عين للدراســـات والبحـــوث الإنســـانية والاجتماعيـــة، ط 1، 2009م،ص149.

وللسرد إمكانيات هائلة في عرض الأحداث، فهو لا يتقيد بـزمن محـدد، أو بمسـاحة جغرافية معينة، فالسارد يجول في أماكن متعددة، ويستطيع أن يتناول الزمن بكـل تفصـيلاته، الماضي والحاضر والمستقبل،" ويعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضورا في النص الروائي، يتحايل الروائي من خلاله على تسلسل الزمن السردي، عندما يقطع زمن السرد الحاضر، ويستدعي الماضي بجميع مراحله، ويوظفه في الحاضر السردي، فيصـبح جـزءا لا يتجزأ من نسيج الزمن السردي"[1]، والسارد في الرواية العربية، ومنها الفلسطينية أيضا، قد يكون ظاهرا في الرواية من أولها إلى آخرها، وقد يكون واحدا من الشخصيات التي تروي الأحداث، وتنقل تفصيلاتها، وتخاطب الشخصيات، وتعبر عن أحاسيسها، وموقفها من الأحداث المختلفـة، ويبقى لكل راو أو أديب طريقته في اختيار الطريقة التي يجدها أصلح لعمله الروائي، " فالكاتب حين يتخذ طريقة أو أسلوبا في كتابة الرواية، فإنه لا يفعل ذلك بناء علـى اختيـارعفوي، يـتم بمقتضاه التمييز بين التقنيات، تبعا لبساطة بعضها أو تعقيد بعضها الآخر"[2]، بل يتبـع أسـلوبا يتناسب مع الأحداث والمواقف والشخصيات التي يريد أن يتناولها.

لقد أخذت الرواية الحديثة منحى جديدا في تعاملها مع السرد، والسرد الجيد هـو الـذي يركز على الجوانب الفنية في الرواية، وليس الذي يقدم قوالب جاهزة، وتقارير وصفية جامدة، " فقد تمردت الرواية الحديثة على الأساليب القديمة في السرد، وتخلت عن الراوي العلـيم بكـل شيء، وعن التقارير الوصفية التي تأتي على لسانه، أو على لسان المؤلف نفسه، وأصبح الكاتب يوصل ما يريد توصيله للقارئ، عن طريق الحبك والتنظيم، والتصميمات الفنية، وتنفيذ الخطط، وليس عن طريق التقارير المباشرة"[3].

إن اللغة الفصيحة لغة المثقف الذي يريد أن يظهر مقدرته اللغوية من خلالها، " والأمر الجدير بالملاحظة أن الكاتب في سرده يحاول توظيف عدد من الوسائل، بغية إثراء سرده، فهو يطعم سرده بالشعر العربي قديمه وحديثه، ويتكئ على المثل العـامي، ويؤشـر علـى فـرق

---

[1] صالح، عالية محمود: **البناء السردي في روايات إلياس خوري**، عمان، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 2005،ص28.

[2] يقطين، سعيد: **قضايا الرواية العربية الجديدة**، ص130.

[3] الكردي، عبد الرحيم: **السرد ومناهج النقد الأدبي**، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م، ص43.

كالقرمطية والصوفية، وعلى أسماء من الثقافة الغربية، ولكن هذا التطعيم وهذا الاتكاء يثري السرد من الناحية المعلوماتية فقط، ولا يغنيه من حيث تلوين الشخصيات وتنغيمها "[1].

وسيطر الراوي المهيمن على سرد لوباني، فهو يعرف المعلوم والمجهول من تاريخ العمل الروائي، ويعرف عن الشخصية أكثر مما تعرفه هي عن نفسها، فالسارد في روايات لوباني ينقل تقارير تاريخية عن أحداث مرت بها فلسطين، مما دفع حبيب بولس إلى توجيه النقد للوباني في هذا المجال بقوله: " مالت الرواية بمحورها الأول (محور النكبة) إلى أن تكون تقارير تاريخية صحفية، بعيدة عن الفنية، فيها الكثير من التكرار، هذا التكرار الذي أبعدها عن الإبداع، وأسقطها في حالة التسجيل والتوثيق "[2]، ومع ذلك تظل روايات لوباني وثائق تحفظ تاريخ شعب شرده الاحتلال، وفرق أوصاله، فقد عرض أحداثا ومواقف تاريخية تجعل الإنسان الفلسطيني أكثر معرفة والتصاقا بواقعه، وتكشف جانبا من المؤامرات التي تعرض لها الفلسطينيون.

لقد ركز لوباني في القسم الأول من رسائله (السقوط) على الأحداث التاريخية بتفاصيلها، ويبدو أن تجربة الكاتب في هذا القسم كانت قليلة في كتابة الرواية، أما القسم الثاني من الرسائل (القلق) وفي الأعمال الروائية اللاحقة، فإننا نجد أن الكاتب قد تخلص من هذا السرد التاريخي، وأعطى دورا أكبر للشخصيات في الحديث عن نفسها، والظروف المحيطة بها، فأصبح السرد على لسان شخصيات عاشت الحياة، واطلعت على تفصيلاتها، فكشفت عن نفسها دون تدخل السارد في ذلك، فيجعل لوباني في روايته (أم الخير) السمهوري هو الذي يقص الأحداث، ويتحدث عن أم الخير وأبي الخير، يقول:" **شايف يا ابني أم الخير وأبو الخير بقوا هون عارف ليش؟ لأنهم لم يستطيعوا الهرب، المقتدر هرب وإلي مش مقتدر بقي هون** "[3]، ويجعل (روكسان) الطبيبة الألمانية تتحدث عن زوجها ذي النزعة الشيوعية، فاستطاع الراوي أن يبرز هذا الفكر من خلال الزوجة (روكسان)، دون أن يتدخل هو في الحديث عن الفكر الشيوعي، "

---

[1] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص132.

[2] السابق، 115.

[3] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص10.

وانهمر صوتها قائلا: كان زوجي يساريا، ويصل إلى حد الفوضوية، كان صوته يتساقط كالصواعق، فنهضت بجذعي الأعلى وقلت: يعني شيوعيا إلى حد ما؟ فقالت بصوت لم يكن خاملا: تستطيع أن تقول ذلك، وأضافت وهي تدعوني إلى النهوض لأتبعها إلى غرفة في الطابق الثاني من المنزل: إنه يملك مكتبة غنية بلغات أربع، الألمانية بالطبع، ثم الروسية، ثم الفرنسية، ثم الإنجليزية، كان رساما بارعا وفيلسوفا "[1]، فأظهر الراوي كل هذه الثقافة التي يتمتع بها الإنسان الشيوعي دون أن يتدخل (فروكسان)هي التي كانت تروي هذه الصفات والأخبار، وتعد هذه نقلة نوعية في فن الرواية عند عيسى لوباني، فقد أعطى للشخصيات في رواياته: (القلق) و(أم الخير) و(شمس وقمر) دورا أكبر بكثير مما أعطاه لشخصياته في (السقوط)، وابتعد في سرده عن النقل التاريخي، والتقارير الجاهزة، في هذه الروايات الثلاث، مما يدلل على تطور قدرة الراوي، وفهمه للجوانب الفنية للرواية.

لقد أظهر لوباني نفسه في القسم الأول من الرسائل أكثر مما أظهر شخصياته الروائية، فجاء سرده لإظهار مقدرته اللغوية، ومخزونه المعرفي، بينما انحصر دور الشخصيات في لعب دور الشاهد على الأحداث، وتكملة السرد، مما أضعف الحوار بين الشخصيات، ولم يعط لوباني دورا رئيسا للشخصيات في القسم الأول من الرسائل (السقوط) في الحديث عن نفسها، وكشف ظروفها التي تعيشها، ومواقفها من الأحداث المحيطة بها، فنجده يعلق على الشخصيات، ويصف أحوالها، "**فاجاب أحد الصديقين، كان مجنونا ومن خلال جنونه رأى الأشياء**"[2]. وفي وصفه لأغصان نجد الراوي يتدخل في وصف ظروفها، وتفاصيل تصرفاتها، يقول: " **وعلى شاطئ البحر الميت، وفي خلوة بعيدة عن الأنظار، خلعت ملابسها بخفة فراشة، وغاصت بالماء المالح حتى السرة، فوحوحت مرتعشة**"[3]، فلم يعط أغصان دورا في الحديث عن نفسها وأحاسيسها، مما أهمل دور الشخصيات في القسم الأول من الرسائل، وأصبحت مجرد دمى يحركها الراوي كيفما يشاء، ويتحكم في ظروفها، ويعلق على تصرفاتها، وهذا الأمر أدى إلى

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص70.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص14.

[3] السابق، ص19.

خنق الحوار، وقتل دور الشخصيات التي كان الأجدر أن تتكلم عن نفسها، وهذا ما جعل حبيب بولس يوجه سهام النقد إلى عيسى لوباني على هذا الصعيد، يقول:" نجد في الغالب أن شخصية المؤلف قد طغت على الشخصيات كافة، بحيث ظهر مستوى السرد في مستوى الحوار، الأمر الذي أضر بالحوار، وأفقده وظيفته الرئيسية، فبدل أن يظهر عمل الحوار الحقيقي في رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة، ومشاعرها الباطنية تجاه ما يحدث، وتجاه الشخصيات الأخرى في الرواية، نراه يستخدم فقط لاستحضار الحلقات المفقودة من الحوادث التي يرويها الكاتب / الراوي من ذاكرته"[1]، وهذا الأمر جعل ضمير المتكلم يطغى على سرد الراوي، وكأن القارئ يقرأ سيرة ذاتية له، وللأحداث التي مر بها، فكان هنا إغفال لدور الشخصيات، وقد نجد عذرا لعيسى لوباني في هذا الأسلوب من الكتابة، بأن تجربته في كتابة الرواية في القسم الأول من الرسائل (السقوط) كانت حديثة، وكل بداية لا تخلو من الهفوات، ولكن الأعمال التي تلت القسم الأول وهي(:القلق) و(أم الخير) و (شمس وقمر)، نجد فيها أن الكاتب تجاوز هذه النقطة، وأصبحت رواياته أكثر فنية وإبداعا، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت لعيسى لوباني في القسم الأول من الرسائل، فإن عيسى لوباني وثق في سرده كثيرا من الأحداث التي مرت بها فلسطين، ووضح بعض الظروف التي أحاطت بالقضية الفلسطينية، والمؤامرات التي تعرض لها الفلسطينيون، ووصف عنجهية المحتل الإسرائيلي وقسوته، وهذه إيجابية تحسب للأديب.

المطلب الرابع: الزمان والمكان

يعد الزمان والمكان عنصرا الرواية المهمان، وهما أحد المكونات الرئيسة في بناء الرواية، فكل رواية ينبغي أن تنطلق من نقطة مكانية معينة، في زمان معين، فللزمان دلالته التي تكسب العمل الروائي قيمة أكبر، وهو" أحد الركائز الأساسية التي يرتكز عليها العمل الأدبي، ولا سيما الرواية، فهي تحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات، ولا يهم

[1] بولس، حبيب: **الرحلة الثالثة**، ص133.

إن كان المكان حقيقيا أو خياليا من نسج الكاتب "[1]، ويرى ياسين النصير أن المكان في الرواية يشكل " الأرضية التي تشد جزيئات العمل كله، فهو إن وضح وضح الزمن الروائي، وإن درس بعناية فهمت الشخصية، وإن تناوله الروائي بصدق تاريخي، وصدق فني مكن عمله من أن يمتد في التاريخ"[2]، ولا يمكن لنا بطبيعة الحال أن نفصل بين الزمان والمكان فهما مرتبطان ارتباطا وثيقا، فالمكان ينبغي أن يحصل في زمان معين، والزمان لا بد له من مكان يحتويه، "وإن البعد المكاني في الإيقاع الروائي هو الذي يمنح البعد الزماني قيمة ومذاقا ودلالة وحضورا وصيرورة"[3]، ولقد ركز الروائيون الفلسطينيون على المكان الذي تجري فيه أحداث العمل الروائي، باعتبار المكان وهو الأرض الفلسطينية، نقطة الصراع الجوهرية بين الفلسطينيين واليهود،" وقد برز الكان بصورة واضحة بعد نكبة 1948، وبرزت الأرض، وبرز المخيم والبحر، وتشكلت مع هذه الأماكن علاقات متنوعة، تصل؟ أحيانا إلى القدسية، إذا كان المكان فلسطينيا"[4]، فحرص عيسى لوباني على وصف مكونات المكان وتفاصيله، باعتباره صاحب هذا المكان، ويعرف كل تفصيلاته، وتخليدا للأمكنة في نفوس الفلسطينيين من الأجيال القادمة، حتى لا تنسى الأمكنة التي سيطر عليها الصهاينة في حرب العام 1948.

ويمتد المكان في روايات لوباني ليشمل المدن والقرى الفلسطينية المختلفة، ومنها: الناصرة بمقاهيها وحاراتها، ويافة الناصرة التي فيها بيته ويسكن فيها، وكذلك اللد والرملة ورام الله والقدس والمجيدل وعكا وحيفا ويافا وغيرها من المدن الفلسطينية. وهذه المدن تشكل مكان الفلسطيني الذي يعيش فيه، ثم جاء من يسيطر عليه، ويحكم قبضته الحديدية، ويستولي على القسم الأكبر منه.

---

[1] شاهين، أسماء: **جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001، ص15.

[2] النصير، ياسين: **الرواية والمكان**، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر، ط2، 2010، ص9.

[3] ياغي، عبد الرحمن: **في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية**، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص181.

[4] عودة، علي محمد: **الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية 952-1982**، د.ن، ط2، 1997، ص13.

وقد ركز عيسى لوباني في حديثه عن المكان على الأرض التي يفلحها الإنسان الفلسطيني، من خلال العمل في البيارات التي استولى عليها الصهاينة بالقوة، فأصبح الفلسطيني فيها مستأجرا، يحصل على الفتات مما تجود به نفس اليهودي الذي سيطرعليها، وخلال ذلك يصف المعاناة والمكابدة التي يواجهها الفلسطيني داخل أرضه، فيصف الراوي معاناته في قطف الزيتون في صفورية، فالأرض لأصحابها الفلسطينيين الذين أصبحوا عمالا فيها، وحتى ما يعملون به من جهد، نجد أن الرجل المكلف بالميزان يخدع الراوي ورفاقه، ويأكل عليهم حقوقهم، فيخاطب الراوي خالد قائلا: " **خالد أتعرف أن صاحب القبان يسرقنا؟ ففوجئ واشرأب بوجهه إلي وسأل: كيف؟ فقلت دون تردد: بسيطة حينما نزن الزيتون بعلم القبان مثلا على ستة وخمسين كيلو غراما، فيسجل خمسين كيلو غراما، ولا أحد ينتبه، فاهم لقد راقبته** "[1].

ولقد أولى عيسى لوباني أهمية كبيرة للقرية في رواياته، فمجمل الأحداث في الروايات كانت في القرية، فكانت معرفته لفاطمة فيها، وكذلك معرفته لصابرين، ولقد شكلت القرية أهمية بالغة في حياة الإنسان الفلسطيني، وكان القرويون الأكثر تضررا من النكبة؛ لأن الصهاينة حاولوا تصفية هذه القرى؛ لأنها النقاط الأضعف، وإمكانات الناس فيها بسيطة، وكانت القرية تملك المساحة الأكبر من الأرض، وهدف الصهاينة هو السيطرة على الأرض والاستفادة منها. أما المدينة عند عيسى لوباني فكانت المكان الأكثر سوداوية في أعماله الروائية، ففيها تحصل كل الموبقات، وتخترق كل العادات والتقاليد التي حكمت الفلسطينيين، ففي المدينة يمارس الراوي علاقاته الجنسية، وفي مدينة الناصرة أقام علاقته مع المرأة المتزوجة جوهرة، واخترق كل الحدود التي توقف عندها الفلسطينيون، وفي المدينة يروي الراوي حكايات تشيب لها الرؤوس عن حالات الاغتصاب لبعض النساء، فعلى الرغم من حضور المدينة في الروايات، إلا أن هذا الحضور كان سلبيا في أغلب الأحيان.

أما في رواية شمس وقمر فكان التركيز على المكان الذي لجأ إليه الفلسطيني قسرا، وقد مثل الراوي هذا المكان بمدينة فرايبورغ الألمانية، حيث ينتقل في هذه الرواية إلى هذه المدينة

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص38.

الألمانية، ومن خلالها يوضح آلام الفلسطينيين ومعاناتهم في الغربة. أما الزمان فلم يحدده الراوي بتفصيلاته، " فالرواية في زمنها الموضوعي هي رحلة إلى أوروبا، مدينة فرايبورغ الألمانية تحديدا، يقوم بها الراوي البطل، الذي لم يذكر له اسم على امتداد الرواية، حيث يقضي فترتها التي لم يحدد لها تاريخا، ولكن يستشف من أحداث الرواية أنها حدثت في أوائل تسعينات القرن الماضي، ولم تحدد مدتها، ولكن مما يستشف كذلك يفترض أنها ربما تعدت الأيام إلى الأسابيع، ولكن تأكيدا ليس إلى الأشهر؛ لإن الإقامة مكلفة، تفوق قدرات الراوي /البطل الاقتصادية كما قال عندما طلب منه أن يمدد إقامته في نهاية الرحلة/الرواية "[1].

ويمتد الزمان في روايات لوباني ليشمل النكبة وما بعدها حتى اليوم، والكاتب يتنقل في زمان الروايات من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى الماضي، متلاعبا بالزمن من استرجاع الذاكرة والمونولوج الداخلي، فأحيانا تفرض عليه الأحداث وكلامه مع الشخصيات أن يسترجع بعض الأمور التي حصلت في الماضي مع الراوي، وإن استخدام الزمان والمكان في روايات لوباني أعطى هذين العنصرين أهمية كبيرة في العمل الروائي، من خلال تخليد المكان الذي تحدث عنه لوباني، فالمكان الذي يعيش فيه الفلسطيني ليس كأي مكان آخر، فهو أغلى ما يملك، وهو نقطة الصراع الأولى بين الفلسطينيين والصهاينة، ولقد خلد لوباني الأمكنة التي دارت فيها أحداث الروايات، وجعلها حاضرة باستمرار في ذاكرة الإنسان الفلسطيني، وخصوصا مع عمليات الطمس، وتغيير الأسماء العربية التي ينتهجها المحتل الإسرائيلي، أما الزمان فهو من أصعب الأزمنة التي مرت بالفلسطيني، وعانى من خلاله الظلم والقهر والجوع والتشريد، في بقاع الأرض المختلفة، فأراد تصوير زمن يكاد البعض ينسى قسوته وظلمه، ومكان كادت آثاره تندثر وتتلاشى.

[1] هيبي، محمد: مقال بعنوان (شمس وقمر وعيسى لوباني الطائر القلق والعاشق المأزوم)، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة www.aljabha.org.

المبحث الثامن

التناص

لا يستطيع الإنسان أن ينفصل عن تراثه وتاريخه، فلا بد أن يمد جسور التواصل مع هذا التراث، فهو الصفحة المشرقة من تاريخ أي شعب من الشعوب، والشعب الفلسطيني الذي يعاني من طمس الهوية، هو الأجدر بالعودة لتراثه وإحيائه، ويعطي استخدام التناص في العمل الأدبي العمل " عراقة وأصالة، ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاءة "[1].

ويعد مصطلح التناص من المصطلحات الحديثة في الدراسات النقدية، فكان (ميخائيل باختين) من أوائل الذين تناولوا هذا الموضوع، ثم تبعته (جوليا كريستيفا)، التي عرفت التناص بأنه " لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى "[2].

وإذا أراد الأديب أن يتواصل مع جمهوره، فلا بد من توظيف النصوص التي يجتمع عليها الناس، والإنسان الفلسطيني يجتمع حول نصوص ظلت تمثل له خصوصية حتى العصر الحاضر، ومنها: النصوص الدينية، والنصوص الأدبية، والنصوص الشعبية، وغيرها من النصوص التي تجمع الناس، وتشركهم في أحداث العمل الأدبي.

ولقد وظف عيسى لوباني في أعماله الروائية نصوصا كثيرة من التراث الديني والأدبي والشعبي، وهذه النصوص جعلت المتلقي على اختلاف ثقافته، يشارك الراوي في أحداث الروايات، ويشعره أنه قريب منها، ويقربها أكثر من الواقع، فكان التناص عند لوباني إما بذكر النصوص صراحة، أو التلميح إلى بعض النصوص الأخرى، ولهذه النصوص خصوصية في العمل الروائي. ولقد حرص لوباني عند كتابته لرواياته، أن يوظف المرجعيات المختلفة، الدينية والشعبية والأدبية، التي تكسب النص مزيدا من الإثراء والواقعية، ولقد جاء التناص في روايات لوباني على أنواع مختلفة هي:

---

[1] زايد، علي عشري: **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، القاهرة، دار الفصحى، 1978، ص128.

[2] الغذامي، عبد الله: **الخطيئة والتكفير**، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1985، ص222.

المطلب الأول: التناص الديني

لجأ عيسى لوباني إلى النص الديني؛ لما يمثله هذا النص من خصوصية في حياة الإنسان الفلسطيني، وأظهر من خلال توظيفه للنصوص الدينية اطلاعا واسعا، وثقافة دينية غنية، فيوظف الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، إما بلفظها الصريح، أو توظيف بعض الكلمات منها، وجاءت الآيات والأحاديث خدمة للأفكار التي يطرحها في النص الروائي، ويستخدم هذه النصوص لتعميق الدلالات وإغنائها، لذلك كان لوباني مدركا لأهميتها، فالقرآن الكريم يثري لغته الروائية، ويجعل الأفكار التي يطرحها أقرب إلى عقول الناس، وأشد تأثيرا على قلوبهم.

القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، التي تحدى الله بها البشر، لذلك كان عيسى لوباني مدركا بأن القرآن الكريم فن بلاغي معجز، يكون تأثيره في الناس أكثر من غيره من النصوص، لذلك حرص على توظيف آيات من القرآن الكريم في رواياته، وهذه الآيات جاءت داعمة للفكرة التي يريد أن يطرحها، مما يجعل تقديمه للأفكار أكثر إقناعا وتوضيحا للقارئ، وطريقة عيسى لوباني في توظيف القرآن الكريم جاءت على طريقتين الأولى: الاقتباس من القرآن الكريم، وتوظيف الآيات القرآنية بحرفيتها، وتدعيم النصوص الروائية بها، والثانية: التحوير البسيط في الآيات من خلال تغيير كلمات من نص الآية الموظفة في العمل الروائي.

فيقتبس لوباني آيات من سورة الفلق؛ ليبين جمال سوزان، فهو يستعيذ بالله لئلا يحسدها أحد، فهي في أقصى درجات الجمال، فيقتبس الآيات " **قل أعوذ برب الفلق* من شر ماخلق* ومن شر غاسق إذا وقب** "[1]، ويقتبس الرجل العجوز آيات من القرآن الكريم لبيان ظلم الزمن لزوجته، فيروي القصص للراوي عنها، فزوجته التي عانت الظلم والقهر، جعلته يقرأ قوله

[1] **الفلق**، آية (1-3) / عيسى لوباني، **السقوط**، ص18.

تعالى:" **وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت** "[1]، فالمرأة عانت خلال الحرب وقتلت، ويستشعر هذا العجوز معاناتها، ويبين ظلم الزمان لها.

ويرى الراوي أن الوضع الذي وصل إليه الفلسطينيون هو مما كسبته أيديهم، فلن يتغير حالهم حتى يغيروا ما في نفوسهم، فبعض الفلسطينيين شارك في المؤامرة، وتخاذل في نصرة إخوانه، بل عمد بعضهم إلى قتل إخوانه الفلسطينيين الأبرياء، فيرى الراوي أن هذا الحال لن يتغير إلا إذا غير الفلسطينيون أنفسهم، فيقرأ قوله تعالى: " **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** "[2]، فجاء اقتباسه لهذه الآية تأكيدا على الفكرة التي يريد إيصالها، فيدعم بالآية فكرته التي يريدها.

ويدخل الراوي في حوار مع أبي العلاء المعري، من خلال كتبه أثناء قراءته لرسالة الغفران، وهذا الحوار حول المرأة، وما يمكن أن تصنعه المرأة في حياة الإنسان، فهي مهيأة ليعيش معها، ويسر بمنظرها، وفي نهاية الحوار يقرأ أبو العلاء المعري، قوله تعالى:" **وجعلناهن أبكارا* عربا أترابا *لأصحاب اليمين** "[3].

ويستمع الراوي لذلك الشيخ وهو يقرأ قوله تعالى: " **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** "[4]؛ ليظهر أن هذين العنصرين ذهبا من حياته، فالمال لم يعد موجودا، والأبناء تركوا والدهم ورحلوا إلى بلاد أخرى، فلم يعد للفلسطيني من زينة يتزين بها، فيقتبس جزءا من الآية " **المال والبنون زينة الحياة الدنيا* والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** "[5].

لقد كان الحديث عن المقاومة في فترة سقوط فلسطين وسوسة شيطان، لا يمكن أن تأتي بشيء، فعندما خطب الإمام في الناس وقال لهم:" **لقد بلغ السيل الزبى يا ناس**"[6] لتحريضهم على

---

[1] **التكوير**، آية 8،9 / عيسى لوباني، **السقوط**، ص123.

[2] **الرعد**، آية 10 / عيسى لوباني، **السقوط**،ص88.

[3] **الواقعة**، آية 26،27 / عيسى لوباني، **السقوط**،ص80.

[4] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص289.

[5] **الكهف**، آية 45.

[6] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص35.

مقاومة اليهود، أدرك أن الناس لا يملكون شيئا من القوة يدافعون من خلاله عن أنفسهم، فتراجع مباشرة، وقرأ قوله تعالى:" **قل أعوذ برب الناس من شر السواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس**"[1]، وكأن الذي قاله منكر ينبغي التراجع عنه سريعا، فالحالة التي عليها الفلسطينيون، حالة صعبة تفوق كل التصورات، فاقتبس الإمام بعضا من آيات سورة الناس، يقول تعالى:" **قل أعوذ برب الناس* ملك الناس* إله الناس* من شر السواس الخناس* الذي يوسوس في صدور الناس**"[2].

وعندما علق أبو إلياس يافطة على باب دكانه وكتب عليها: ممنوع الدين والرزق على الله، جاء سميح فمسح كلمتي (على الله) وكتب مكانها (على قفا فاطمة رشدي)، فعلق أبو الشبل على ماهو مكتوب ساخرا، فهجم عليه أبو الياس، فقرأ ابو الشبل آية من سورة العلق:" **اقرأباسم ربك الذي خلق**"[3]. وهذا التوظيف جاء ليبرز حياة الناس وبساطتهم في التعامل مع الأحداث.

ويقرأ أحد الرجال وهو يبكي " **والتين والزيتون وطورسينين* وهذا البلد الأمين**"[4]، فيسأله أحد الرجال عن سبب بكائه، فيروي هذا الرجل المأساة التي حلت بقريته (نورس)، فقد كانت كروم الزيتون فيها عامرة، فتركها هو وعائلته ليعيشوا حياة الفقر والتشرد، فجاء هذا الاقتباس من القرآن الكريم؛ لتوضيح أهمية هاتين الشجرتين، فهما تمثلان تاريخ الإنسان الفلسطيني، ووجوده على هذه الأرض، ومصدرا مهما من مصادر الدخل بالنسبة له، فجاء هذا الاقتباس لتأكيد هذه الأهمية، وتثبيتها في نفوس الناس.

ولقد أوحل بعض الفلسطينيين بعد النكبة في الخيانة والتواطؤ، فيدور حوار بين أبي معروف والمختار، يظهر من خلاله تاريخ كل منهما المتواطئ، وترتفع الأصوات بينهما، كل يحاول أن يدافع عن نفسه، فدفع هذا الحوار أبا صالح لأن يتلو قوله تعالى:" **فمن يعمل مثقال**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص35.

[2] **سورة الناس**، آية (1-6).

[3] **العلق**، آية 1 / عيسى لوباني: **القلق**، ص57.

[4] **التين**، آية (1-3)/ عيسى لوباني: **القلق**، ص99.

ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[1]، فالـذين خـانوا فلسـطين سيحاسـبهم الله، وسيحاسبهم الفلسطينيون، وجاء هذا الاقتباس تأكيدا على محاسبة الله والنـاس للخـائنين مـن الفلسطينيين.

وطريقة لوباني الثانية في توظيف القرآن الكريم هي التحوير البسيط علـى نصـوص الآيات، واستخدام الألفاظ العادية مع ألفاظ القرآن الكريم في تكوين الجمل، فمفـردات القـرآن الكريم لها القدسية الواضحة في العمل الروائي، وفيها القدرة على اختراق عقول النـاس، ممـا يشعرهم بأنهم أكثر إلتصاقا بالعمل الروائي الذي يقرأونه، ويجعل فيه واقعية أكثرمن النصوص الأخرى. فنجد ألفاظ القرآن واضحة في قول الراوي:" **إنها شبيهة بخمارة السوء نهرب منها، ونبحث عنها ونذيب فيها كدرنا، ونشربه حتى الثمالة، ونحن نصيح: هل من مزيد**"[2]، فيستخدم الراوي (هل من مزيد) في كلامه، ونجد فيه تأثرا بقوله تعالى:" **يوم نقول لجهنم هل امـتلأت* وتقول هل من مزيد**"[3].

ومن توظيف مفردات القرآن الكريم، ما جاء في مضمون الرسالة التي أرسلتها سـحر من غربتها، وتقول فيها:" **ندمت، شقاؤك حياة، وجنونك عقل أفتقر إليه، في هذه الغربة النائية، حيفا في القلب، وماؤك الدافق من بين الصلب والترائب مياه الأنهار المقدسة التي عمدتني بها لسنوات**"[4]، وهنا نجد تأثر عيسى لوباني بمفردات القرآن الكريم في قوله (وماؤك الدافق من بين الصلب والترائب)، وهذه المفردات التي وظفها نجدها في قوله تعالى:" **فلينظر الإنسان مم خلق* خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر** "[5].

ويصور الراوي أحد الرجال الذي يهرب بطفله، ويريد هذا الطفل أن يشـرب المـاء، فيخاطبه الراوي أن يسقي الطفل من عين العذراء، فيرد ذلك الرجل:" **الأرض زلزلت زلزالهـا،**

---

[1] **الزلزلة**، آية 7،8 / عيسى لوباني: **القلق**، ص202.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص7.

[3] **ق**، آية 29.

[4] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص9.

[5] **الطارق**، آية (5-8).

والسماء أيضا "[1]، وهنا يتأثر الراوي بقوله تعالى:" **إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها** "[2]، ويظهر من خلال هذا التوظيف أن الذي حدث للفلسطينيين في النكبة يكاد يشبه أحداث يوم القيامة، فالوالد لا يلتفت إلى ولده، وكل شيء على وجه الأرض أصبح مختلفا عن ذي قبل.

ومن التأثر بألفاظ القرآن الكريم ما جاء على لسان الراوي:" **مصيدة تراثنا الذي فرغه من كل مضمون، ولم يبق فيه سوى الحجاب، وهل الأذن جزء من الوجه، والبهتان الذي يأتي من بين أيديهن أو أرجلهن** "[3]، وفي حديث الراوي عن المرأة، نجد تأثره بألفاظ القرآن الكريم ومفرداته في قوله تعالى:" **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم**"[4]. ومن خلال التوظيف أراد أن يظهر تفكك المجتمع والآفات المنتشرة فيه.

ومما سبق نجد أن القرآن الكريم رافد مهم من روافد أعمال لوباني الأدبية، حيث عملت نصوص القرآن الكريم على إثراء لغة لوباني، وإضفاء مزيد من القدسية عليها، فتوظيف لغة القرآن الكريم يرفع النص الأدبي، ويعلي من شأنه.

الحديث النبوي

لا تقل أهمية لغة الحديث الشريف عن لغة القرآن الكريم، فالحديث هو المصدر الثاني من التشريع الإسلامي، وكلام أفضل البشر محمد عليه السلام، وألفاظه لها القدسية الخاصة، ومعانيه مليئة بالنصائح لبني البشر، لذلك كان لوباني على علم بهذه الأهمية، فنجده في رواياته يوظف لغة الحديث الشريف، إما بذكر كلمات من نصوص الأحاديث، وتوظيفها في نصوصه

---

[1] لوباني، عيسى:**القلق**، ص210.

[2] **الزلزلة**، آية (1-3).

[3] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص95.

[4] **الممتحنة**، آية 11.

الروائية، أو أخذ مقاطع من الأحاديث ودمجها على لسان الشخصيات؛ لتدعيم مواقفها من الحوادث المختلفة، ويظهر تأثر لوباني بالحديث النبوي بقول الراوي على لسان قاسم: " **قال وهو يشرب ويشرب: الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، فقلت في نفسي بدأ يهذي**"[1]، وهنا نجد تأثرا بألفاظ الحديث، واقتباس جزء من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:" **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**"[2]. وجاء توظيف جزء من الحديث في الرواية ليمد الراوي قاسم بالمساعدة، فقاسم هاجر من العراق، وابتعد عن أهله، وأراد من الراوي أن يعينه، وهي دعوة لكل الناس بأن يمدوا يد العون للمهجرين، فوظف جزءا من الحديث.

ونرى الراوي يتأثر بمفردات الحديث الشريف حينما قال: " **أمس قرأت قول ابن القارح في رسالة الغفران: لا عربدة في الجنان، إنما يعرف ذلك في الدار الفانية بين السفلة والهجاج، فقلت وقد فطنت إلى حديث نبوي: من تعزا بعزاء الجاهلية فليس منا**"[3]، وهنا نجد التأثربالحديث الذي روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم:" **من تعزا بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**"[4]، وروي حديث آخر قريب من هذا اللفظ عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " **من لم يتعز بعزاء الله فليس منا**"[5]، ويبدو أن لوباني يملك ألفاظ الحديث النبوي، ولكن هذا اللفظ لم يأت به بصورته الصحيحة.

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص65.

[2] مسلم، أبي الحسين بن حجاج: **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ج4، ط2، 1972، ص2074.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص87.

[4] ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج3، ص233.

[5] السابق، ص233.

المطلب الثاني: التناص مع الموروث الشعبي

يعد استخدام الموروثات الشعبية من أهم الوسائل التي يلجأ إليها الأديب، حيث إن التناص مع الموروث الشعبي له أهميته التي لا يمكن إغفالها في العمل الروائي، فهي تتغلغل في أعماق الإنسان الفلسطيني، وتحرك مخزون الذاكرة لديه، ونجد أن عيسى لوباني يوظف الموروثات الشعبية، من أمثال وأغنية شعبية؛ لما لهذين اللونين من خصوصية في حياة الإنسان الفلسطيني، فالأمثال تنقل تجربة الحياة اليومية للناس، وتجعلهم أكثر التصاقا بها. ثم يوظف الأغنية الشعبية، وتأتي هذه الأغنية تعبيرا عن الحالات التي تعيشها الشخصيات في العمل الروائي، لذلك نجد أن التناص الشعبي يأتي:" بهدف الوصول إلى وجدان الناس، من خلال أشيائهم وحياتهم فيحركهم ليبقى الالتصاق أشد وأقوى، ويستمر الأثر في النفس أكثر توهجا"[1]، ويستطيع الراوي أو الأديب أن يوصل من خلال توظيف الموروثات أفكارا ومواقف عجزت عن توصيلها فنون الكلام الأخرى، فهذه الموروثات تترك الأثر الأكبر في نفس المتلقي، وتجعله أكثر قربا من أحداث العمل الروائي، وكأنه واحد من شخوصها، ويشارك في نسج أحداثها، لذلك: " ليست عملية استخدام الموروثات الشعبية، والتراث الديني والأدبي، إلا وسائل مساعدة للشاعر، من أجل توصيل ما يريده للمتلقين، وهو بدرجة عالية من التأثير والفعالية أي التحريض"[2]. من هنا كان تركيز لوباني في توظيفه للتناص الشعبي على جانبين مهمين هما:

1- الأغنية الشعبية

يلاحظ الدارس للرواية الفلسطينية أن الأغنية بشكل عام حاضرة فيها، فثمة أغان يقدمها الراوي " على لسان الشخصيات؛ تعبيرا عن الحالات المختلفة التي يمر بها الناس، وتندرج هذه الأغاني في الأطر السياسية والاجتماعية "[3]، وإن المتتبع لروايات عيسى لوباني يلحظ توظيفه للأغاني الشعبية العربية والفلسطينية، وتأتي هذه الأغاني " تعبيرا عن الحالات المختلفة التي

---

[1] الجندي، سمير: **الرواية الفلسطينية والتراث (روايات ديمة السمان نموذجا)**، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع ط1، 2011، ص205.

[2] أبو نضال، نزيه: **الشعر الفلسطيني المقاتل**، ص100.

[3] حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، اتحاد الكتاب العرب،1999، ص211.

تعايشها كل شخصية، حيث تحتفي اللغة العامية لتلك الأغاني – التي تنتمي لمراحل زمنية مختلفة – ببعض الهموم الاجتماعية والسياسية المشتركة "[1]، ويوظف عيسى لوباني مفردات الأغنية الشعبية على لسان سحر، حينما بدأت تغني عند باب المغاربة، وتقول:" **عبرت الشط على موجة، وإنت على راسي، ومشت خطوات، وقد بان حملها للقاصي والداني، وأردفت تغني بصوت شجي أبكى رواد المقهى هناك: بس لا تجرح إحساسي**"[2]، فتوظيف الأغنية هنا جاء للتعبير عن المشاعر التي تحملها تجاه الراوي، فهي تحبه حبا شديدا، ولكنها تخاف في نفس الوقت أن يهجرها ويتركها، فغنت هذه الأغنية؛ تعبيرا عن مشاعرها الصادقة تجاه الراوي، ونجد الراوي يوظف جزءا من أغنية جوليا بطرس، عندما سمع من الشيخ ممارسات الاحتلال ضد الفلسطينيين فحتى المنديل الأزرق صادروه، ولم يبق للفلسطينيين سوى المنديل الأبيض ليرفعوه للاستسلام، يقول الشيخ:" **لم يبق عندي سوى المناديل البيضاء، فصحت بأعلى صوتي مغامرا لأن المخبرين والمخبرات يجوبون الشوارع كالغبار**"[3]، فيصل الراوي إلى قناعة تامة إلى أن هذا الليل لن يطول طويلا، وسيزول المحتل وممارساته، فيغني أغنية جوليا بطرس " **طالع فجرك يا هالليل**"[4].

وحينما يعبر الراوي عن حالة الحزن التي يعيشها الإنسان الفلسطيني، وقد تقطعت به السبل، ولم تعد حياته تطاق، يوظف الأغنية للتعبير عن هذه الحالة، يقول الراوي:" **وبكت وبكيت معها، وصوت شجي يملأ القباب والمآذن بالشجر والحزن والدموع، جسر الحديد انقطع من دوس رجليا، فقال: وهل بقي لك ساقان حتى تدوسي بهما على جسور الحديد**"[5].

ونرى الراوي يعجب بسحر وبصوتها، فهو قريب منها، ويشعر بها، فعندما يجلس أمام والدها، ويحدثه عن حكايات الزمن الماضي، تتجول سحر في فناء البيت، ويشتم رائحتها الطيبة، وهنا يظهر أنه تعلق بها إلى درجة العشق، فنراه يوظف أغنية لسيد درويش للتعبير عن العشق

---

[1] العيلة، زكي: **المرأة في الرواية الفلسطينية**، ص202.

[2] لوباني عيسى: **السقوط**، ص44.

[3] السابق، ص 62.

[4] السابق، ص62.

[5] السابق، ص41.

الذي يكابده، فيقول: " **والراديو القديم في زاوية الغرفة يغني لسيد درويش: أنا هويت وانتهيت وليش بقى لوم العذول، وكم طربت وأحسست بأهميتي في عيني سحر**"[1]، وحينما يميل قلب زكية إلى الراوي، نجدها توظف أغنية ليلى مراد؛ للتعبيرعن حبها له، فتغني وهي في المطبخ[2]:

يـــا أعـــز مـــن عينـــي قلبـــي لقلبـــك مـــال
شـــاريك وشـــاريني وإيـــش يعمـــل العـــزال

وحين يتحدث الراوي مع مضيفه اللبناني، يستشعرمضيفه آلام الغربة التي يعاني منها في ألمانيا، وحنينه إلى وطنه، ومدنه التي هجر منها، وتتولد قناعة عند هذا الرجل بأنه سيعود إلى أرضه ووطنه، ولتأكيده على ذلك يغني جزءا من أغنية فيروز، يقول الراوي:" **وتنهد طويلا ثم شرع يدندن بصوت متهدج حزين: سنرجع يوما إلى حينا** "[3].

وحين لا يعرف الإنسان المكان الذي سيلجأ إليه، ويستقر فيه، نرى (روجينا) تتكلم عن والدها فتقول: " **أما أغاني عبد الوهاب، فلم يتقن منها سوى بعضها وخصوصا: يا وابور قولي رايح على فين** "[4]، فجاء توظيف الأغنية تعبيرا عن عدم معرفة الإنسان بمكان استقراره، وخصوصا إذا ترك وطنه وذهب إلى بلاد الغربة، فوالد روجينا كان مدركا بأن الأيام يمكن أن تقذفه إلى بلاد بعيدة لا يعرفها.

وحينما يعتقل سعيد، ويختطف من مدرسته، يأتي من ينقل لزوجته هذا الخبر، فتخرج من بيتها، لتذهب وتسأل عنه، وفي أثناء توجهها إلى مكان اعتقاله، يترامى إلى سمعها صوت يغني[5]:

عالحنا عالحنا يا حنا يـا قطـر النـدى
شباك حبيبي يا عيني جـلاب الهـوى

---

[1] لوباني، عيسى: **القلق**، ص10.
[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص59.
[3] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص65.
[4] السابق، ص88.
[5] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص57.

وهنا وظف الكاتب هذه الأغنية للتعبير عن المعاناة التي يمكن أن تلحق بزوجة سعيد جراء اعتقاله، فمعتقله جلاد لا يرحم، فأظهر الراوي من خلال الأغنية معاناة زوجة سعيد، والمصائب التي حلت عليها بسبب اعتقاله.

2- الأمثال الشعبية

يلجأ عيسى لوباني في رواياته إلى توظيف لغة المثل؛ لما له من أهمية في تدعيم لغة العمل الروائي، فهو يعمل على" تصوير الشخوص بدقة وصدق، ويكشف عن ملامحها الاجتماعية و العقلية "[1]، وترد هذه الأمثال بصورة عفوية على ألسنة الشخصيات الروائية، وهذا يجعل لغة الرواية، قريبة من واقع حياة الناس، وتعبر عن همومهم، وتكشف عن تصرفات الشخصيات، أضف إلى ذلك إلى أن الأمثال الشعبية ترصد " تطور الوجدان الشعبي تجاه الظروف المحيطة، وليس المثل سوى خلاصة تجربة معاشة، أو مسموع بها، لخصت وضعا معينا، وصارت صالحة للتعايش مع زمن جديد"[2]، ونلحظ في روايات عيسى لوباني توظيفه للمثل في اتجاهين: الأول توظيف المثل الفلسطيني الذي يتداوله الناس في حياتهم اليومية، ويعكس تصرفاتهم تجاه الأحداث، والاتجاه الثاني توظيفه لمجموعة من أمثال العرب، وكلا الاتجاهين يدعمان سير أحداث الروايات، مما يقرب هذه الروايات أكثر إلى الواقع الذي يعيشه الناس، فنجد لوباني يوظف عددا لا بأس به من الأمثال، وكان كل مثل داعما لكل موقف تتحدث عنه الشخصية، ولذلك" فإن استخدام المثل الشعبي بما يحمله من دلالات شعبية في السرد الروائي، أو على ألسنة الشخوص، يمكن أن يخرج بالجو الروائي من التاريخية التي تظهرها اللغة المحددة غير المحملة بدلالات مسبقة، إلى المعاصرة التي تظهر في استخدام المثل الشعبي بما يحمله من حس شعبي"[3]، فعندما ينظر الراوي إلى الحال الذي وصل إليه الفلسطينيون، يجد أنه في غاية الصعوبة، فنراه يستعرض المثل لتوضيح هذا الحال، فيقول:" **وأضفت بعد جهد،**

---

[1] العيلة، زكي: **المرأة في الرواية الفلسطينية**، ص201.

[2] حطيني، يوسف: **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، ص215.

[3] سليمان، سعيد شوفي محمد: **توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ**،مصر الجديدة، ايتراك للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص337.

والغصة تملأ حلقي بدموع متخثرة، ولكنها مالحة ملوحة مياه البحر الذي كنت أحبه وأعشقه: أكثر من القرد، ما مسخ ربك"[1]، فلم يعد للفلسطيني ما يخسره بعد الحرب، وهذا القول يتطابق مع المثل الفلسطيني:" أكثر من هالقرد ما سخط الله"[2]، ونجد أن لوباني يدمج المثل في العمل الروائي بتحوير بعض الكلمات، أو توظيف المثل كما يتداوله الناس في حياتهم اليومية.

وحينما يجوب الراوي أزقة قريبة يرى فيها وجوها غريبة، لم تعرف التشرد يوما؛ لأنها كانت تعيش في المدن، وعندما يتغير حال هؤلاء نجد الراوي يقول:" **الكل يسير بحذر في الأزمة المتربة، وبعضهم يلبس البدلة والنظارة والحذاء اللامع،الذي لم يعرف في يوم من الأيام الغبار فضحكت في نفسي وقلت: جاك يا بلوط مين يعرفك**"[3]، فيوظف الراوي المثل الفلسطيني "أجا مين يعرفك يا بلوط"[4]، للتعبير عن هذا الحال.

وعند دخول الراوي في حوار مع جاره غير المثقف، نجد أن لغة المثل تطغى على حواره، فهو يحاول أن يطمئن الراوي؛ لأن الذي سيحصل معه، سيحصل مع غيره من الناس فنراه يقول: " **أتعتقد أنني غير خائف، أنا خائف أيضا على نفسي، وعلى أولادي وبناتي، ولكن لا أترك الخوف يقض مضجعي ليل نهار، حط راسك بين هالروس واندە يا قطاع الروس**"[5]، ونرى في حديث هذا الرجل مع الراوي، استحضار للمثل الفلسطيني:" حط راسك بين هالروس وقول يا قطاع الروس"[6]، فالفلسطينيون أصبحوا في حيرة من أمرهم، ولا يعرفون ما يصنعون، فسلموا أمرهم لله.

وعندما تقرر سوزان الزواج من رجل دين، نجد أن الراوي يحاول أن يثنيها عن ذلك؛ لأن الطلاق منه لن يكون أمرا هينا، فيقول:" **ودخول الحمام ليس مثل الخروج منه،**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص186.

[2] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، عمان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط1، 1989، ص119.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص285.

[4] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص52.

[5] لوباني، عيسى: **السقوط**،ص 287.

[6] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص110.

أتفهمين"[1]، ونرى هذا القول يتطابق مع المثل الفلسطيني " دخول الحمام مش زي طلوعه"[2]، فجاء توظيف المثل للتأكيد على الفكرة التي يطرحها، ومؤيدا لها، مما أضفى على الروايات مزيدا من الواقعية في نقل الأحداث.

وحينما يسأل الراوي عن بعض العرب الذين يعيشون في أوروبا، وقد تبدلت أحوالهم وتبدل لباسهم، نجد مضيف الراوي ذي الجنسية اللبنانية يصف هؤلاء العرب، والحال الذي وصلوا إليه، " **فقال وهو ينهض: هجين وقع على سلة تين، ونسوا تينهم وعنبهم ورمانهم، وهو أحلى وامرأ**"[3]، ويستدعي الكاتب من خلال هذه الشخصية المثل الفلسطيني:" هجين وقع على سلة تين"[4]، فيبين هذا المثل حال العرب الذين انبهروا بالحضارة الغربية، وأخذوا طباع الغرب وسلوكهم، ونسوا عاداتهم وتقاليدهم.

وعندما توجه العمال إلى اللد والرملة، وكلهم أمل في الحصول على العمل، وهجر الفقر، يدور حوار بين الراوي وأسعد، فالراوي يعتقد أن هؤلاء العمال وقعوا في مصيدة القادة الذين أرسلوهم إلى هاتين المدينتين، ونراه يقول: " **فقلت مداعبا بصوت خفيض: ناس توكل الجاج وناس توقع في السياج، فسأل أسعد بتوثب: ونحن من نكون؟ فقلت وأنا أضحك: إللي وقعوا في السياج يا أخي واضح**"[5]، وهنا نرى توظيف المثل:" ناس تاكل جاج وناس توقع في السياج"[6]، وفي توظيف هذا المثل إظهار لخيانة القيادات العربية، واستغلالها لظروف الفلسطينيين، والمتاجرة بهم؛ لتحقيق مصالحها الشخصية.

وعندما يتوجه الراوي إلى موظف مؤتمر العمال العرب لتسجيل اسمه للعمل، يخبره بأن القائمة أغلقت، ولم يعد متسع للتسجيل، فيظهر الراوي غضبه على هذا الموظف، فيجبره على تسجيله، فيقول الموظف للراوي مخففا من غضبه:" **حسنا، بيت الضيق يسع ألف صديق، الاسم**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص94.

[2] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص119.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص62.

[4] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص216.

[5] لوباني، عيسى: **القلق**، ص83.

[6] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص213.

والسكنة والعمر، وأعطاني بطاقة دفعت مقابلها ما أملك من نقود"[1]، ونرى هذا الموظف يوظف المثل الفلسطيني:" البيت الضيق بسع ألف صديق"[2]، ونجد توظيف هذا المثل على لسان الموظف قد أعطى الشخصية مزيدا من الواقعية في التعامل مع الأحداث، وجاءت آراؤها مقنعة للقارئ؛ لأنها تمس حياة الإنسان، وتعامله مع الآخرين.

ونجد أسعد حين يتكلم عن المرأة التي تركت اللد، لتتوجه إلى رام الله، وقد عانت من الجوع والفقر والحرمان، وعادت إلى بيتها في اللد لتجمع بعض الأغراض، يقول:" **من الدلف لتحت المزراب، المصايب قدامنا وورانا، أليس كذلك؟**"[3]، ونجد أسعد في كلامه يوظف المثل الفلسطيني: " من الدلفة لتحت المزراب"[4]، ويضرب هذا المثل للذي يكون في وضع سيء، ثم ينتقل لوضع أسوأ منه، وهذا ما كان من حال الفلسطينيين زمن النكبة.

وعندما يأتي رجل ويتحدث عن مصيبتة وهو من قرية (نورس)، ويقول إنه ترك البيادرعامرة بالزيتون، دفع أم الراوي إلى القول: " **إلي بشوف مصيبة غيره بتهون عليه مصيبته**"[5]، فالمصائب قد تعددت وتنوعت على الفلسطينيين، وكل فلسطيني مصيبته أعظم من الآخر، والمثل الفلسطيني يعبر عن ذلك، فقد ورد في الأمثال الفلسطينية: " إلي بشوف بلوة غيره بتهون عليه بلوته"[6].

ولم يكتف عيسى لوباني في رواياته بتوظيف الأمثال الفلسطينية لتدعيم آراء الشخصيات، بل نراه يوظف أمثال العرب، إما بلفظها أو التحوير على نصها، فنراه يوظف المثل العربي: " قد بلغ السيل الزبى"[7]، ليظهر ذروة العلاقة الجنسية بينه وبين سحر، فقد وصل بهما الأمر إلى قمة العلاقة.

---

[1] لوباني، عيسى:**القلق**، ص75

[2] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص96.

[3] لوباني، عيسى: **القلق**، ص90

[4] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص207.

[5] لوباني، عيسى: **القلق**، ص99.

[6] عباس، فؤاد ابراهيم: **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص67.

[7] يعقوب، إميل بديع: **موسوعة أمثال العرب**، بيروت، دار الجيل، ج3، ط1، 1999، ص343.

ونجد ضابط التحقيق يهدد الراوي بعدم العودة إلى السجن مجددا؛ لأنه حينها سيكون لكل موقف العقوبة التي تلائمه، ونراه يقول:" **لكل مقام مقال، ولكل وقت أذان**"[1]، وقد استخدم العرب هذا المثل، فقالوا:" لكل مقام مقال"[2]، وفي هذا التوظيف إظهار بأن الضباط الصهاينة كانوا يعرفون أدق التفاصيل عن الفلسطينيين.

ونرى المضيف اللبناني يخاطب الراوي، ويعلق على وضع العرب الذين بهروا بالحضارة الغربية وتشبهوا بها، فيقول:" **شر البلية ما يضحك يا عزيزي**"[3]، وقد استخدم العرب هذا المثل لمن عظمت مصيبته، ودفعته هذه المصيبة للضحك، فقال العرب:" شرالشدائد ما يضحك"[4].

وعندما يقرر الراوي أن يترك جوهرة، يعلم أن هجرها صعب، ولكن الأصعب أن يظل معها، فأحيانا يستخدم الإنسان الكي للعلاج، يقول: " **كانوا يقولون عندنا في القرية بثقة تامة، وإيمان عميق: الكي آخر الدواء، ولا يطرد الألم إلا الألم الأشد منه**"[5]. وقد قالت العرب في أمثالها:" آخر الداء الكي"[6].

وحينما يتكلم الراوي عن جارته، وعدم تحمله لأن يبقى بعيدا عنها نراه يقول:" **وإبليس لا يرحم ويغمغم ضاحكا: الحديد لا يفله إلا الحديد**"[7]، وقد وظف الراوي المثل العربي " الحديد لا لا يفله إلا الحديد"[8].

وقد خسر الفلسطينيون كل شيء في الحرب، وأصبح الحديث عن إنقاذهم أمر لا فائدة ترجى منه، يقول الراوي عن السمهوري: " **فنظر إلي بقوة، وقال ببرود: لا شيء سبق السيف**

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص58.
[2] يعقوب، إميل بديع، **موسوعة أمثال العرب**، ج5، ص187.
[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص63.
[4] يعقوب، إميل بديع، **موسوعة أمثال العرب**، ج4، ص674.
[5] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص201
[6] يعقوب، إميل بديع، **موسوعة أمثال العرب**، ج2، ص8.
[7] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص142.
[8] يعقوب، إميل بديع، **موسوعة أمثال العرب**، ج5، ص118.

العذل، والغريق قد مات منذ مدة"[1]، وقد استدعى السمهوري المثل العربي " سبق السيف العذل"[2]. فلم يتبق للفلسطينيين شيء يخسرونه، فقد ضاعت الأرض، والبيت، وكل شيء، فجاء المثل مؤكدا على ذلك.

ونلحظ مما سبق أن الأمثال التي وظفت دعمت أفكار أصحابها، وجعلت الأحداث أكثر إقناعا للمتلقي؛ لأن الشخصيات استخدمت جزءا مهما من تراث الفلسطيني، ومن خلال هذه الأمثال كان الوصف الحقيقي للأحداث، والكشفت عن أحوال الشخصيات، وظروفها التي تعيشها.

المطلب الثالث: المصدر الأدبي

يعد الأدب من الحقول الواسعة التي يتأثر بها الشعراء والأدباء، فالشعراء من الشخصيات التي تلتصق بنفوس الأدباء؛ لأنها عانت التجربة ومرت بها، فيأتي توظيف الشعر في الأدب؛ لإثراء تجاربهم وتدعيمها بتجارب الشعراء السابقين، أو شعراء معاصرين، واستدعاء الشخصيات الأدبية وأسماء الشعراء، يحتاج إلى براعة الأديب المعاصر، فهو " يحمل تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتشير قليلا أو كثيرا إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان"[3]، ولذلك نجد عيسى لوباني يدعم رواياته بأبيات شعرية لشعراء مروا بتجارب تشابهت مع تجربة الراوي، أو الشخصيات الروائية في الروايات، " وإن الناظر في مستوى التوظيف الأدبي وتناصه في الروايات قيد الدراسة، سيلاحظ أن لهذا التوظيف عدة مستويات: أهمها التوظيف على المستوى الشعري المعاصر، ثم التوظيف بالإحالة على آداب عربية وعالمية، وعلى روايات وأبطال روايات عربية وعالمية، تاريخية ومعاصرة، أخذت مكانتها في التجربة الإنسانية الإبداعية، فارضة رموزها ودلالاتها"[4].

---

[1] لوباني، عيسى: **أم الخير**، ص5.

[2] **موسوعة امثال العرب**، ج4، ص165.

[3] مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص65.

[4] دودين، رفقة محمد عبد الله: **توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة**، عمان، وزارة الثقافة، ط1، 1997، ص184.

وإن توظيف عيسى لوباني للأبيات الشعرية في رواياته جاء داعما لمواقف الشخصيات الروائية، ولموقف الراوي من الأحداث المختلفة، وعند النظر في أسماء الشعراء الذين وظفهم لوباني، نجد أنهم من عصور مختلفة، و أسهموا بشكل واضح في التاريخ الأدبي، فآثر لوباني أن يطلع القراء على تجارب هؤلاء الشعراء؛ ليستمدوا القوة منهم، ويحققوا طموحهم في الحياة.

ونرى عيسى لوباني في توظيفه للأبيات الشعرية، يأتي بشطر من البيت الشعري للشاعر الذي يريد توظيفه في رواياته، أو توظيف البيت كاملا، أو أن يوظف بعض المفردات التي تدلل على الشاعر الذي يريد إشراكه في عمله الروائي، فيدمج تجربة الشاعر في الحياة في رواياته، مما يدعم آراء الشخصيات، ويجعل السرد أكثر متانة وإقناعا للمتلقي. ونجد الراوي في سرده للأحداث يوظف شطرا من بيت شعر للمتنبي، فيقول: " **كانت الطعنة قاتلة ولكنني من نسل ذلك الشاعر اللعين الذي قال يوما: تكسرت النصال على النصال**"[1]، فقد قال هذا الكلام بعدما وجهت امرأة اللوم للراوي عما حدث للفلسطينيين، فلا رجال يدافعون عن أهلهم ووطنهم، وهذا النص يتفق مع قول المتنبي:

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال[2]

فالبرغم من المصائب التي مر بها الفلسطينيون، إلا أنها لم تثن من عزيمتهم، ولم تستطع أن تهزمهم، فجاء التوظيف ليقول للقارئ: إن عزيمة الإنسان الفلسطيني وقدرته على تحمل المصائب عظيمة، ولا يستطيع أحد أن يهزمها.

ونرى الراوي يوظف بيت شعر للمتنبي، عندما يسأله صاحب المقهى الإيطالي عن نفسه، فيقول الراوي:" **وسألني وأنت فقلت: وأنا أحتسي قهوته بدون سكر، أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم، فصاح فرحا: أنت شاعر كمان**"[3]، فقد دمج في ثنايا حواره مع صاحب المقهى بيت المتنبي:

---

[1] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص40.

[2] **ديوان المتنبي**، بيروت، دار صادر، 1958، ص265.

[3] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص63.

أنا الــذي نظــر الأعمــى إلــى ادبــي وأســمعت كلمــاتي مــن بــه صــمم[1]

فأظهرمن خلال هذا التوظيف لهذا البيت، أن الإنسان الفلسطيني أصبح مشــهورا فــي محنتهومصيبته، فالأعمى قد سمع بها، وصرخات الفلسطيني تعالت حتى سمعها الأصم، فأصبح الفلسطيني مشهورا، يطوف بمصيبته بقاع الأرض المختلفة.

وعندما يريد قاسم أن ينسى واقعه الأليم الذي يعيشه، من فقدان الوطن والأحبــة نجــده يطلب مزيدا من الخمر من الراوي، حتى ينسى هذا الواقع الأليم، يقول الراوي عن قاسم:" **كــان ترجمانا لي في بلاد الغربة، كان في حالة لا تسمح لي وله بالخروج، وأدخلته غرفتي، وجلس على حافة الكنبة، وطلب شرابا، فنهرته بأدب، فقال: وداوني بالتي كانت هي الــداء**"[2]، ونجــد الراوي هنا يستحضر قول أبي نواس عن الخمرة:

دع عنك لــومي فــإن اللــوم إغــراء وداونــي بــالتي كانــت هــي الــداء[3]

فأبو نواس في هذا البيت يتلذذ بالخمرة، ويرى أنها دواء لجسمه، أما قاسم فكانت الخمرة له لنسيان هموم الحياة التي يعاني منها، فجاء توظيف الراوي لبيت أبي نواس؛ لإظهــار كثــرة الهموم التي يمر بها الفلسطيني، وبحثه عن شيء يخفف عنه مصائبه.

ويتحدث الراوي عن لغة الخطاب الإعلامي للعرب، الذين كانوا يعــدون الفلســطينيين بتحرير فلسطين من اليهود، فيوظف بيت شعر لأبي تمام؛ ليبين تماسك هذا الخطاب، والجديــة لتحرير فلسطين، يقول الراوي:" **وفي مقهى عين العذراء، وتحت ظلال أشجاره الوارفة، تجمع جمهور غفير من الناس، يستمعون بلهفة الغريق للقشة، لخطاب عبر الأثيــر مــن المــذياع، اختتمه صاحبه ببيت من الشعر، أثار الحماس من جهة، والخيبة من جهة أخرى، قال الخطيب: السيف أصدق إنباء من الكتب، في حده بين الجد واللعب** "[4].

---

[1] **ديوان المتنبي**، ص332

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص67.

[3] **ديوان أبي نواس**، بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت، ص62.

[4] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص159.

فجاء توظيف الراوي لهذا البيت؛ ليبين الجدية التي يتكلم بها الخطيب عبر المذياع، لتصبح لهجة الخطاب أكثر واقعية، فتزيد ثقة المتلقي بالراوي، وقد استحضر الراوي هذا البيت ليذكر بمدح أبي تمام للمعتصم، فكان الفلسطينيون ينتظرون من العرب أن يحرروا فلسطين، ويكونوا قادة فاتحين، كما كان المعتصم، وهذا ما لم يكن، فيستحضر بيت أبي تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب[1]

وعندما يستحضر الراوي وفاة الشاعر عبد الرحيم محمود، نراه يعرض كيفية استشهاده، يقول:" **وقال من قال وهو يسلم بندقيته إلى مسؤول كبير في القلعة كان يتغنى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:**

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى"[2]

فجاء توظيفه لهذا البيت لتوضيح طريقة الحياة التي ينبغي على الفلسطيني أن يعيشها، فإما حياة العز التي تفرح الصديق، وإما الموت الذي يقهر العدو ويزعجه، ومن هنا دمج الراوي قول عبد الرحيم محمود:

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى [3]

في ثنايا سرده، ليذكر الناس بالحياة الكريمة التي يجب أن يبحثوا عنها، لا أن يذلوا ويستسلموا لعدوهم.

وحينما ينتقد الرجل القصير الخطاب العربي، يقول:" **ألم يقل المتنبي يوما:**

الخيل والليل والبيداء تشهد لي والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقلت وأنا أكاد اقلب على ظهري من الضحك والأسى: أجل فقتله شعره، فقال بشبه انتصار: لقد قلت منذ البداية: إن وراء حماسنا ما وراءه، فخفت حتى قتلنا حماسنا، أليس كذلك؟"[4]، فهنا نجد توظيف البيت الذي يعتقد البعض أنه قتل المتنبي، ويقول فيه:

---

[1] الحاوي، إيليا: **شرح ديوان أبي تمام**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1981،ص22.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص165.

[3] **ديوان عبد الرحيم محمود**، مكتبة الدكتور وليد قمحاوي، 1958، ص13.

[4] لوباني، عيسى، **السقوط**، ص336.

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعرفنـــي والسيف والرمح والقرطـــاس والقلـــم[1]

فخطاب المتنبي المتحمس، وأشعاره كانت سببا في قتله، وكذلك خطاب العرب المتحمس كان سببا في الهزيمة؛ لأنه ثبت أن هذا الخطاب ليس له أساس من الواقع، بـــل هـــزم العـــرب هزيمة نكراء، كشفت عن ضعفهم، وتفرق أهدافهم.

ويرى الراوي أن الأجيال اللاحقة من الفلسطينيين ستعيش مظلومة؛ لأنها ستجد نفســـها أمام عدو سيطرعلى الأرض، والفلسطينيون ومعهم العرب يتحملون المســـؤولية عـــن احـــتلال فلسطين، ويحاور الراوي سحر قائلا: " **قالت ونحن في زقاق: إننـــي أريـــد أن أنجـــب، إننـــي أتحرق، ارحمني، قلت متمثلا بصوت شاعر عربي قديم، وكان فيلسوفا:**

هـــــذا جنـــــاه أبـــــي علـــــي ومـــــا جنيـــــت علـــــى أحـــــد"[2]

ونجده هنا أنه يورد بيت أبي العلاء الذي يقول فيه:

هـــــذا جنـــــاه أبـــــي علـــــي ومـــــا جنيـــــت علـــــى أحـــــد[3]

ليظهر أن العرب جنوا على الفلسطينيين حينما تخاذلوا في نصـــرتهم، والـــدفاع عـــن حقوقهم.

ونرى الراوي في أكثر من موضع يكرر بيت الشعر لعلي بن زريق[4] الذي يقول فيه:

ودعته وبودي لو يودعني صـــفو الحيـــاة وإنـــي لا أودعـــه

وقد وظف الراوي هذا البيت؛ ليظهر أن الفلسطيني الذي ترك أرضه؛ لاعتقاده أن بلاد الغربة ستكون أفضل، وجد أن هذه البلاد فيها من المآسي أكثر بكثير من أرضه ووطنه، فيدعو

---

[1] **ديوان المتنبي**، ص332.

[2] لوباني، عيسى: **السقوط**، ص53.

[3] صدوق، راضي: **رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها**، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1984، ص4.

[4] أبو الحسن علي بن زريق البغدادي، شاعر مقل، له ابنة عم أحبها حبا عميقا صادقا، ولكن أصابته الفاقة، وضيق العيش فأراد أن يغادر بغداد إلى الأندلس، طلبا لسعة الرزق، وذلك بمدح أمرائها، ولكن صاحبته تشبثت به، ودعته إلى البقاء، حبا له، وخوفا عليه من الأخطار، فلم ينصت لها، ونفذ ما عزم عليه، وقصد أبا الخيبر عبد الرحمن الأندلسي، يمدحه بقصـــيدة بليغة، فأعطاه عطاء قليلا، وبعد أن عاد إلى الخان الذي نزل به، تذكر ما اقترفه في حق ابنة عمه من فراقها، عن موقـــع www.startimes.com

الفلسطينيين إلى التمسك بأرضهم، وعدم الابتعاد عنها، وخصوصا أن بلاد الغربة تحمل المفاجآت التي لا يتوقعها الإنسان.

ونجد الراوي حينما يصف النادلة التي تعمل في أحد مطاعم (فرايبرغ)، ونظراتها تجاهه، يستخدم ألفاظا من بيت عنترة، فيقول: " **فقلت وأنا أتلوى من الوجع، وعينا النادلة أشطان بئر عميقة: ولكنه يهمني**"[1]، وهنا نرى استخدام ألفاظ عنترة (أشطان بئر) للدلالة على عمق نظرات النادلة، واهتمامها بالراوي، فنرى هذا التأثر واضحا حيث يقول عنترة:

يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم [2]

وإن هذا التواصل مع ألفاظ الشعراء السابقين، جعل النص الروائي أكثر تماسكا، والألفاظ أكثر قوة، وأظهر اطلاعا واسعا للراوي على الآداب الأخرى.

ونجد الراوي يتواصل كذلك مع شعراء الأندلس، ويبدو ذلك لتشابه التجربة بين الأندلس وفلسطين، فقد هجر أهل الأندلس من بلادهم، وتركوا حضارة عظيمة، عمروها قرونا بتعبهم وإخلاصهم، فنجد الراوي يتأثر بالشاعر الأندلسي علي الفهري[3]، يقول:" **وتذكرت أشياء كثيرة في تلك اللحظة الحرجة، وهمست بألم: ياليل الصب متى غده؟**"[4]، وكان حديثه ذلك عندما رأى مدينته المدمرة، التي بدت كبقايا بيت العنكبوت، فنجد الراوي يتأثر ببيت شعر علي الفهري الذي يقول فيه:

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده[5]

---

[1] لوباني، عيسى: **شمس وقمر**، ص5.

[2] شلبي، عبد المنعم عبد الرؤوف: **شرح ديوان عنترة بن شداد**، القاهرة، شركة فن الطباعة، د.ت، ص153.

[3] علي بن عبد الغني الفهري الحصري (1029– 1095)، شاعر تونسي قيراواني مشهور، كان ضريرا، ولد وعاش بالقيروان، حفظ القرآن بالروايات، وتعلم العربية على شيوخ عصره، له ديوان شعر بقي بعضه محفوظا. عن موقع www.wikpedia.org

[4] لوباني،عيسى: **أم الخير**، ص34.

[5] بيت لعلي بن عبد الغني الفهري الحصري القيرواني، وهو من شعراء العصر الأندلسي،من أهل القيروان، توفي سنة 1095، عن موقع www.adab.com

وهنا نرى الراوي يوظف هذا البيت؛ ليظهرتمنيه زوال الاحتلال بفارغ الصبر، فوظف الشطر الأول من البيت، ولم يوظف الشطر الثاني؛ لأنه على قناعة تامة أن ليل الاحتلال سيكون زواله قريبا، ولن ينتظر إلى قيام الساعة حتى يزول هذا الليل.

ونرى من خلال التوظيف السابق لأبيات الشعر العربي أن الراوي تواصل مع الشعراء الذين مروا بتجارب لا تقل أهمية عن تجربته، فأشرك الناس في العمل الروائي، من خلال إطلاعهم على شعراء كانت لهم مكانة مرموقة في التاريخ الإنساني والأدبي، وتواصلوا مع جمهورهم، واستطاعوا الوصول إلى الأمل الذي ينشدونه، من الحرية وانتزاع الحق.

الفصل الرابع

المقالة الأدبية النقدية عند عيسى لوباني

المبحث الأول: مدخل إلى فن المقالة والنقد

المبحث الثاني: عيسى لوباني ناقدا

المبحث الثالث: نقد الرواية والقصة

المبحث الأول

مدخل إلى فن المقالة والنقد

فن المقالة فن نثري متميز، يتميزعن غيره من الفنون الأخرى بسرعة نشره في الصحف والمجلات، ووصوله إلى أكبر شريحة من الناس، فقد كان هذا الفن من أكثر الفنون تأثيرا في الجماهير، فالمقال أكثر قدرة على معالجة ما فسد من القيم، حيث يتناول الموضوعات بأسلوب سهل، بعيد عن التعقيد.

وتعد المقالة من الفنون الحديثة نسبيا، حيث أصبح لها نظام معين، وشروط خاصة تجعلها مقالة، " ويجمع مؤرخو الآداب الغربية على أن المقالة الأدبية الحديثة عرفت سبيلها إلى الحياة على يد الكاتب الفرنسي (ميشيل دي مونتين)، وقد بدأت بذورها تتكون في نفسه عندما اعتزل الحياة العامة، حيث كان يعمل في المحاماة، وترك بوردو إلى مزارعه الريفية سنة 1570، وذلك ليعيش حياة يرف عليها الهدوء، وتخصبها القراءة، على حد قوله "[1].

ثم أخذ هذا اللون من الأدب ينتقل إلى العرب تدريجيا، وخصوصا مع انتشار الصحف والمجلات، وقدرة الكتاب على المتابعة الدورية للأعمال التي تصدر عن الأدباء والشعراء والكتاب، فوجد النقاد بأن هذا النوع من الكتابة أفضل من غيره، وله مميزات تجعله أفضل من ألوان الكتابة الأخرى، وخصوصا كتابة الشعر، فالمقالة " تختلف عن الشعر بصدورها في الأكثر عن عامة أبناء الشعب، بينما يصدر الشعر عن طبقة ترتفع بعقليتها عن مستوى العوام، وتلتمس لفنها ألوانا من الصقل والتهذيب، لا يأبه لها أصحاب الأمثال، الذين اعتادوا أن يلقوا بها في المناسبات التي تعرض لهم، تعبيرا ساذجا سريعا عن إحساس فطري تلقائي"[2]، فليس من الغريب أن نجد المقالة تأخذ طريقها إلى المجتمعات العربية، فهي تتلمس احتياجات الناس اليومية، وتحاول نقدها، ووضع الحلول لها، وتستطيع شريحة كبيرة من الناس أن تتابع هذا اللون من الفن الأدبي، فنجد أنواعا كثيرة من المقالة، ركزت على موضوعات محددة، فظهرت المقالة

---

[1] نجم، محمد يوسف: **فن المقالة**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر،1957، ص27.

[2] السابق، ص9.

التاريخية، والدينية، والأدبية، والسياسية، وغيرها من الأنواع، وتتبعت هذه الأنواع أحداثا مختلفة، وركزت على مواقف سياسية وأدبية، ووضعت حلولا لكثير من المشاكل التي مرت بها المجتمعات، فلاقى هذا النوع من الكتابة استحسانا جماهيريا واسعا؛ لأنه يبقي الناس في اطلاع دائم على واقعهم، وحياتهم اليومية، ولو أردنا وضع تعريف للمقالة لتشعبت بنا السبل، ولوجدنا تعريفات مختلفة لهذا اللون من الكتابة، ولكننا سننظر في تعريفنا لهذا الفن إلى تناول اللفظة نفسها، حيث " تشير اللفظة (مقالة) إلى حقيقة وظيفتها، فهي قول أو كلام تتصف بخصائص المتكلم أو القائل، والمقالة فنا مولدها في التاريخ الأدبي، يرتبط بالصحافة الأوروبية في القرن الثامن عشر، وفي الصحافة العربية بعد ذلك بقرن من الزمن"[1]، ويخرج الدكتور محمد يوسف نجم بتعريف أشمل للمقالة الأدبية، فيعرفها بأنها: " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية وسريعة، خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول: أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب، وهذا ينطبق على المقالة بمعناها الفني الضيق، ويحتفظ لها بصفتها التي أرادها لها مونتين حين سماها (محاولة)"[2].

ولقد رأى كثير من القراء في المقالة ما يجعلها أكثر التصاقا بهم، وأقدر على نقل معاناتهم " وقد انتعشت المقالة، وزاد اقبال المتأدبين على كتابتها؛ بسبب ما تتمتع به من ميزات، فهي زاد القراء اليومي، يعتمدون عليها في فهم ظروف حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقدية، بأسلوب مبسط، يعمد إلى نقل المعلومات، وتقريبها من فهم القارئ العادي، لهذا كثر قراؤها، وزاد عدد الكاتبين فيها، كل بحسب ميله وتخصصه"[3].

وبالمقالة تصل آراء الكتاب بشكل أسرع من فنون الأدب الأخرى، كالشعر والرواية، فيكاد اطلاع القارئ على المقالة يكون يوميا، ويكون القارئ مرتبطا بالأحداث لحظة وقوعها، مما يجعل تفاعله معها أكثر من غيرها، بينما يحتاج نظم الشعر، وتأليف الرواية وقتا أطول، وقد

---

[1] شلبي، عبد العاطي: **فنون الأدب (دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة والمقال والقصة القصيرة)**، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005، ص53.

[2] نجم، محمد يوسف: **فن المقالة**، ص95.

[3] عباد، عبد الرحمن: **الحركة الأدبية الفلسطينية في الناصرة**، ص69.

لا يسعف هذا الوقت الكاتب والأديب في التواصل مع جمهوره، مما يجعل الصلة بين الكاتب والقارئ بعيدة بعض الشيء، فجاء المقال ليقربها ويزيد من ارتباطها به، فالمقالة هي مرآة الحياة التي تنقل الأحداث اليومية بشكل واضح، وتعبر عن آمال الناس وآلامهم.

وعند الحديث عن المقال بشكل عام، يقودنا إلى الحديث عن الصحافة، ودورها في نشره، " وإن الواقع يؤكد ارتباط نشأة المقال في أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة ارتباطا وثيقا، حيث نشأت الصحافة ومعها المقالة، بوصفها الوسيلة الأساسية للصحيفة في التعبير عن أغراضها المختلفة، وآراء محرريها وكتابها "[1].

ولقد كان ارتباط القارئ مع الصحافة منذ ظهورها أكثر من غيرها من ألوان الأدب، ولعل ذلك يعود لسببين: السبب الأول تنوع المعلومات التي تعرضها هذه الصحف من خلال المقالات التي تنشر فيها، فهي تعرض كما هائلا من المعلومات، وتطوف بالقارئ في بقاع شتى من العالم، مما يجعل عنصر التشويق حاضرا بشكل لافت، والسبب الثاني الذي زاد من ارتباط القارئ بالصحافة هو رخص ثمنها، فهي تقدم للقارئ بسعر زهيد، ولا تكلفه الشيء الكثير، على عكس الشعر والرواية اللتين يكون ثمنهما أعلى، فالصحيفة تكون في متناول الجميع على اختلاف طبقاتهم، أما الشعر والراواية فقد لا يتوفران لجميع شرائح المجتمع. " ومن المؤكد أن الصحافة منذ أن ظهرت وانتشرت، استطاعت أن تؤثر تأثيرا فعالا في الأدب العربي، فقد أخذت بزمام الأدب، لتحوله من الطريق اللفظي إلى الموضوعي، وتملأ فراغه من المعنى القومي والإنساني، ولتصله بالآداب الغربية، وما فيها من دراسات جادة، تتناول مختلف شؤون الحياة، وحقائق العلوم، والمذاهب الفلسفية، ولتجعله يعبر عن حاجاته التي تفرضها أحداث الساعة، فطبيعة الصحف، وظروف صدورها، فرضت على الكاتب موضوعات الساعة بأسلوب الساعة، ليجد من القارئ القبول "[2].

والمقالة النقدية من أهم أنواع المقالة في الأدب، فهي توجه الأدباء في أعمالهم الأدبية، وتميز بين الأعمال الأدبية، جيدها ورديئها، " وتقعد للمسائل الأدبية وتضع للقضايا حدودا

---

[1] عبد الخالق، ربيعي: **فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص22.

[2] الحديدي، عبد اللطيف: **فن المقالة في ضوء النقد الأدبي**، (د.ن)، ط1، 1996، ص66.

ومفاهيم، وتنظر إلى محاسن العمل الأدبي ومساوئه، وتقبل الجيد وتحييه، وتبدي مآخذها على الهزيل والضعيف، فتشهرها مقومة دارسة "[1].

ولقد كان الأديب والكاتب الفلسطيني على وجه التحديد، يبحث عن الطريقة الأنجع ليوصل رسالته إلى القارئ، فوجد أن المقالة هي الطريق الأقصر للتعبير عما يجول في النفس من خواطر وأفكار ومواقف، فقد ظهرت بعض الصحف والمجلات في فلسطين عام 1948، وكانت منبرا يوصل الأدباء والكتاب صوتهم من خلاله، ومن أهم المجلات التي ظهرت في فلسطين المحتلة عام 1948 مجلة الجديد، " وهي مجلة ثقافية مستقلة، ناطقة بلسان الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وكان حنا نقارة المحرر المسؤول، وتعتبر مجلة الجديد من أهم المنابر الأدبية العربية في إسرائيل، فقد واكبت بشكل مباشر كل ما يتصل بهذا الأدب، منذ بداية الخمسينات وحتى بداية التسعينات "[2].

وقد وجد بعض الأدباء في هذه المجلة المنبر الأدبي الذي يوصل صوتهم للجماهير، ويعبر عن مواقفهم الأدبية، وكان عيسى لوباني واحدا من هؤلاء الأدباء، فبدأ بالنقد الأدبي لأشعار ومؤلفات وشخصيات، موجها أصحابها إلى الصواب، ومادحا لبعض الأعمال التي تستحق التقدير، فبدأت حركة النقد تنتعش بشكل واضح، من خلال نقده للآخرين ورد الآخرين عليه، " وقد شاعت ظاهرة النقد، ونقد النقد، والرد على النقد، والرد على الرد بين الكتاب، وذلك في غالبية الصحف التي تهتم بالحركة الأدبية المحلية "[3].

لقد نظر عيسى لوباني في ما هو مطروح أمامه من الشعر والأدب، فوجد كما هائلا من الإنتاج الشعري والأدبي، وكل واحد يكتب ويقول إنه شاعر، فيضع عيسى لوباني هؤلاء الشعراء تحت النقد؛ ليظهر ما يصلح من هذه القصائد وما لا يصلح، مبينا رأيه فيها، وموجها في أحيان أخرى، وساخرا من بعضها في بعض الأحيان، ويتحدث لوباني عن كثرة الشعر

---

[1] الحديدي، عبد اللطيف: **فن المقالة في ضوء النقد الأدبي**، ص57.

[2] أبو صالح، سيف الدين: **الحركة الأدبية العربية في إسرائيل**، ص34.

[3] عباد، عبد الرحمن: **الحركة الأدبية في الناصرة**، ص89.

المطروح أمامه قائلا:" لم أكن أحس بالضيق حينما كنت أنظر امامي فأجد عشرين قصـــيدة أو أكثر، ألم أكن أتمنى بأن يتقلص هذا العدد، فيصبح خمسا أو ستا على الأكثر، ولكني كنت أمني النفس بصيد أثمن، حين يقل شعراؤنا، أما وكانت النتيجة أسوأ مما كانـــت عليـــه، فليمطرنـــي شعراؤنا بشعرهم ولكل نصيبه"[1]، وقد كان لكل واحد من الشعراء الذين تناول أشعارهم نصـــيبه بالفعل، فمنهم من سخر من أشعاره، وعدها في خانة الكلام المنثور، وبعضهم أعطـــاه بعـــض التوجيهات والنصائح لشعره، والبعض الآخر امتدحه وأثنى عليه، وبين جوانب النجاح في عمله الشعري، وقد كان عيسى لوباني في نقده صريحا، بالرغم من العلاقات الوطيـــدة التـــي كانـــت تجمعه ببعض الشعراء، إلا أن ذلك لم يمنعه من قول كلمة الحـــق، ونقـــده الموضـــوعي لهـــذه الأعمال.

ويحتاج النقد إلى مهارة عالية، وقدرة على تفحص النصوص بشكل عميق، فبـــدونها لا يستطيع الناقد أن يتبين جوانب الضعف، وجوانب القوة في العمل الأدبي، " فحظ العاطفـــة فـــي النقد قليل، ونصيب العقل والعلم كثير، والجانب الإبداعي الضئيل يتوافر في توافر هذا القليل من العاطفة في المقالة الأدبية النقدية "[2]، وتتطلب المقالة النقدية من الكاتب معرفة واسعة في الفنون المختلفة، وحسا دقيقا للتعمق فيها، وإدراكا واسعا للغة، تمنحه القدرة على الموازنة، واستخلاص النتائج، وتقديم الرأي مدعوما بالأدلة التي تقنع القارئ.

من هنا نجد أن لوباني أظهر مقدرة لغوية واضحة في نقده للأعمال الأدبية والشـــعرية، وأبرزمهارته في امتلاك لغة الشعر والأدب، ونلحظ ذلك من خلال التوجيهات التي كان يعطيها للقارئ والأديب، وكانت تأتي مقنعة في كثير من الأحيان، كما أظهر نقد لوباني لبعض الأعمال العالمية سعة اطلاعه على الآداب الأخرى، ومتابعته لها، وإشراكه القارئ العربـــي فـــي هـــذا الاطلاع، وبيان جوانب القوة والضعف في الأعمال التي يتناولها.

---

[1] لوباني، عيسى: **ميزان الشعر**، الجديد، ع7، تموز 1962، ص54.

[2] الحديدي، عبد اللطيف: **فن المقالة في ضوء النقد الأدبي**، ص59

المبحث الثاني

عيسى لوباني ناقدا

بالرغم من كون عيسى لوباني أديبا كتب الرواية والقصة القصيرة والشعر، إلا أن هــذا الرجل كان له اهتمام كبير بالنقد الأدبي على وجه التحديد، فقد كان متابعا لكل الأعمال الأدبيــة المحلية، ومطلعا على الآداب العالمية، وقد كانت الآراء التي أدلى بها في هذا الميدان، قد أثارت ضجة واسعة في الساحة الأدبية المحلية، وكانت آراؤه في النقد الأدبي تنم عن قدرته في التعامل مع الأعمال المختلفة، فكان نقده كما يرى نبيه القاسم موزعا في محورين أساسيين هما:

"**الأول:** متابعته لبعض الأعمال الأدبية التي تصدر لكتاب محليين على وجه الخصوص، ولغيــر محليين أيضا.

الثاني: زاويته النقدية التي افتتحها في مجلة الجديد باسم (ميزان الشعر)"[1]، فقد كانت هذه الزاوية محط أنظار الأدباء والشعراء والقراء على حد سواء، وأحدث النقد الذي كان ينشره لوباني فيها ضجة كبيرة، حركت الأعمال الأدبية والشعرية إلى الأمام، من خلال التوجيهات التي كان يقدمها لوباني بأسلوب بسيط، فيه الكثير من الخبرة والدراية، ولقد جاءت تسمية زاويته النقدية " ميزان الشعر " تعبر عن مضمونها فقد كان لوباني يضع الأشعار في ميزانه النقدي الخاص، ويبين ما لها وما عليها، موجها في بعض الأحيان أصحابها بأسلوب ساخر، وأحيانا اخرى يقــدم ألفاظــا مقترحة لبعض الشعراء، ودعى بعض الشعراء إلى ترك الشعر؛ لأن ما يكتبونه هو عبارة عــن كلام مقفى ليس أكثر، " وقد داوم عيسى لوباني على تقديم زاويته هذه على مدار ثمانية أعــداد متفرقة من مجلة (الجديد)، حتى كان آخرها في عدد آذار 1963. ويتحدث نبيل عودة عن هــذه الزاوية وأهميتها في الحياة الأدبية والثقافية، والضجة التي أحدثها لوباني من خلال كتاباته النقدية فيها، يقول:" نشر زاوية نقدية أحدثت الكثير من الاهتمام والجدل، حيث كان يعالج ما ينشر من شعر في الصحف العربية المحلية، وقد سمى زاويته (ميزان الشعر) "[2].

---

[1] القاسم، نبيه: **مراودة النص**، ص183.

[2] عودة، نبيل: مقال بعنوان: **عيسى لوباني وخواطر أخرى**، الاتحاد، الجمعة 19 شباط 1999، ص22.

ثم يتحدث عن الأثر الذي أحدثته هذه الزاوية في المسيرة النقدية، وطريقة لوباني في نقده للقصائد، يقول: " في زاويته تلك عالج عيسى لوباني عشرات القصائد التي كانت تنشر، وكان نقده يتميز بالحس الجمالي للغة والمعنى، وأظن أنه نهج أسلوب الكاتب والناقد اللبناني مارون عبود، وأظن أن عيسى استطاع أن يعطي لزاويته الكثير من القيمة الأدبية والفكرية، وكانت زاويته مدرسة تثقيفية، وكتابة تجاوزت النقد، وامتاز في تلك الفترة المبكرة بقدراته الثقافية، وغزارة عالمه الأدبي، وقد بقيت متأثرا بهذا الأسلوب، الذي شدني في مرحلة متقدمة أكثر إلى كتابات مارون عبود، وأقول بوضوح: إن مدارس النقد الحديثة لم تشدني وتعنيني إلا بالقدر الذي يجعلني ألم إلماما عاما بالتيارات الأدبية الجديدة "[1].

ويعترف نبيل عودة بأن نقد عيسى لوباني دفعه إلى تغيير بعض المقاطع في رواياته وأعماله القصصية والمسرحية، يقول:" وكثيرا ما أفادتني ملاحظاته حول بعض أعمالي، خاصة الروائية منها، فقد قمت مثلا بإعادة صياغة مقاطع عدة في رواية (حازم يعود هذا المساء) ورواية (المستحيل)، وقصص أخرى مختلفة، ورواية ومسرحية لم تنشرا بعد، ومع أنني لم أقبل كل آرائه النقدية حول أعمالي، إلا أنني أعترف أنه كان كالباروميتر الأدبي، يضع يده بدقة على نقاط القوة والضعف، وكان حسه للغة العربية حادا، وكان ذا أذن لغوية، على غرار أذن موسيقية "[2].

لقد كان لعيسى لوباني مشاريع نقدية كبيرة، ولوتحققت هذه المشاريع لأحدثت نقلة نوعية في النقد، فقد كان يحدث نبيل عودة عن هذة المشاريع، يقول نبيل عودة: " وكثيرا ما حدثني عن مشروعات نقدية، كان يؤجلها حتى ينهي كتابة أعماله الروائية التي تواصلت ولم تنته، وأظن أنه لو حقق مشروعه النقدي لأحدث نقلة نوعية في مفهوم النقد المحلي على الأقل، ومع ذلك أقول إن زاويته النقدية (ميزان الشعر) تضعه في مقدمة النقد المحلي، ليس تاريخيا فقط، بل وإبداعيا أيضا"[3].

---

[1] عودة، نبيل: مقال بعنوان: **عيسى لوباني وخواطر أخرى**، ص22.

[2] السابق، ص22.

[3] السابق، ص22.

ويبين عيسى لوباني في هذه الزاوية موقفه من التجديد في الشعر، وحمل على أولئك الشعراء الناشئين الذين اعتقدوا بأن الشعر الذي يخلو من الأوزان هو أمر هين، يستطيعون الخوض فيه كما يشاؤون، يقول موجها نقده لهؤلاء: " فالمأساة لدى بعض الشعراء الناشئين أنهم يتوهمون بأن الشعر المتحرر،هو الذي ينطلق من إسار الأوزان التقليدية، ليحط في أحضان النظام الجديد للقصيدة، الذي يعتمد على التفعيلة أو التفعيلتين، هو عبارة عن ترك العنان للمشاعر والخواطر لتفيض أنى شاءت، وحيثما أرادت، لقد فات هؤلاء – وأظن بأنهم غير ملومين – بأن شعرنا الكلاسيكي القديم الذي يعتمد على أوزان الخليل، عامر بالأفكار الناضجة، وعامر أيضا بموسيقى رائعة، نشأت من تلاحم الكلمات التي انتقاها الشاعر بصبر، مضافة إلى ذلك النغم الناعم أحيانا والهادر أحيانا اخرى والمنبثق من القافية "[1].

وقد أوضح لوباني رأيه بالتفصيل في موضوع الشعر الحديث، وهؤلاء الشعراء الناشئين، وبين أن نظم الشعر حسب الأوزان الحديثة، فيه كثير من الخطورة والصعوبة، فموسيقى القصيدة لا تكون فقط في الأوزان، وإنما في النظم وطريقة اختيار الكلمات، وهذا الأمر لا يكون سهلا على الشعراء الناشئين، بل يحتاج إلى كثير من الدقة والخبرة، يقول لوباني موضحا هذا الأمر:" أما النظم حسب الأوزان الحديثة، ففيها من الخطورة ما فيها، لم يدركها سوى قلة من الشعراء المحدثين، أما الباقون فاعتقدوا بأنها نعمة؛ لأنهم يتخلصون بها من أحكام وتقييدات ليسوا على استعداد لتحمل مشاكلها، فأتوا الأمور من أقرب السبل فكان ما كان"[2].

ثم يبين لوباني في زاويته (ميزان الشعر) موقفه من الأوزان والقوافي، ويبين أن الوزن والقافية لا يكونان فقط في أوزان الخليل، فهناك مصادر أخرى للموسيقى يصنعها الشاعر بخبرته واجتهاده، فمن يتخلص من الأوزان التقليدية من الشعراء، عليه أن يصنع موسيقى جديدة، تضفي على القصيدة رونقا موسيقيا خاصا. يقول لوباني:" إن التحرر من الأوزان والقوافي التي هي العمود الفقري للموسيقى الشعرية، يحتم على الشاعر المحدث الذي يتعلق

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع7، تموز1962، ص55.

[2] السابق، ص55.

بنظام التفعيلة الواحدة، أن يعوض ذلك النقص بشيء آخر، وهو اصطناع مصادر موسيقية أخرى، وهنا تكمن عبقرية الشاعر، ولا أعتقد بأن كل شاعر يستطيع ذلك، إلا بعد الممارسة والاجتهاد "[1].

ولقد امتازت زاوية لوباني النقدية بمجموعة من الميزات، التي يمكن لأي قارئ أن يلاحظها فيها، ومن هذه الخصائص:

أولا: كان عيسى لوباني يقدم آراءه النقدية للأدباء والشعراء، ويوجههم في أعمالهم، وكان هدفه من ذلك كله الرقي بالأعمال الشعرية والأدبية، وكان يستخدم في بعض الأحيان النكتة الساخرة، وأحيانا أخرى يقدم بعض النصائح للشاعر في النحو واللغة.

ثانيا: " لم يهتم عيسى لوباني بالإشارة إلى المكان الذي نشرت فيه القصيدة، التي تناولها بالنقد، مما يصعب على القارئ والدارس مراجعة القصيدة بكاملها، ويمنعه من التأكد من صحة ونزاهة ودقة عيسى في نقده، كما أنه لم يشر إلى المصادر التراثية والأدبية وغيرها، التي اقتبس منها النوادر الأدبية والأبيات الشعرية"[2].

ثالثا: لم يقتصر اهتمام عيسى لوباني في نقده على الأدب المحلي الذي كان يصدر في فلسطين، بل تعدى ذلك إلى متابعة الأعمال الأدبية العالمية، والتعليق عليها، وبيان الإيجابيات والسلبيات فيها، وعرضه لبعض الشخصيات الأدبية والإنسانية العالمية، وبيان مواقفها.

رابعا: كان لوباني يأتي بنبذة قصيرة تعرف بالقصائد التي يتناولها، وتعريف لبعض مواقف الشخصيات الأدبية العالمية، فعندما تناول القصيدة لعلي محمود طه، جاء ببعض التعريف عن هذه القصيدة، يقول:" هذه القطعة مأخوذة من قصيدة بعنوان (لا بد)، لعلي محمود طه، يوجهها إلى الذين استسلموا لليأس وقعدوا عن الإقدام"[3]. وعندما تحدث عن الكاتب الأمريكي أو هنري عرض نبذة مختصرة عن حياته، على اعتبار أن القارئ لا يعرف عن هذه الشخصية شيئا،

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع7، تموز1962، ص55.

[2] القاسم، نبيه: **مراودة النص**، ص194.

[3] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع7، تموز 1962، ص54.

يقول:" ولد أوهنري عام1862 وتوفي 1910، في جريتزبورد، ودخل السجن بتهمة اختلاس لم تثبت عليه، وقد بدأ حياته الأدبية في السجن عام 1910، توفي بمرض السل، فانطفأت شعلة أضاءت حينا في حنايا المجتمع الأمريكي، التي لا تصلها الأضواء المزيفة"[1]. وعندما تناول رواية (وبقيت سميرة) بالنقد، تحدث عن هذه الرواية وعرف بصاحبها، يقول:" (وبقيت سميرة) رواية تقع في مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير، قام بتأليفها الشاب عطا الله منصور، ومما ورد على غلاف الرواية أنها ليست إنتاجه الأول في الأدب، بل سبقتها محاولات عديدة في الرواية والتمثيلية والقصة"[2].

وعند تناوله قصة (أسمهان)، عرف بها وبصاحبها، ودار النشر التي أصدرتها، يقول: " (أسمهان) قصة طويلة، للكاتب إبراهيم موسى إبراهيم، قامت بإصدارها قبل أسابيع شركة الكتاب العربي، بعد أن نشرت تباعا على صفحات إحدى الصحف المحلية، كما ورد في مقدمة الناشرين"[3].

كان لوباني عند نقده للأعمال الأدبية والشعرية، يوجه الشاعر والأديب إلى الطريقة التي ينبغي أن يكون عليها الأدب، فينتقد موجها وناصحا، على أمل أن يتغير أداء بعض الشعراء، وأن ينتبهوا إلى الأخطاء التي وقعوا فيها، " وقد اتبع في نقده المذهب التأثري، الذي توجهه الأيدلوجية الاشتراكية، والنظرة الاجتماعية الناقدة، الهادفة إلى توجيه القارئ والمبدع إلى الكيفية التي يجب أن يكون الأدب عليها، وأن الأدب الملتزم بقضايا الناس وهمومهم هو الأدب الحقيقي. ورغم بعض الإشارات النقدية الجمالية والأسلوبية المتناثرة هنا وهناك، إلا أن الطابع التأثري هو الغالب والطاغي"[4]، وبدأت زاوية لوباني النقدية (ميزان الشعر)، تتراجع شيئا فشيئا، وخصوصا مع اقتراب محمود درويش وسميح القاسم من مجلة الجديد، وصفوف الحزب الشيوعي، فأصبح التركيز عليهما أكثرمن التركيز على هذه الزاوية، يقول نبيه القاسم: " ولكن الحقيقة التي حدثت،

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع11، تشرين الثاني 1962، ص30.

[2] السابق، ع9، أيلول 1962، ص54.

[3] السابق، ع2، شباط 1962، ص57.

[4] القاسم، نبيه: **مراودة النص**، ص194، 195.

أن صوت عيسى المنتقد الملاحق بدأ يضعف، وزاويته (الشعر في الميزان)، أخذت تنحسر من أعداد مجلة (الجديد)، مع ازدياد نشر مجلة (الجديد) لقصائد محمود وسميح، واقترابهما من صفوف الحزب، ثم كان ظهور ميزان الشعر الأخير في عدد آذار 1963، ومنذ عدد نيسان 1963 أصبحت قصائد ومقالات سميح ومحمود هي التي تتوج كل عدد يصدر"[1].

لقد كان عيسى لوباني في نقده صريحا حادا، ساخرا في بعض الأحيان، لا يحابي أحدا، ولا ينافق، فأحيانا كان نقده لأعز أصدقائه، دون أن يجعل الصداقة تؤثرعلى هذا النقد، يصف فتحي فوراني هذه الصراحة في نقده قائلا: " وعلى الطرف الآخر من الطاولة نلتقي الميزان النقدي اللوباني، وهو ميزان صيدلي، جاد وساخر لا يتحمل الدعابة، ولا يعرف النفاق الاجتماعي الذي برع فيه البعض، وإذا أغضب عيسى لوباني محمود درويش، فسرعان ما تهدأ العاصفة، ويصفو الجو "[2].

لم يكن عيسى لوباني يكتفي بعرض الآراء والمواقف فقط، بل كان يأتي بما يؤيدها من الكتاب والنقاد العرب والأجانب، وبذلك يعطي نقده مزيدا من المصداقية، فعند حديثه عن التكرار في الشعر، ودوره في إحداث الموسيقى، يأتي إلى رأي الدكتور إحسان عباس قائلا: " وقد تطرق إلى هذه القضية الدكتور إحسان عباس في دراسته لشعر عبد الوهاب البياتي، ومما قاله: إن الشاعر يميل إلى هذا النوع من التكرار؛ تفاديا للبتر في اللحن الذي بدأه، ويجد نفسه مضطرا للوقوف؛ لأن المعنى انتهى"[3].

وعند تعريفه ب (أو.هنري) يأتي بآراء بعض الكتاب الذين كتبوا عنه، فيعرض رأي الكاتب البريطاني جاك ليندزي، فيقول: " يقول الكاتب البريطاني جاك ليندزي معرفا (أو.هنري) تعريفا بسيطا بقوله: إن (أو.هنري) ينتسب إلى الجيل الأمريكي العظيم من الكتاب الواقعيين

---

[1] القاسم، نبيه: **مراودة النص**، ص209.

[2] فوراني، فتحي: مقال بعنوان (عيسى لوباني في صومعته الثقافية مكتبة الشعوب)، الجمعة 2013/10/11، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة www.aljabha.org

[3] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**،ع10، تشرين أول 1962،ص57.

المحدثين، إنه يحتل مكانا بارزا من بين تلك المجموعة التي تتكون من: أميروس بيرس، ستيفان جرين فيليبس، وفرانك نوريس"[1].

وبهذه الزاوية النقدية أحدث لوباني ضجة كبيرة حول الأدب والشعر بشكل خاص، من خلال النقد الذي كان يوجهه لأصحابها، فجعل القراء مشدودين إليها باستمرار، أضف إلى ذلك أن لوباني قدم أعمالا جديدة عربية وغير عربية، وأطلع القراء عليها، وبين محاسنها ومساوئها، وبذلك أصبح الشعراء أكثر حذرا في أشعارهم؛ لأن عيون النقد من لوباني ستظل تلاحقهم، فيمكن القول: إن هذه الزاوية النقدية أعادت للأدب والشعر مكانته، وذكرتنا بنقد قدماء العرب، الذين كانوا يضعون الأشعار أمامهم، ويبينون بالنقد ما يصلح منها.

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**،ع11، تشرين الثاني 1962، ص30.

المبحث الثالث

نقد الرواية والقصة

لم يقتصر نقد لوباني في الأعداد التي كانت تصدرها مجلة الجديد على الشعر، مع تركيزه عليه من خلال زاويته (ميزان الشعر)، وإنما امتد نقده ليصل إلى الروايات والقصص التي تصدر حديثا لأدباء محليين، فيضعها تحت النقد، ويبين ما لها وما عليها، ويظهر إيجابياتها ويكشف سلبياتها للمعالجة والإصلاح، فيعرض لوباني رواية (وبقيت سميرة) أمام القراء، ويبين مضمونها، وأهم المواقف التي أوردها صاحبها فيها، وقبل أن يلج إلى مضمون الرواية نراه يعرف القارئ بها، ويعرض بعض المعلومات عنها، يقول: " (وبقيت سميرة) رواية تقع في مائة وخمسين صفحة من القطع الصغيرة، قام يتأليفها عطا الله منصور"[1]، ثم نرى لوباني يطلع القارئ على معلومات لا يعرفها عن الرواية، والمراحل التي مرت بها قبل أن ترى النور، فنراه يقول: " لقد علمنا من مصادر موثوق بها بأن هذه الرواية – أو ما سمي بالرواية – قد قدمت لدار النشر العربي – أي الهستدروت– قبل أربعة أشهر تقريبا، وتولى أمر الاطلاع عليها السيد أغاسي، مدير دار النشر العربي، ومن هنا تنقلت بين عدة أيد عربية ويهودية، وكان نتيجتها الكثير من الغربلة، إلى أن توصلوا جميعا إلى تغيير اسمها، وتبديل نهايتها، وتحوير مضمونها، بحيث تتلاءم والخط السياسي المنهوج في هذه البلاد"[2]، وللتدليل على هذه الأقوال يأتي لوباني ببعض الشواهد التي تقنع القارئ، فيعرض رأي السيد أغاسي الذي نشره في جريدة (هآرتس) حول الرواية، حيث يقول لوباني: " كتب السيد أغاسي بأن هذه الرواية لا تتعارض وسياسة الدولة، ردا على ما قيل أنها تتعرض لشؤون جيش الدفاع الإسرائيلي"[3]، ثم يأتي لوباني على مضمون الرواية، ويبين من خلاله سبب الضجة التي أثيرت حولها، والمواضع التي تعرض فيها الكاتب إلى الجيش الإسرائيلي، يقول: " لم تقترب الرواية من هذا الموضوع إلا في فصلين: أولهما إبان احتلال مدينة حيفا، وثانيهما حينما احتل الجيش الإسرائيلي قرية بطل القصة

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع9، أيلول، 1962، ص45.

[2] السابق، ص54.

[3] السابق، ص54.

(رياض)"[1]، فيظهر لوباني أن الضجة التي أثيرت حول الموضوع هي بسبب ما جاء في فصل احتلال حيفا، " إذ صور الكاتب بأن سقوط حيفا كان نتيجة عملية ترحيل قام بها الجيش البريطاني، ولعل المسؤولين هنا اعتبروها إهانة، فقالوا ما قالوا وكتبوا ما كتبوا"[2].

ونجد لوباني يتدخل عند نقده للرواية في بعض المعلومات التاريخية التي وردت فيها، فيحاول تصحيحها، وإظهار المعلومة التاريخية الصحيحة، التي لم يستطع كاتب الرواية إظهارها بكل صراحة، فيصحح لوباني المعلومة التي وردت في الرواية حول سقوط حيفا، بقوله: " أما نحن فنود أن نثبت هنا بأن عملية سقوط حيفا، وترحيل أهلها عبر البحر من السلطات البريطانية، كانت نتيجة اتفاق بين الوكالة اليهودية والسلطات البريطانية، تقوم بموجبه السلطات البريطانية بترحيل سكان حيفا، بعد إرهابهم ونقلهم عبر البحر، بشرط أن يسمح لبريطانيا بعد قيام الدولة باستعمال ميناء حيفا استعمالا حرا، لأغراضهم في الشرق الأوسط"[3]، فيبين من خلال هذا الموقف أن عطا الله منصور لم يلتزم الصدق في عرضه للأحداث، وإنما كتب التاريخ على غير حقيقته، وبرأ الاحتلال الإسرائيلي من بعض الممارسات التي قام بها، فنجد لوباني يوجه له نقدا قويا بقوله: " إن هذا الفصل الذي كتبه عطا الله منصور، صور فيه الوضع على غير حقيقته، بحيث أعطى شهادة حسن سلوك للرجعية اليهودية، وبرأها من عملية إجلاء الشعب العربي الفلسطيني"[4]، وبعد عرض الشخصيات والأحداث التي وردت في الرواية ومضمونها، يخرج لوباني بموقف عنها، حيث يقول: " ولكن بعد قراءة الرواية يخرج القارئ منها صفر اليدين، فلا الأحداث مما يثير القارئ ويشوقه لمتابعة القراءة، ولا شخوصها من الشخصيات التي تثير العطف أو الكراهة"[5]، ويتحدث مضمون الرواية عن رياض الذي يتزوج سميرة، فيعلم بعد الزواج أنها كانت تربطها علاقة بعلي في فترة الصبا، فيترك زوجته ويخرج خارج فلسطين لمجرد هذه العلاقة مع صبي بريء، فيبين لوباني أن عطا الله منصور ضخم هذا الحدث، وجعل

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع9، أيلول، 1962، ص54.

[2] السابق، ص54.

[3] السابق، ص55.

[4] السابق، ص55.

[5] السابق، ص55.

حب رياض لوطنه والعودة إليه في كفة، وامرأته سميرة في كفة أخرى، يقول لوباني: " لقد جعل رياضا يتنكر لوطنه ويمقته كل هذا المقت، ويرفض العودة إلى ربوعه، لا لشـــيء إلا مخافـــة الرجوع إلى زوجته، ونحن نشك في أصالة هذه العقدة، ومدى قوتها، لتحمل حب الإنســـان، أي إنسان لوطنه ومسقط رأسه على أدنى تقدير"[1]، وبعد المرور على أحداث الرواية وشخصـــياتها ومضمونها، يقدم لوباني رأيه النهائي فيها دون مجاملة أومهادنة، يقول:" الروايـــة بمجموعهـــا محاولة لتصوير أحداث مرَّ بعضها بالمؤلف، ولكن هذه الصورة خرجت بمعظمهـــا تصـــويرا فوتوغرافيا بحتا، وهذا ما يتنافى والفن إلى أبعد الحدود"[2]، ثم نراه في نهاية النقد يقدم النصـــائح التي يمكن أن يستفيد منها الكاتب، فيبين الطريقة التي يجب أن تسرد فيها الأحداث في الروايـــة يقول: " فالأحداث يتلقفها الفنان، ويختزنها في أعماقه، وتمر هنالك فـــي عمليـــة ذات مراحـــل طويلة، تقررها قوة الكاتب وموهبته في الفن القصصي"[3]. ثم نجـــده يتمنـــى للكاتـــب النجـــاح والتوفيق، وأن يكمل ما بدأ به من مشواره في الكتابة.

ويأتي لوباني في نقده على قصة لإبراهيم موسى إبراهيم، وهي قصة (أسمهان)، فيعطي تعريفا عنها وعن مؤلفها قبل البدء بنقدها، والنظر في أحداثها، يقول لوباني: " (أسمهان) قصـــة طويلة للكاتب إبراهيم موسى إبراهيم، قامت بإصدارها قبل أسابيع شركة الكتاب العربي، بعد أن نشرت تباعا على صفحات إحدى الصحف المحلية، كما ورد في مقدمة الناشرين"[4]، ثـــم يقـــدم لوباني بعض المعلومات حول المؤلف، وأهم الأعمال القصصية التي نشرها، فيعطـــي القـــارئ المعلومات الكافية حوله، ثم نراه بعد ذلك ينتقل إلى المضمون ويحاول نقده بأسلوب موضوعي، بعيدا عن التجريح والإساءة، فقبل النقد يعطي ملخصا حـــول القصـــة ويعـــرف بشخصـــياتها، ويعرض أهم الأحداث التي شكلت بناءها، فالقصة في مجملها، قصة (أسمهان) التي تحب زوج أختها (هدى)، وتسافر معه إلى باريس، وتقيم علاقة معه، ثم تظهر لأختها (هدى) العلاقة التـــي

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع9، أيلول، 1962، ص55.

[2] السابق، ص55.

[3] السابق، ص55.

[4] السابق، ع2، شباط 1962، ص57.

كانت تجمعها بزوجها منير، وقد أورد الكاتب ذلك من خلال ما كانت تكتبه أسمهان في مذكراتها اليومية.

ثم نجد لوباني يوجه سهام النقد لهذه القصة، من خلال مجموعة من الأمور التي يرى أن الكاتب أخفق فيها. وأولها زمان ومكان القصة فلم يحددهما الكاتب في قصته، بل جاءت الأحداث متناثرة في أزمنة وأمكنة مجهولة، باستثناء (باريس) التي سافرت إليها أسمهان مع زوج أختها منير، فيتساءل لوباني: " أين حدثت القصة؟ وبأي زمان ومكان وجد أبطالها هؤلاء؟ أحدثت القصة في الأرض أم في السماء؟ في آسيا أم في افريقيا؟ إن الجواب على هذه الأسئلة، لا يمكن أن يجيب عليها سوى الكاتب نفسه"[1].

لقد وقف عيسى لوباني في نقده لهذه القصة على تصوير شخصية (أسمهان)، فيرى أن الكاتب أخفق في تصويره لها، " فقد برزت صورتها في صفحات القصة شائهة، كابية، ليست من الجمال في شيء، على الرغم من تهافت الكاتب على اصطناع كل المساحيق الكلامية، من أجل إبرازها في صورة تجتذب النفوس إليها"[2].

ووجد عيسى لوباني في مطالعته لهذه القصة أنها مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية، وعدم قدرة الكاتب على إيصال فكرته بأسلوب قوي، فقد جاءت الركاكة في الأسلوب، والأخطاء في اللغة والنحو في أكثر من فقرة من فقرات القصة، يقول لوباني:" فبدأ الأسلوب سقيما أحيانا، ركيكا تنهشه الأخطاء النحوية واللغوية أحيانا أخرى"[3].

وأخذ لوباني على كاتب القصة أنه لم يلتزم فيها بهموم مجتمعه الذي يعاني من البطالة والحرمان، فيرى أنه من الأجدر أن يستمد الكاتب أحداث قصته من واقعه الذي يعيشه، بدل أن يختار أمكنة وأزمنة مجهولة، ومواضيع ليست ذات أهمية، وهذا دفع لوباني إلى أن يقو:" ألا يوجد في حياته سوى العشق والهيام والليالي الخضراء والحمراء والنبيذ والشمبانيا؟ ألا يوجد في

---

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع2، شباط 1962، ص59.

[2] السابق، ص60.

[3] السابق، ص59.

باريس سوى الكباريهات وكهوف الخمر والعهر، وليالي السمر حتى الصباح؟ أزح تلك الغشاوة يا صديقي إبراهيم عن عينيك، واغمس قلمك في دموع الجماهير، وانظـــر بعـــد ذلـــك أي أدب سيكون لك"[1].

[1] لوباني، عيسى: ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع2، شباط 1962، ص60.

الخاتمة

لقد مر عيسى لوباني في حياته بأخطر الأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية، من احتلال أرض فلسطين، وتشريد أهلها منها، إلى هزائم العرب المتكررة، التي زرعت الألم في نفس الإنسان الفلسطيني، فعبر عن مشاعر الألم التي عاناها، ولقد وقف من هذه الأحداث موقف الأديب الملتزم، الذي يأبى إلا أن يشارك شعبه همومه ومشاعره، فكتب الشعر والرواية والقصة والنقد، وتلمس فيها هموم الناس، وحاول معالجة بعض المشاكل التي أثرت فيهم، فجاءت أعماله الأدبية معجما يوثق الأحداث التاريخية، ويكشف المؤامرات التي حيكت للنيل من إرادة الشعب الفلسطيني، وقهر عزيمته.

تواصل عيسى لوباني في أعماله مع الإنسان، وانتصر لقضيته، فعبر عن المواضيع الاجتماعية والإنسانية، كما عبر عن مشاعر الانتماء لوطنه وأرضه، وكتب في الموضوع الوطني. وبالرغم من كل المضايقات التي كان يتعرض لها من سلطات الاحتلال الإسرائيلي، إلا أن ذلك لم يثنه عن قول كلمة الحق، والوقوف إلى جانب شعبه في محنته.

كان عيسى لوباني واحدا من أولئك الأدباء، الذين زرعوا أنفسهم في أرضهم، ورفضوا الخروج منها، رغم كل المضايقات التي كان يتعرض لها، فقد فصل من وظيفته لمجرد التزامه بقضاياه الوطنية والإنسانية، فأزاح الستار عن وجه المحتل الحقيقي، الذي كان يحاول بكل طريقة أن يخرج الفلسطيني من أرضه، ويسيطر عليها.

استرجع لوباني في أدبه ذكريات الألم التي سيطرت على الإنسان الفلسطيني، وعبر عن مأساة اللاجئين الذين هجروا خارج أرضهم، ووجدوا أنفسهم ضحية للفقر والجوع والتشرد والعري، فعبرعن شوقهم لأرضهم، وحنينهم إليها، وأكد على حتمية النصر رغم تخاذل المتخاذلين، وتذبذب آرائهم، فلقد عقد آمالا كبيرة على الإنسان الفلسطيني، الذي لا يستطيع أحد أن يهزم إرادته وإيمانه.

وفي الرواية أبدى عيسى لوباني خوفه على القضية الفلسطينية، ومحاولة البعض المتاجرة بها، ورسم جوانب مهمة من الأحداث التي مرت بالإنسان الفلسطيني، كما خلد أسماء المدن والقرى الفلسطينية، التي كاد البعض أن ينساها، ورسم صورة المحتل الإسرائيلي، وجرائمه ضد الفلسطينين، والأساليب التي لجأ إليها لتعذيب الفلسطيني، وطرده من أرضه.

وفيما يتعلق بموضوع النقد فإن لوباني حرك مسيرة النقد الأدبي في فلسطين، وكانت جهوده في هذا المجال قيمة ورائدة، فقد كان حريصا على أن يخرج الأدب في أبهى صوره، فوجه الشعراء والأدباء، ولم يبخل عليهم بكلمة الحق، التي يمكن أن يستفيدوا منها، وأطلع القارئ في نقده على الأعمال الأدبية المحلية التي كانت تصدر حديثا، وتواصل مع الآداب الأخرى غير العربية، التي كان يرى بأنها جديرة بالاهتمام.

لقد كان عيسى لوباني مبدعا، يوظف اللغة بكثير من الإتقان والتجربة، فنجد أنه اختار لأعماله الشعرية والأدبية عناوين تعبر عن مضمونها، واستخدم الرمز الفني في التعبير عن بعض المواقف السياسية، ومنها: الأرض، والوطن، والهموم الاجتماعية، والقومية وغيرها من الموضوعات، ولم تكن لغة لوباني الشعرية والروائية لغة عشوائية، بل حرص على انتقائها بعناية تظهر مقدرته اللغوية، وجاءت مليئة بالصور الزاخرة بالحركة واللون. وفي موسيقى الشعر التزم لوباني بها ولكن بطريقته الخاصة، فلم تكن الموسيقى عنده تعتمد على أوزان الخليل فقط، وكان يعتقد أن هنالك أمورا لا تقل أهمية عن الأوزان ومنها التكرار، والموسيقى المنبثقة عن استخدامه لبعض حروف اللغة العربية.

لقد وظف لوباني في أدبه نصوصا يجمع عليها الناس، فتزيد ثقتهم بالأديب، وتصبح النصوص أكثر إقناعا وواقعية،فنجده يوظف النصوص الدينية؛ للقدسية التي تتمتع بها عند عامة الناس، فوظف في أدبه لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف. ولم يغفل لوباني أهمية النصوص الأدبية والشعبية، فنراه يوظف أبياتا من الشعر العربي قديمه وحديثه، وكلها ساهمت في إبراز الأحداث ووصف الشخصيات، كما وظف لوباني التراث الشعبي من أغنيةشعبية، إلى الأمثال، وغيرها من النصوص التي يرى أنها تجذب القارئ، وتشركه في العمل الأدبي.

رحل عيسى لوباني مخلفا ثروة أدبية، منها ما نشر ومنها ما بقي حبيس الأدراج، ينتظر من يحرره، ولم يلق أدب لوباني الاهتمام الذي ينبغي أن يكون، لذلك نرى بأنـــه وفـــاء لهـــذا الأديب، فإنه ينبغي أن يسلط الضوء على أعماله الأدبية، وتلقى الاهتمام الذي يليق بها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

لوباني، عيسى: **أحلام حائر(ديوان شعر)**، الناصرة، مطبعة الحكيم، 1954.

أم الخير،(إيقاعات على جدران ذاكرة ليست للنسيان)، الناصرة، مطبعة النهضة، ط1، 1994.

رسائل في العشق والعشاق(السقوط)، حيفا، مطبعة كل شيئ،ط1993،1.

رسائل في العشق والعشاق (القلق)، الناصرة، الحكيم للطباعة والنشر،ط1994،1.

شمس وقمر(رواية)، الناصرة، الحكيم للطباعة والنشر، 2007.

المراجع

ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج3،

اسماعيل، عز الدين،**الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، بيروت، دار العودة ودار الثقافة، ط2، 1972.

أبو أصبع، صالح، **فلسطين بين تحدي الوجود وثقافة التحدي**، دار البركة للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة 1948– 1975، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979.

فلسطين في الرواية العربية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، 1975.

الأسطة، عادل، **دراسات نقدية**، جت المثلث، منشورات مكتب اليسار، ط1، 1987.

قضايا وظواهر نقدية في الرواية الفلسطينية، عكا، مؤسسة الأسوار، ط1، 2002.

أدب المقاومةمن تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، مطبوعات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، 1998.

اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة، ط1، 1992.

دراسات في الأدب الفلسطيني، باقة الغربية، منشورات شمس، 1993.

البارودي، محمد رجب، **شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة**، تونس، الدار التونسية للنشر، ط1، 1993.

البحرة، نصر الدين، **الأدب الفلسطيني المعاصر بين التعبير والتحريض**، منشورات الطلائع،(د.ت).

بزراوي، باسل، **ملامح الغربة والحنين في الشعر الشعبي الفلسطيني**، فلسطين، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، 2001.

أبو بكر، وليد، **الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة**، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ط1، 1988.

بولس، حبيب، **القصة العربية الفلسطينية المحلية القصيرة**، الناصرة، المطبعة الشعبية، 1987.

الرحلة الثالثة، دائرة المعارف العربية في وزارة المعارف والثقافة، 1994.

التميمي، حسام جلال، **صورة اللاجئ الفلسطيني في الشعر الفلسطيني الحديث**، الخليل، جمعية العنقاء الثقافية، ط1، 2001.

التميمي، سميرشحادة، **الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة**، القدس، دار العـــودة للدراســـات والنشر، ط1، 1991.

الجمالي، سناء الطاهر، **صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية**، الأردن، دار كنـــوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

الجندي، سمير، **الرواية الفلسطينية والتراث (روايات ديمة سمان نموذجا)**، القدس، دار الجندي للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

الجيوسي، سلمى الخضراء، **موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر**، بيروت، المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1997.

الحديدي، عبد اللطيف، **فن المقالة في ضوء النقد الأدبي**،(د.ن)، ط1، 1996.

حطيني، يوسف، **مكونات السرد في الرواية الفلسطينية**، اتحاد الكتاب العرب، 1999.

عبد الخالق، ربيعي، **فن المقالة في الأدب العربي الحديث**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيـــة، 1988.

الخطيب، جهينة عمر، **تطور الرواية العربية في فلسطين1948**، بيروت، المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر، ط1، 1991.

خواجا، علي، **التشكيل الصياغي في الشعرالفلسطيني الحـــديث**، رام الله، دار البيـــرق للنشـــر والتوزيع، ط1، 2009.

دودين، رفقة محمد، **توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة**، عمان، وزارة الثقافـــة، ط1، 1991.

دي لويس، سي، **الصورة الشعرية**، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982.

ربايعة، موسى، **النقد العربي والوظيفة الاجتماعية للشعر**، مؤسسة حمادة للدراسات والنشر والتوزيع، 2003.

رشيد، هارون هاشم، **الكلمة المقاتلة في فلسطين**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

الرواشدة، سامح، **القناع في الشعر العربي الحديث**، جامعة مؤتة، 1995.

زايد، علي عشري، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**، القاهرة، دار الفصحى، 1985.

زعرب، صبحية عودة، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني**، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

سليمان، سعيد شوقي، **توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ**، مصرالجديدة، أيتراك للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

سمارة، سميح، **العمل الشيوعي في فلسطين الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية**، بيروت، دار الفارابي، ط1، 1979.

سنداوي، خالد أحمد، **الصورة الشعرية عند فدوى طوقان**، حيفا، مكتبة كل شيء، 1993.

السوافيري، كامل، **أعلام الشعر والأدب في الأرض المحتلة**، مصر، دار المعارف، ط3، 2000.

الأدب العربي المعاصر في فلسطين، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

شاهين، أحمد عمر، **موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين**، دمشق، الأهلية للنشر والتوزيع، 1992.

شاهين، أسماء، **جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001.

أبو الشباب، واصف، **شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، بيروت، دارالعودة، ط1، 1981.

الشحادة، يوسف محمد ذياب، **الرواية الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة**، وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، 2009.

شراب، محمد حسن، **شعراء فلسطين في العصر الحديث**، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

أبو شريف، توفيق، **مختارات من شعرالمقاومة في الأرض المحتلة**، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، د.ت.

شلبي، عبد العاطي، **فنون الأدب (دراسة تطبيقية للشعر في عصوره المختلفة الرواية والمقال والقصة القصيرة)**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005.

أبو صالح، سيف الدين، **الحركة الأدبية في إسرائيل**، حيفا، مجمع اللغة العربية، ط1، 2010.

صالح، عالية محمود، **البناء السردي في روايات إلياس خوري**، عمان، ازمنة للنشر والتوزيع،ط1، 2005.

صالح، فخري، **في الرواية الفلسطينية**، بيروت، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط1، 1985.

الصباغ، رمضان، **في نقد الشعر العربي المعاصر"دراسة جمالية"**، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 1998.

صدوق، راضي، **شعراء فلسطين في القرن العشرين**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 2000.

رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها، بيروت، عالم الكتب، ط3، 1984.

طه، المتوكل، **مقدمات حول الشعر الفلسطيني الحديث**، والثقافة الوطنية، رام الله، دار البيـــرق العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

عباد، عبد الرحمن، **الحركة الأدبية في الناصرة**، حيفا، مكتبة كل شيىء، 2008.

عباس، إحسان،**الشعر في فلسطين حتى العام 1967**، الموسوعة الفلسطينية، ط1، مج4، 1990.

عباس، فؤاد إبراهيم، **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**، عمان، دار الجليل للنشر والدراســات والأبحاث الفلسطينية، ط1، 1989.

عكاوي، إنعام، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992.

علان، إبراهيم، **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال**، الشارقة، مطبعة الشهامة، ط1، 1995.

عليان، شحادة، **الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث**، عمــان، دار الفكــر للنشــر والتوزيع، ط1، 1987.

علي مهنا، خالد، **الشعر الفلسطيني الحديث**، الجمهورية العراقيــة، منشــورات وزارة الثقافــة والفنون، 1978.

عودة، علي محمد، **دراسات في الرواية الفلسطينية**، مكتبة جزيرة الورد، ط1، 2010.

دراسات في الشعر الفلسطيني، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد،ط1، 2010.

عبد الله، محمد حسن، **الصورة والبناء الشعري**، القاهرة، دار المعارف، 1981.

عيد، رجاء، **التجديد الموسيقي في الشعر العربي**، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.

الشعر والنغم، القاهرة، مؤسسة كيلوبترا،1983.

دراسة في لغة الشعر، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.

العيلة، زكي، **المرأة في الرواية الفلسطينية**، فلسطين، منشورات مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، ط1، 2003.

الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفير**، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1985.

غنايم، محمود، **المدار الصعب " رحلة القصة الفلسطينية في إسرائيل"**، جامعة حيفا، سلسلة منشورات الكرمل، ط1، 1995.

مرايا في النقد"دراسات في الأدب الفلسطيني"، مركز دراسات الأدب العربي، ط1، 2000.

عبد الغني، مصطفى، **قضايا الرواية العربية**، القاهرة، الدارالمصرية اللبنانية، ط1، 1999.

فرهود، كمال قاسم، **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، حيفا، مكتبة كل شيئ، مج2، ط3، 1998.

القاضي، عبد المنعم زكريا، **البنية السردية في الرواية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2009.

القاضي، محمد، **الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية**، الدار العربية للكتاب، 1982.

القاسم، نبيه، **حركتنا الشعرية إلى أين؟**، كفر قرع، الهدى للطباعة والنشر، 2010.

همسهسة الكلمات دراسات في الشعر، دار البدء للطباعة والنشر، 2010.

مروادة النص " دراسات في الادب الفلسطيني"، دار الهدى للطباعة والنشر، 2001.

قطوس، بسام: **سيمياء العنوان**، عمان، د.ن، 2001.

قمحية، مفيد، **الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1981.

الكردي، عبد الرحيم، **السرد ومناهج النقد الأدبي**، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004.

كندي، محمد علي، **الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث**، لبنان، دار الكتب اجديدة، ط1، 2003.

كندي، ناصر، **الرمز في الشعرالعربي**، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011.

كنفاني، غسان، **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال**، مؤسسة حمادة للدراسات الفلسطينية، ط2، 1982.

الكيالي، عبد الرحمن، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1975.

لعيبي، حاكم مالك، **الترادف في اللغة**، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980.

ماضي، شكري عزيز، **انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1978.

المتنبي، **ديوان المتنبي**، بيروت، دار صادر، 1958.

محمد أبو عمشة، عادل، **شعر الإنتفاضة**، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع، ط1، 1991.

محمود، حسني، **سداسية الأيام الستة الرؤية والدلالة والبنية الفنية**، عمان، وزارة الثقافة، 2002.

محمود، عبد الرحيم، **ديوان عبد الرحيم محمود**، مكتبة الدكتور وليد قمحاوي، 1958.

أبو مراد، فتحي، **الرمز الفني في شعر محمود درويش**، عمان، وزارة الثقافة، 2004.

مسلم، أبي الحسين بن حجاج، **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء التـــراث العربـــي، ج4، ط2، 1972.

معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيـــز بـــن ســـعود البابطين للإبداع الشعري، ط2، مج3.

مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التناص"**، الدار البيضاء، المركـــز الثقـــافي العربي، ط3، 1992.

أبو مطر، أحمد، **الرواية في الأدب الفلسطيني**، بيروت، المؤسسة العربية للدراســـات والنشـــر، ط1، 1980.

الرواية والحرب، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994.

الملائكة، نازك،**قضايا الشعر المعاصر**، بيروت، دار العلم للملايين،ط4، 1974.

مناصرة، حسين، **المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية**، بيـــروت المؤسســـة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002.

فردوس الأرض المغتصبة، بيروت، دار الفارابي، ط1، 2013.

منصور، عز الدين، **دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر**، بيـــروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1985.

موسى، شمس الدين، **مراجعات ومتابعات في الرواية والقصـــة**، فلســـطين، مطبوعـــات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، 1999.

النجار، سليم، **قراءات في الرواية الفلسطينية الحديثة**، عمان، دار الكرمل للنشروالتوزيع، ط1، 1998.

نجم، محمد يوسف، **فن المقالة**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1957.

فن القصة، بيروت، دار الثقافة، ط1997،7

النصير، ياسين، **الرواية والمكان**، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر، ط2، 2010.

أبو نضال، نزيه، **الشعر الفلسطيني المقاتل**، فلسطين، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط1، 1974.

الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين، المجلس الأعلى للتربية والثقافة، ط2، 2011.

أبو نواس، **ديوان أبي نواس**، بيروت، المكتبة الثقافية، د.ت.

الوراقي، السعيد، **لغة الشعرالعربي الحديث مقوماتها وطاقاتها الإبداعية**، دار المعرفة الجامعية، 1997.

ياغي، عبد الرحمن، **في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية**، رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1999.

يعقوب، إميل يعقوب، **موسوعة أمثال العرب**، بيروت، دار الجيل، ط1، ج3، 1999.

يقطين، سعيد، **قضايا الرواية العربية الجديدة**، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

يوسف، آمنة، **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1997.

يونس، علي، **النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.

مواقع الكترونية

جبارين، رفيق، رواية شمس وقمر للأديب عيسى لوباني، الإثنين 2008/3/17، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، www. Aljabha.org.

حبيب، شفيق، عيسى لوباني روائي ذو قامة أدبية سامقة، 28 كانون أول 2007، ديوان العرب، www.diwanalarab.org.

دلة، بطرس، شمس وقمر هي آخر ما أبدعه قلم الأديب عيسى لوباني، السبت 2008/2/23، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، www. Aljabha.org.

فوراني، فتحي، عيسى لوباني في صومعته الثقافية مكتبة الشعوب، الجمعة2013/10/11، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، www. Aljabha.org.

منتديات ستار تايمز التعليميةwww.startimes. com

موقع آداب اللغة العربية www.adab.com

موقع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين almoajam.org

هيبي، محمد، شمس وقمر وعيسى لوباني الطائر القلق والعاشق المأزوم، 2008/3/14، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، www. Aljabha.org

ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipedia.org

رسائل جامعية

اشتية، معاذ عبدالله حامد، **عبد اللطيف عقل شاعرا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتور عادل الأسطة، 2001.

أبو بكر، أحمد حسن محمود، **حنا إباهيم أديبا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتور عادل الأسطة، 2001.

جعيد، عبد الرحمن علي عبد الرحمن، **علي الخليلي أديبا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتورعادل أبو عمشة، 2006.

خلاف، ميسر، **مظاهر الإبداع في شعر وليد سيف**، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، إشراف الدكتور نادر قاسم، 2007.

فخر الدين، ساهرة عادل، **القتال الكلابي شاعرا**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، إشراف الدكتور خليل عودة، 2005.

قاسم، نادر، تجربة **إميل حبيبي القصصية والروائية**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي، 1991.

قاسم، نادر، **التواصل بالتراث في الرواية العربية الفلسطينية الحديثة من عام 1967– 1993**، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، إشراف الأستاذ الدكتورعبد الرحمن ياغي.

مجلات

حليفي، شعيب، ***استراتيجية العنوان في الرواية العربية***، **مجلة الكرمل**، ع46، 1992.

حمداوي، جميل، ***السيموطيقيا والعنونة***، **مجلة عالم الفكر**، مج25،ع3، 1997.

الظاهر، عدنان أبو السعود، ***رسالة إلى عيسى لوباني***، **ملحق الإتحاد**، الجمعة 5 آذار، 1999.

ظاهر، ناجي،***الشاعر والكاتب عيسى لوباني عطاء أكثر من نصف قرن***، **مجلة الشرق**، ع1، آذار، 1999.

عودة، نبيل،***عيسى لوباني وخواطر أخرى***، **مجلة الاتحاد**، الجمعة 19شباط، 1999.

الفاهوم، وليد، ***في ذكرى الراحل الباقي عيسى لوباني " شمعة ودمعة وكأس نبيذ"***، **ملحق الاتحاد**، الجمعة 5 آذار، 1999.

القاسم، نبيه، ***عيسى لوباني الشاعر والناقد*** "1"، **ملحق الاتحاد**، الجمعة7 أيار، 1999.

عيسى لوباني الشاعر والناقد "2"، **ملحق الاتحاد**، 14 أيار، 1999.

لوباني، عيسى، ***ميزان الشعر***، **مجلة الجديد**، ع2، شباط، 1962.

ع7، تموز، 1962.

ع9، أيلول، 1962.

ع10، تشرين أول، 1962.

ع11، تشرين الثاني، 1962.

مرقس، نمر، ***كلمة عن بناء الأساس (لذكرى عيسى لوباني المعلم الديمقراطي الشاعر والأديب)***، **مجلة الاتحاد**، الأربعاء 24 شباط، 1999.

المطوي، الهادي، ***شعرية العنوان في كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق***، **مجلة عالم الفكر**، مج28، ع1، 1999.

مع الكاتب عيسى لوباني، حوار أجراه طلاب مدرسة راهبات مار يوسف، إشراف الأستاذ رياض كامل، **مجلة الشرق**، ع1، 1999.

اتصالات هاتفية

اتصال مع ميادة لوباني بتاريخ 2014/3/31.

اتصال مع ميادة لوباني بتاريخ 2014/1/25.

An-Nnajah National Nniversity
Faculty of Graduate Studies

Issa Lubanis Life and Literary March

By
Awad Hassan awad Ramadan

Supervised by
Dr. Nader Qasim

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, An-Najah University, Nablus, Palestine.
2014

Issa Lubanis Life and Literary March

By
Awad Hassan awad Ramadan
Supervised by
Dr. Nader Qasim

Abstract

This study presents the life of the writer Isa Lubani and his literary production and the most prominent stations in his life, and offers a picture of his different literary production such as poetry, novel and criticism it shows the most important trends of poetry that Lubani had touched in his poems of the national trend, human trend and social trend and other trends, It also displays the most important novels that he published and high lighting it's technical aspects and it discuss different subject including ; women,land and home and it reveal the literary work that he had published and expressing his positions on different issues such as literary, social and national.

The aim of this study to reveal the creativity side of the writer lived in establishment stage of Palestinian poetry and he lived the catastrophe of Palestine in 1948, he describe the events through his literary work.in spite of the restrictions that practiced against writers in occupation land, even though he continued defend on Palestinian issue and he wrote poetry, novels, stories and critical essay, this accommodates his technical ability and ability to acquire language.

The literary writings of lubani characterized in high technical, we see him form language in particular way which has a lot of creativity and we

find him employs his creative and linguistic stock,so he resort store petition,symbol and poetic images,His poems have appeared in pain tings that show different side of Palestinian human life. In the novel, lubani excelled in portraying the event that Palestine had experienced and through novel he show a new experience for novelists which was a friction with Jews and reveal their truth in front of the world. in the area of critical Isa lubani was a doctor for literary texts dealt them in objectivity far away from personal passions, he was praising the best works and gives advices for the owners of weak texts for guidance and reform, his critical activity did not limited for allowing works but also he was following the global works and direct readers to it.